جامعة أم درمان الإسلامية
كلية الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

بعنوان

النسيان في ضوء القرآن الكريم

دراسة موضوعية

إعداد الباحث : أحمد الحاج حسن أحمد
إشراف البرفيسور : الطاهر أحمد عبد القادر

١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م

بسم الله الرحمن
الرحيم

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا
اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلَا
تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ
أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) سورة الحشر
الآيات (١٨ ـ ١٩)

الإهداء

أهــدي ثمــرة هــذا الجهــد المتواضـع إلـى والـدي اللـذان تعهداني بالتربيـة والعلـم وإلـى أخوتي وأخواني رفقاء الدرب وإلـى كـل مـن علمنـي حرفـاً وإلـى كـل طالـب علـم يسـعى لنيـل الخيـر والبـر والفضـل ليسـهم فـي بنـاء مجتمـع مسـلم معافى .

كلمة الشكر

الحمد لله حمد الشاكرين لنعمه ، العارفين لفضله ، الخاضعين لعبوديته ، (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ)[1] وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ، وأسألك اللهم يقيناً يملأ القلب ، ويستولى على النفس ، حتى يكفها إذا نزغت ويردها إذا زاغت ، حتى تكون بغيتنا الحق ، وهمنا الإخلاص والصدق ، فتقبل اللهم عملي هذا واجعله خالصاً ابتغي به الرضا والقبول من عندك وحدك لا شريك لك ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للأنام القائل : (من لا يشكر الناس لا يشكر الله)[2] فإني أحمد الله أولاً أن هداني ويسر لي طريق العلم والفقه في الدين ، وجعلني من السالكين لهذا الطريق الأمين ، ووفقني للالتحاق بجامعة القرآن الكريم ، وأن أدرس في أعظم كلياتها كلية القرآن الكريم ، ثم أن هيأ لي أن التحق بجامعة أم درمان الإسلامية ، هذه الجامعة العريقة لأواصل تخصصي ، لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن ، لأنهل من هذا المعين الصافي على أيدي أساتذة أجلاء أفاضل لأنال على أيديهم شرف مواصلة هذا التخصص العظيم بعظمة هذا الكتاب الكريم .

ثم أحمد الله أن جعلني أحد أساتذة المعهد العالي للدراسات الإسلامية ، وكتب لي العيش في رفاق أخوة أكارم قربوا لي البعيد ، وسهلوا لي الصعاب ، مما أسهم في زيادة حصيلتي العلمية بقدر ما بقيت فيه من سنوات مباركات ، ثم أخص بالشكر فضيلة البروفيسور الطاهر أحمد عبدالقادر شيخي وأستاذي الذي أخذت من أدبه قبل علمه ، فكان نعم المربي والوالد والمعين في إشرافه على هذا البحث ، ولم يبخل علي بنصح وتوجيه وإرشاد ، ومنحني وقته وجهده وتفكيره ، حتى خرج هذا البحث . كما أحسب . محققاً لهدفه المنشود فجزاه الله خيراً لما قدم لهذه الأمة من

---

(١) سورة الأحقاف الآية رقم (١٥) .

(٢) أبو داود كتاب الأدب باب شكر المعروف (١٢٧/٥) ، ط : دار الحديث ، والترمذي أبواب البر والصلة باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك (١٣٢/٨) ، ط : دار الكتاب العربي ، ومسند الإمام أحمد (٢٥٨/٢) ، ط : دار صادر .

عطاء ، وأسأل الله أن يجعله زخراً لخدمة طلاب العلم والمعرفة وأن يمتعه بالصحة والعافية .

كما أخص بالشكر أستاذي الفاضل البروفيسور عمر يوسف حمزة لما قدمه لي من عناية وتوجيه وإرشاد وحث ومتابعة .

كما أتقدم بالشكر لمكتبة جامعة القرآن الكريم ومكتبة جامعة أم درمان الإسلامية ومكتبة المعهد العالي للدراسات الإسلامية ، وكل المكتبات المركزية التي تعمل لخدمة الباحثين وطلاب العلم .

كما أخص بالشكر الأخوة الذين قربوا لي كل بعيد من المراجع والكتب والرسائل القيمة التي افتقدها في كل المكتبات وعلى رأسهم الدكتور محمد الأمين إسماعيل ، وكذلك الشكر موصول للأخوة الأساتذة الزملاء الذين ما بخلوا عليَّ بنصح وتوجيه ، كما أخص بالشكر فضيلة الأستاذ الصديق خضر بابكر الذي قام بمراجعة هذا البحث كما أخص بالشكر الأخوة إبراهيم الفاضل وعبدالغفار عبدالقادر وحسن حسين الذين قاموا بطباعة هذا البحث .

كما لا يفوتني أن أخص بالشكر أساتذتي الذين شرفوني في لجنة المناقشة : البروفيسور عباس عوض الله عباس والدكتور فيصل محمود جزاهم الله عني خير الجزاء .

والشكر كذلك لأساتذتي وشيوخي الذين تلقيت عنهم العلم ، ولكل القائمين على أمر هذه الجامعة العريقة المباركة . بأذن الله تعالى . ، والذين يقفون من خلقهم بارك الله في مسعاهم وزادهم خيراً وفضلاً على ما هم عليه .

والشكر أولاً وأخيراً لله رب العالمين ، الذي يختص برحمته من يشاء وهو ذو الفضل العظيم القائل في محكم تنزيله : (وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ)[1]

(١) سورة النحل الآية رقم (٥٣) .

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب على عبده ولم يجعل له عوجاً تبياناً لكل شئ وهدىً ورحمةً وشفاءً للمؤمنين قيماً تزكو به النفوس وتطهر ، فمن تمسك به هدى إلى صراط مستقيم وسعد ونجا وفاز في الدنيا والآخرة ، ومن أعرض عنه ضل وشقي في الدنيا والآخرة ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وله الكمال والجلال وبيده الخلق والتدبير وهو على كل شي قدير نعم المولى ونعم النصير ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله للناس كافة شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً بصر من العمى وهدى من الضلال ، وعلى أله وصحبه ومن سار على نهجه واتبع سبيله إلى يوم الدين .

أما بعد :

خلق الله تبارك وتعالى الإنسان في أحسن تقويم وكرمه وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً ، فميزه بان جعل له السمع والبصر والعقل فغدا بنعمة ربه سميعاً بصيراً ، وسخر له ما في السموات وما في الأرض ، ليستخلفنه في الأرض لغاية عظيمة هي عبادته وحده لا شريك له.

لم يتركه هملاً بل أرسل إليه الرسل بالكتب السماوية فيها من الهدى والنور والرحمة ما يستنير به في الحياة ، وجعل له في الآفاق من الآيات الكثيرة المبثوثة ما يحرك العقول إلى التفكر والتدبر في خلق الله العظيم .

ومن تلك الآيات خلق الإنسان نفسه في هيئة قويمة سوية وطلعة بهية ، وما أودعه فيه من ذاكرة لها قدرة فائقة على تخزين المعلومات والأحداث وكل ما يمر بالإنسان ، ثم استحضار ذلك أو بعضه في أوقات متباعدة مما يبهر الإنسان في إدراك كيفية حصول ذلك : (وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)[1] .

تلك الذاكرة نعمة من النعم يجب شكرها وقد من الله على عباده بأن جعل لهم السمع والأبصار والأفئدة لعلهم يشكرون ، وإن الذي وهب الإنسان هذه الذاكرة هو الذي جعل في طبيعتها النسيان ، و لا شك أن الإنسان يعتمد على ذاكرته في أمور دينه من طلب علم وعبادة ودعوة ، وفي أمور دنياه وشؤون حياته .

---

(١) سورة الذاريات الآية رقم (٢١) .

فكان وجود النسيان طبيعة في الإنسان يمثل جانباً من الضعف واقعاً فيه لا محالة في أحواله المختلفة القولية والفعلية والإدراكية لا يسلم منه أحد .

والإنسان منوط به أداء غاية عظيمة هي القيام لله بالعبودية وفق ما أمر به تعالى ورسله ، وهو مبتلىً في ذلك ، فيعتريه في طريق تحقيق ذلك العقبات وتعترضه العوارض التي تعوقه عن هذه الغاية ومنها النسيان .

أهمية البحث :

هناك أمور تعطي هذا البحث أهمية خاصة دفعتني للكتابة فيه تتمثل في الآتي :

أولاً : عرض القرآن الكريم في كثير من آياته وسوره لموضوع النسيان بمعاني ودلالات عظيمة تتناول النهي والذم وترتيب العقاب عليه ومصادره وأسبابه وغير ذلك من الموضوعات .

ثانياً : النسيان متأصل في نفس الإنسان ، وهو جانب من جوانب الضعف فيها فالبحث فيه بحث في النفس البشرية .

ثالثاً : النسيان آفة من الآفات التي تؤثر في تحصيل العلم والعمل ، وبه يقع الخطأ والعصيان .

رابعاً : اشتماله على مادة تفسيرية غزيرة .

أسباب اختيار الموضوع :

دفعتني لاختيار هذا الموضوع أسباب تتلخص في الآتي :

أولاً : الوقوف على مفهوم النسيان وما يتعلق به من معاني وموضوعات من خلال القرآن الكريم .

ثانياً : النسيان له أثره في كثير من الأحكام الشرعية التي تترتب على حصوله في العبادات والمعاملات وغيرها .

ثالثاً : حاجة المجتمع الماسة لإبراز مثل هذا الموضوع في دراسة علمية دقيقة في ضوء القرآن الكريم .

رابعاً : إثراء الساحة العلمية ، وخاصة بما يتعلق بالنفس البشرية .

خامساً : الإسهام في خدمة موضوعات القرآن الكريم .

الدراسات السابقة :

موضوع النسيان والكتابة فيه ليس بالموضوع الجديد على أهل العلم وقد تناوله أهل التخصصات المختلفة ، فقد تناوله أهل التفسير والفقه وأصوله والحديث وعلم النفس ، وهناك من أفرده بالبحث ، ومما وقفت عليه رسالة بعنوان النسيان وأثره في الأحكام الشرعية تأليف يحي بن حسين الفيفي ، قدمها لنيل درجة الماجستير في المعهد العالي للقضاء بالمملكة العربية السعودية بالرياض ، كما قدمت بحوث في المجلات والدوريات تناولته من ناحية أنه مشكلة نفسية ، وهناك من تنوله في حديث مختصر في عرض لبعض موضوعاته .

ولكن الجديد في هذه الدراسة هو جمع الآيات القرآنية الواردة في النسيان جميعها في مكان واحد والنظر فيها وما اشتملت عليه من معاني وموضوعات وتصنيفها في وحدة موضوعية مترابطة ومتكاملة حتى يستفاد منها .

صعوبات البحث :

تتلخص صعوبات البحث في عدة أمور أوجزها في الآتي :

١/ تناثر مادة البحث في بطون التفاسير وبعبارات موجزة ، ومعظم من تناولها من المفسرين اكتفى بالبيان فيها بذكر المعنى اللغوي دون الاسترسال في ذلك .

٢/ قلة البحوث الإسلامية المؤصلة التي تتناول مثل هذه المشكلات مما يتصل بالنفس البشرية وعلاجها .

٣/ الموضوع يتصل بنفس الإنسان وقواه الوجدانية مما جعل طبيعة الموضوعية فيه استنباطية لحد كبير جداً تحتاج إلى دقة متناهية في النظر إلى المعاني واستخراجها واستنباط فوائدها .

٤/ تعدد المعاني التي يحمل عليها النسيان مما جعل الخلاف يجري بين المفسرين في تأويل كثير من الآيات موضوع البحث مع عدم الترجيح غالباً .

٥/ الشعور بثقل الموضوع ومشكلاته وخاصة في جناب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

منهج البحث :

سلكت في هذه الدراسة منهج الاستقراء والتحليل ، لأن طبيعة البحث تفسيرية موضوعية واقتصرت على جانب التفسير وحده وأكثرت في ذلك من الشواهد والأدلة حتى أقف على الموضوع بأبعاده من التفاسير المشهورة المعتمدة ، فإذا تطرقت إلى جوانب أخرى مثل الحديث فذلك لأنه مصدر من مصادر التفسير وركزت فيه على متن الحديث ، وإذا تطرقت للفقه وأصوله فذلك تكملة لمعنى من المعاني أو إبراز جانب أو فائدة من الفوائد ، ونحو ذلك أيضاً إذا تطرقت إلى اللغة وغيرها ، أما القراءات فإذا ورد ذكرها فهذا يدل على أهميتها ودورها في التفسير

وعلى هذا المنهج قمت بالآتي :

١/ قسمت البحث إلى فصول ومباحث ومطالب ووضعت عناوين رئيسة وفرعية بصورة تسهل الفهم وتوضح الأفكار مع مراعاة عدم الدخول في كثير من التفريعات والتفصيلات التي تخرج عن موضوع العنوان .

٢/ عمدت بفضل الله ومنه وكرمه إلى جمع مادة هذا البحث من أدلة القرآن الكريم والسنة ، مع عزو الآية إلى سورتها ورقمها ، والحديث إلى مصادره المعتمدة ، وعملت على بيان درجته في الصحة والضعف واعتمدت في الحكم على الحديث على أقوال العلماء المتقدمين ، وأحياناً على أقوال المتأخرين وقل أن توجد أحاديث لم أحكم عليها .

٣/ رجعت إلى المصادر المعتمدة في تفسير الآيات ، وشرح الأحاديث وفي كثير من الأحيان ركزت على تفاسير المتأخرين والمعاصرين لما فيها من فوائد واستنباطات أقرب إلى موضوع البحث من أقوال السابقين التي هي غنية كذلك بالفوائد في كل ما استدعى الأمر ، وآتي بتعليق مني واستنباط في الربط بين الوحدات الموضوعية ، وأحياناً أذكر الآيات في تقوية الشواهد على المعنى من غير أن أتبعها بتحليل وتفسير .

٤/ أكثرت من الاستشهاد بأقوال المفسرين والعلماء في بيان كثير من المواقف التي عليها مدار الموضوعات أو حولها خلاف ، وذلك لمكانتهم العلمية التي تمنح البحث

قوته فهم خير من يقتدى بهم ويسار على نهجهم فقد تركوا لنا ثروة علمية نعجز عن استخراج كنوزها .

٥/ وقفت على بعض الكتابات الحديثة في هذا البحث في مجلات ودوريات ورسائل مع قلة مادة هذا البحث فيها لكني استفدت منها كثيراً في الوصول إلى بعض الفوائد والاستنباطات .

٦/ أبعدت عن هذه الدراسة فلسفة ومناقشات علماء النفس لهذا الموضوع ، وفي هذا إسهام لبحث هذا الموضوع في ضوء القرآن الكريم ، وما أحوجنا اليوم إلى التنقيب في مصادرنا حتى نعتز بها ونحقق ذاتيتها .

٧/ انتهجت في كتابة هذه الرسالة أسهل العبارات وأقربها إلى ذهن القارئ وفهمه وشرحت ما يمكن أن يشكل عليه في فهم بعض العبارات .

٨/ تجويداً لمادة البحث قمت بأخذ الآيات من الرسم العثماني مباشرة وضبطها بالشكل ، إضافة إلى بعض ألفاظ الحديث ، والكلمات التي يمكن أن تشكل على القارئ .

٩/ ترجمت لغالب الأعلام الذين ورد ذكرهم في ثنايا البحث عدا بعض الذين أغنت عنه شهرتهم عن الترجمة كأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

١٠/ عالجت الموضوعات التي جرى حولها الخلاف بين العلماء بالهدوء والإيجاز في استنباط النتائج والترجيحات .

١١/ رتبت قائمة المصادر والمراجع والأحاديث والأعلام على حسب الترتيب الهجائي ، أما القرآن الكريم فعلى حسب ترتيب المصحف .

١٢/ وفى ختام هذا البحث ذكرت أهم النتائج والتوصيات ثم أتبعت الخاتمة بالفهارس التي اشتملت على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأعلام والموضوعات .

خطة البحث :

اشتملت الدراسة على المقدمة وخمسة فصول وخمسة عشر مبحثاً وستة مطالب ، والخاتمة وأهم النتائج والتوصيات .

المقدمة

الإهداء .
أهمية الموضوع .
أسباب اختيار الموضوع .
الدراسات السابقة .
صعوبات البحث .
منهج البحث .
خطة البحث .
الفصل الأول : تعريف النسيان ودلالات القرآن الكريم على معانيه .
المبحث الأول : تعريف النسيان لغة واصطلاحاً .
المبحث الثاني : دلالات القرآن الكريم على معاني النسيان .
الفصل الثاني : مصادر النسيان .
المبحث الأول : الله تعالى .
المبحث الثاني : الشيطان .
المبحث الثالث : نفس الإنسان .
المبحث الرابع : الناس .
المبحث الخامس : متاع الدنيا .
الفصل الثالث : النسيان في حق الله تعالى .
المبحث الأول : تنزه الله تعالى عن النسيان .
المبحث الثاني : نسيان المقابلة .
المبحث الثالث : النسخ .
الفصل الرابع : الرسل والنسيان .
المبحث الأول : النسيان في حقهم .
المطلب الأول : النبي صلى الله عليه وسلم .
المطلب الثاني : موسى عليه السلام .
المطلب الثالث : آدم عليه السلام .
المطلب الرابع : يوسف عليه السلام .

المبحث الثاني نسيان ما آتوا به .
الفصل الخامس : النسيان والتكليف .
المبحث الأول : تعريف التكليف .
المبحث الثاني : النسيان المرفوع .
المبحث الثالث : نسيان التكليف .
المطلب الأول : دخوله تحت النهي .
المطلب الثاني : ترتيب العقاب على النسيان .
الخاتمة .
الفهارس .

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله الأمين .

وبعد : النسيان يطلق على الغلة عن الشئ وعدم التذكر ، وعلى الشئ الساقط الذي لا يلتفت له ، ويستعمل التأخير .

الغفلة اسم عام يدخل تحته النسيان والسهو ، ويجوز إطلاقها عليهما وتعريفهما به.

ورد النسيان في القرآن الكريم بمعاني متعددة ، عدم التذكر ، والشئ الساقط الذي لا يلتفت إليه ، والتأخير ، والترك ، والضلال ، كما ورد في السنة أيضاً .

الله تعالى منزه عن النسيان وما ورد في حقه من النسيان فهو من باب العقوبة .

النسيان طبع راسخ في الإنسان ، يظهر حين يمسه الضر يتجه إلى الله وبدعوه ، وعند الرخاء ينسى ذلك .

الشيطان ينسئ الإنسان بالوسوسة ينسيه صالح الأعمال ويقطعه عنها ويلبسها عليه ، ويدفعه إلى المعاصي ويعينه عليها .

الناس مصدر نسيان بفتنة بعضهم بعضاً .

محبة الإنسان للدنيا وانشغاله بها ينسيه ما خلق لأجله .

لا يجوز لنا أن نقول بالنسيان في حق الرسل إلا بما أخبرنا الله تعالى به .

إن معصية آدم عليه السلام لم تكن عزم وإنما صدرت منه في حال النسيان .

ذكر الله تعالى سبب للذكر فهو علاج للنسيان .

الناسي غير مكلف حال النسيان .

التجاوز عن النسيان من خصائص هذه الأمة .

النسيان الذي ليس عليه إثم هو الغالب على الإنسان مع حرصه .

النهي عن النسيان المراد به الترك .

أعظم العقوبات أن يُنسِي الله العبد نفسه .

الباحث

summary of Research

For gotten is term use for – absent–mind , failing to remember and for thing is putout of one's mind .

Absent – mind is wide name it can say for forget , missd .

In Quran forgetten is come in various meaning as : the thing is fail , not remembering , the thing is late and in Hadith also .

Allah is not as his creatures . what come form him means punshment .

Forgetten is natural thing in mankind and it appear when be lack of things .

The dvil in an enemy to people he make then forget .

The people is the source of forgetting by dis putes between themselves .

Loving of life it makes aman forget what is the purpose of create .

Is not permit for us to label messenger as : forgetful .

The cure of forgetting is to say Allah .

The mankind is not be asking what they forgetten .

Forgiveness of forgetten is one of the pillar of Islam .

Most of what man kind for got is not evil .

Forgetten is for bidden its means not to do .

Most of punishment is that Allah make people forget themselves .

The researcher

الفصل الأول : تعريف النسيان ودلالات القرآن الكريم على معانيه

وفيه مبحثان

المبحث الأول : تعريف النسيان لغة واصطلاحاً

المبحث الثاني : دلالات القرآن الكريم على معاني النسيان

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

تعريف الإنسان ودلالات القرآن الكريم على معانيه

المبحث الأول

تعريف النسيان لغة واصطلاحاً

النسيان له معنيان لغوي واصطلاحي :

فأما معناه لغة : فإن مادة نَسِيَ ، أصل غير مزيد ، النون والسين والياء أصلان صحيحان[١]، وهي تطلق على أمرين أساسيين .

الأول : تطلق على الغفلة عن الشيء وعدم التذكر تقول نسيت الشيء بفتح النون وكسر السين إذا لم تذكره نسياً له ، والنسيُّ الشئ المنسي الذي لا يذكر[٢].

الثاني : وتطلق على الشيء الساقط من متاع المرتحلين ونحوهم وهو يسمى (النِّسيُ) بكسر النون المشددة ، قال الشاعر الشنفرىُّ[٣].

كأن في الأرض نِسْياً تَقُصُّه * على أُمِّها وإن تخاطبك تَبْلَتِ**

فهذان إطلاقان في مادة (نسى)

وقد استعمل هذا اللفظ بمعان أخرى خارجة عن هذين الإطلاقين ، ومن ذلك : انه يستعمل مهموزاً بمعنى التأخير ومنه بيع الشيء نسيئه تقول : أنسأتك ، ونسأ الله في أجلك بمعنى أخّره وأبعده ، ونسئت المرأة تأخر حيضها عن وقتها فرجي أنها حبلي[٤].

ويستعمل أيضاً مهموزاً بمعنى العصا ، وبمعنى الحليب إذا خلط بالماء فمن الأول قول تعالى : (فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ)[٥] والمعنى ما علم الجن بموت سليمان إلا حينما رأوا الأرضة تأكل عصاه التي كان متكئاً عليها .

---

(١) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون (٤٢١/٥-٤٢٣) ، ط دار الجيل الطبعة الأولى ١٤١١هـ ، ١٩٩١م.
(٢) لسان العرب لابن منظور (٤٤١٧/٦) ، دار المعارف القاهرة د : ت .
(٣) الشنفرى : هو عمرو بن مالك – الأعلام للزركلي (١٧٧/٣) ط دار العلم للملايين ، بيروت الطبعة السابعة ١٩٨٧م .
(٤) معجم مقاييس اللغة (٤٢٣/٥) .
(٥) سورة سبأ الآية (١١٤).

من الثاني : قول القائل :

(١) سقوني النَّسء ثم تكنتَّفُوني * عُداةُ الله من كذب وزُورٍ**[١]

فإن النَّسْء في هذا البيت يراد به الحليب إذا خلط الماء والنِسْيَان : بكسر النون خلاف الذكر والحفظ ، ورجل نَسْيَان بفتح النون كثير النِسْيَان للشيء ، وتقول نَسِيت الشئ نِسياناً ن ولا تقل نَسَيَاناً بالتحريك لأن النَسَيَان إنما هو تشبيه نَسَا العرق[٢]، وأَنْسَانِيهِ الله ونسَّانيه تنسيةً بمعنى ، تناساه ، وأرى من نفسه أنه نسيه[٣].

يتبين من هذه الإطلاقات اللغوية واستعمالاتها أن معاني النسيان الغفلة عن الشيء وعدم التذكر ، ومعناه الشيء الساقط من متاع المرتحلين .

ويستعمل لفظ النسيان مهموزاً بمعنى التأخير ، وأيضاً بمعنى العصا وبمعنى الحليب إذا خلط بالماء .

أما النسيان اصطلاحاً : فقد اختلفت التعريفات الاصطلاحية للنسيان عند كل أهل الفنون كل بحسبه ، فقد عرفه من علماء اللغة الجرجاني[٤] : (هو الغفلة عن معلوم في غير حالة السنة[٥])[٦] . .

---

(١) في شعر عروة – ديوان بن الورد ص : (٩٠).

(٢) الأصمعي : النسا بالفتح مقصور عرق يخرج من ورك الدابة فيستبطن الفخذين ثم بالعرقوب فإذا سمنت الدابة انغلقت فخذاها بلحمتين عظيمتين ، وحرى بينهما واستبان – أنظر الصحاح لإسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار – (٢٥٠٨/٦)– دار العلم للملايين – الطبعة الثالثة ٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م.

(٣) الصحاح – نفس المصدر (٢٥٠٨/٦).

(٤) هو علي بن محمد بن علي المعروف بالشريف الجرجاني فيلسوف من كبار العلماء بالعربية ولد في تاكو قرب استراباد ودرس في شيراز ولما دخلها تيمور تيمور سنة ٧٨٩هـ فر إلى سمر قند ثم عاد إلى شيراز وتوفي بها له نحو خمسين مصنفاً منها التعريفات ، الأعلام للزركلي (٧/٥) .

(٥) السنة تطلق ويراد بها ما يتقدم النوم من الفتور/أنظر تفسير أبي السعود ،إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود (٢٨٨/١) – دار الفكر.

(٦) التعريفات للعلامة علي بن محمد بن علي السيد أو الحسن الحسين الجرجاني الحنفي ، ص (١٦٧)، دار الفكر – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م.

وقد ذكر له الأصوليون تعريفات عدة إليك بيانها :

فقد نقل لـه عبد العزيز البخاري[1] فـي كشف الأسرار تعريفات متعددة لم ينسبها إلى قائليها وهي[2] :

أولاً : قيل هو (معنى يعتري الإنسان بدون اختياره فيوجب له الغفلة عن الحفظ).

ثانياً : وقيل هو (عبارة عن الجهل الطارئ)

قال ويبطل مراد هذين التعريفين بالنوم والإغماء .

ثالثاً : وقيل (جهل الإنسان بما كان يعلمه ضرورة مع علمه بأمور كثيرة لا بآفة).

رابعاً : وقيل أنه (آفة تعترض للمخيلة مانعة من انطباع ما يرد من الذكر فيها).

وقيل هو أمر بديهي لا يحتاج إلى التعريف ، إذ كلٌ يعرف النسيان من نفسه .

ومن الأصوليين أيضاً عرفه ابن نجيم[3] الحنفي بقوله (عدم تذكر الشيء وقت حاجته)[4].

وعرفه علماء النفس بأنه (عجز طبيعي ، جزئي أو كلي ، دائم أو مؤقت ، عن تذكر ما كسبناه من معلومات ، ومهارات حركية)[5].

ويتبين مما ذكر أن هذه التعريفات والاطلاقات معناها واحد مهما اختلف التعبير هو " الغفلة عن الشيء وعدم التذكر " .

---

(1) هو عبد العزيز بن أحمد بن محمد علاء الدين البخاري فقيه حنفي من علماء الأصول من أهل بخارى له تصانيف منها شرح أصول البزدوي ، وكشف الأسرار وشرح المنتخب مات سنة ٧٣٠هـ /١٣٣٠م ، الأعلام للزركلي (١٣/٤) .

(2) كشف الأسرار للعلامة علاء الدين عز الدين بن ابن أحمد البخاري (٤٥٥/٤) ، دار الكتب العربي – بيروت الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

(3) ابن نجيم هو زين الدين بن إبراهيم بن محمد بن بكر المشهور ب (ابن نجيم) الحنفي ولد سنة (٩٢٦هـ) أنظر الأعلام للزركلي (٦٤/٣) .

(4)أنظر الأشباه والنظائر مع شرحه عجز عيون البصائر للحموي (٢٨٩/٤) تحقيق عبدالعزيز الوكيل ط : مؤسسة الحلبي د: ت .

(5) أصول علم النفس للدكتور أحمد عزت راجح ص (٣٠٩) – دار المعارف ١٠– لمطبعة الحادية عشر القاهرة .

مما جعل بعضهم يقول بأنه أمر بديهي لا يحتاج إلى تعريف إذ كل إنسان يعرف ذلك من نفسه ، ومنهم من وصفه بأنه عجز طبيعي ، وغير ذلك من أوصاف تصب في ذات المعنى الجامع لها.

الفرق بين النسيان والسهو والغفلة :

إن النسيان والسهو والغفلة عوارض تطرأ على عقل الإنسان ووجدانه ، وقد يفهم الكثير أنه لا فرق بينهما طالما كلها تدل على عدم التذكر والانتباه ، فإذا نظرنا في الفرق بين السهو والنسيان : فقد ذهب البعض إلى أنه لا علاقة لأحدهما بالآخر ، وقال البعض : الفروق في الواقع ليست فروقاً جوهرية بقدر ما هي فروق لفظية، وشتان بين الحالتين وإليك نماذج من تلك الفروق ،فرق العسكري[1] بين السهو والنسيان من وجوه :

الأول : أن النسيان إنما يكون عما كان ، والسهو عما لم يكن ، تقول نسيت ما عرفته ، ولا تقول سهوت عما عرفته ، وإنما تقول : سهوت عن السجود في الصلاة ، فتجعل السهو بدلاً عن السجود الذي لم يكن ، والسَّهْو والسُّهُو والمسهو عنه يتعاقبان .

الثاني : إن الإنسان إنما ينسى ما كان ذاكراً له ، والسهو يكون عن ذكر وعن غير ذكر ، لأنه خفاء المعنى بما يمتنع إدراكه .

الثالث : الشيء الواحد محال أن يسهى عنه في وقت ، ولا يسهى عنه في وقت آخر ، وإنما يسهى في القوت الآخر عن مثله ، ويجوز أن ينسى الشيء الواحد في وقت ، ويذكره في وقت آخر ، أ–هـ .

([1]) هو الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحي بن مهران العسكري أبو هلال عالم بالآداب له شعر من كتبه التلخيص في اللغة والفروق في اللغة وغيرها ، الأعلام للزركلي (١٩٦/٢) .

أما الفرق بين النسيان والغفلة ، فقد تقدم معنى النسيان في اللغة وفي الاصطلاح في المبحث السابق[١] .

أما الغفلة فلها معنيان أيضاً لغوي واصطلاحي :

أما الغفلة في اللغة : أن الغين والغاء واللام أصل صحيح يدل على ترك الشيء سهواً ، وربما كان عن عمد : تقول غفلت عن الشئ ، وغفولاً ، إذا تركته ساهياً ، وأغفلته إذا تركته وأنت له ذاكر ، ويقال للأرض التي لا علم بها أرض غفل ، ويقال : ناقة غفل أي : لا سمة عليها ، ورجل غُفْل لم يجرب الأمور[٢] ، ومنه قول تعالى (... وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا..)[٣] أي جعلناه غافلاً لبطلان استعداده للذكر بالمرة أو وجدناه غافلاً[٤] ..

أما الغفلة اصطلاحاً : هي متابعة النفس على ما تشتهيه ، وقيل : الغفلة إبطال الوقت بالبطالة ، وقيل : الغفلة عن الشيء ، هي ألا يخطر ذلك بباله[٥].

وذكر أيضاً صاحب الفروق فروقاً بين السهو أو النسيان ، وبين الغفلة من وجهين:

الأول : أن الغفلة تكون عما يكون ، تقول غفلت عن هذا الشيء حتى كان ، ولا تقول سهوت عنه حتى كان ، لأنك إذا سهوت عنه لم يكن ، ويجوز أن تغفل عنه ويكون .

الثاني : أن الغفلة تكون عن فعل الغير ، تقول : كنت غافلاً عما كان من فلان ، ولا يجوز أن يسهى عن فعل الغير[٦] .

ومما تقدم بيانه من فروق يتضح أن الغفلة اسم عام يندرج فيه النسيان وغيره ، فيقال للناسي غافل وللساهي أيضاً ، وبهذا لم يعد هناك إشكال في جواز إطلاقها عليهما ،

---

(١) الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري ص (٧٨) ضبط وتحقيق حسام الدين القدسي ، دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٧٨م.
(٢) معجم مقاييس اللغة (٣٨٦/٤) .
(٣) سورة الكهف الآية (١٢٨).
(٤) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٣٧٦/٣) ط : دار الفكر د: ت .
(٥) التعريفات للجرجاني ، ص (١١٦) .
(٦)الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ، ص (٧٨).

وتعريفهما بها وإن كانت أعم منهما ، فكل ناس أو ساهٍ غافل ، وليس كل غافل ناسياً وساهياً.

المبحث الثاني

دلالات القرآن الكريم على معاني النسيان :

إن معنى النسيان الذي يتبادر إلى الذهن بمجرد النطق بكلمة النسيان ، هو عدم التذكر ، وهو المعنى الأصلي للنسيان وهو الغالب في كلام العرب عند عدم تذكر الشيء أو أمر من الأمور عند الحاجة إليه ، وهو معنى عام عند الناس .

وإذا نظرنا بتدبر وتفكر إلى معاني النسيان من خلال القرآن الكريم نجد أن كثيراً من الآيات قد وردت بتلك المعاني التي أشارت إليها الاطلاقات اللغوية السابقة واستعمالاتها بل وبمعاني أكبر وأوسع وأكثر .

فمن وروده بمعنى عدم التذكر في القرآن الكريم وهو المعنى الأصلي للنسيان قوله تعالى: (وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً)[1]فإن المعنى : إذا نسيت أن تقول لشيء إني أفعله ، فنسيت أن تقول إن شاء الله ، فقلها إذا ذكرت قال ابن كثير[2] في تفسيره : (هذه الآية إرشاد من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم إلى الأدب فيما إذا عزم على شيء ليفعله في المستقبل أن يرد ذلك إلى مشيئة الله عز وجل علام الغيوب الذي يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون)[3].

وأورد . رحمه الله . وجهاً آخر في تفسير هذه الآية قال : (أن يكون الله تعالى قد أرشد من نسي الشيء في كلامه إلى ذكر الله تعالى ، لأن النسيان منشؤه الشيطان كما قال فتى موسى عليه السلام (وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ

---

(1) سورة الكهف الآية (٢٤).

(2) ابن كثير : هو الإمام المحدث الحافظ ذو الفضائل عماد الدين أبو الفداء إسماعيل عمر بن كثير البصروي قال الذهبي: الأمام المفتي المحدث البارع ثقة مصنف ، محدث متقن ، أنظر طبقات الحفاظ ص : (٥٣٤) ، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ط : دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م .

(3) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٠٨/٣- ١٠٩) ، دار الفيحاء ، دمشق الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

المبحث الثاني

دلالات القرآن الكريم على معاني النسيان :

إن معنى النسيان الذي يتبادر إلى الذهن بمجرد النطق بكلمة النسيان ، هو عدم التذكر ، وهو المعنى الأصلي للنسيان وهو الغالب في كلام العرب عند عدم تذكر الشيء أو أمر من الأمور عند الحاجة إليه ، وهو معنى عام عند الناس .

وإذا نظرنا بتدبر وتفكر إلى معاني النسيان من خلال القرآن الكريم نجد أن كثيراً من الآيات قد وردت بتلك المعاني التي أشارت إليها الاطلاقات اللغوية السابقة واستعمالاتها بل وبمعاني أكبر وأوسع وأكثر .

فمن وروده بمعنى عدم التذكر في القرآن الكريم وهو المعنى الأصلي للنسيان قوله تعالى: (وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً)[1]فإن المعنى : إذا نسيت أن تقول لشيء إني أفعله ، فنسيت أن تقول إن شاء الله ، فقلها إذا ذكرت قال ابن كثير[2] في تفسيره : (هذه الآية إرشاد من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم إلى الأدب فيما إذا عزم على شيء ليفعله في المستقبل أن يرد ذلك إلى مشيئة الله عز وجل علام الغيوب الذي يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون)[3].

وأورد . رحمه الله . وجهاً آخر في تفسير هذه الآية قال : (أن يكون الله تعالى قد أرشد من نسي الشيء في كلامه إلى ذكر الله تعالى ، لأن النسيان منشؤه الشيطان كما قال فتى موسى عليه السلام (وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ

---

(1) سورة الكهف الآية (٢٤).

(2) ابن كثير : هو الإمام المحدث الحافظ ذو الفضائل عماد الدين أبو الفداء إسماعيل عمر بن كثير البصروي قال الذهبي: الأمام المفتي المحدث البارع ثقة مصنف ، محدث متقن ، أنظر طبقات الحفاظ ص : (٥٣٤) ، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ط : دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م .

(3) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٠٨/٣- ١٠٩) ، دار الفيحاء ، دمشق الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

أَذْكُرَهُ)[1]وذكر الله تعالى يطرد الشيطان فإذا ذهب الشيطان ذهب النسيان ، فذكر الله تعالى سبب للذكر ومن ذلك أيضاً قوله (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)[2] .

وفي قوله تعالى في قصة موسى وفتاه (فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً)[3] وقوله تعالى حكاية عنهما (قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ)[4] فإن المراد أيضاً في هذين الموضعين عدم الذكر أي التذكر .

ومن وروده بمعنى الشيء الساقط الذي لا يلتفت إليه في قوله تعالى حكاية عن مريم عليها السلام (قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً)[5] بمعنى الشيء الذي ، نُسِيَ فترك طلبه كخرق الحيض التي إذا ألقيت وطرحت لم تطلب ولم تذكر ، وكذلك كل شيء نُسي وترك فهو نَسي[6].

وجاء النسيان في القرآن الكريم بمعنى التأخير في قوله تعالى : (مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) على قراءة (ننسأها)[7] مهموزاً بمعنى : نؤخرها عن النسخ إلى وقت معلوم ومن قولهم نسأت هذا الأمر إذا أخرته[8].

---

(1) سورة الكهف الآية (٦٣).
(2) سورة الأنعام الآية (٦٨).
(3) سورة الكهف الآية (٦١).
(4) سورة الكهف الآية (٦٣).
(5) سورة مريم الآية (٢٣).
(6) تفسير القرآن العظيم (١٥٩/٣) ، وأنظر فتح القدير للشوكاني (٣٧٠/٣) طبعة دار الخبر الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
(7) سورة البقرة الآية (١٠٦) ، (ننساها) بفتح النون والسين والهمز قرأ أبو عمر وابن كثير، انظر النشر في القراءات العشر (٢٢٠/٢) للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي ، ط : مكتبة الرياض الحديثة ، د : ت .
(8) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ٦٧/١ طبعة دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٢ ، بيروت لبنان.

واستعمل لفظ النسيان أيضاً في القرآن الكريم بمعنى الترك ولذلك أمثلة كثيرة منها قوله تعالى : (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً)[1] فإن النسيان هنا بمعنى الترك[2] ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً)[3] والمراد بالنسيان هنا ترك العمل بما وقع به العهد إليه فيه ، وقيل النسيان على حقيقته [4].

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)[5] والمعنى لما تركوا أمر الله وارتكبوا نواهيه تركهم الله من رحمته عقوبة لهم ، لأن النسيان لا يصح إطلاقه بمعناه الحقيقي في حق المولى تبارك وتعالى[6].

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ)[7] أي تتركون، والنسيان بكسر النون يكون بمعنى الترك ، وهو المراد هنا[8] وقوله سبحانه وتعالى (وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ

---

(1) سورة الكهف الآية (٥٧).
(2) أنظر فتح القدير للشوكاني (٣٣٣/٣) ، الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله الغزيز للإمام الشيخ أبي عبد الله الحسين بن محمد الأفغاني ص (١٣٤١) تحقيق عربي عبد الحميد ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠٢م – ١٤٢٤م.
(3) سورة الكهف الآية (١١٥).
(4) فتح القدير للشوكاني (٤٣٧/٣).
(5) سورة التوبة الآية (٦٧).
(6) فتح القدير للشوكاني (٣٧٩/٢).
(7) سورة البقرة الآية (٤٤).
(8) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٦٨/١).

اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)[1] وقوله سبحانه(وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ)[2] وآيات كثيرة بهذا المعنى .

وجاء النسيان في القرآن الكريم بمعنى الضلال وذلك في قوله تعالى من أية الدين (وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى)[3]. والمعنى أن تنسى إحداهما فتذكرها الأخرى[4] .

وكما ورد ذكر النسيان في القرآن الكريم جاء ذكره أيضاً في السنة النبوية الكريمة، ومن ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (من نسي صلاة فليصليها إذا ذكرها)[5] وقوله صلى الله عليه وسلم: " من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه)[6] ورود النسيان في هذين الموضوعين يراد به عدم الذكر .

([1]) سورة البقرة الآية (٢٣٧).
([2]) سورة الأنعام الآية (٤١).
([3]) سورة البقرة الآية (٢٨٢) .
([4]) انظر تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (١٢٦/٣) ط : دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ /١٩٩٢م ، وانظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي عبد الحق بن عطية الأندلسي (٥١١/٢) ، ط: مؤسسة دار العلوم - الدوحة ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ /١٩٨١م ، وانظر الجامع لأحكام القرآن (٣٩٧/٣) .
([5]) مسلم ح (٦٨٤) ، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها ،(٤٧١/١-٤٧٧) ، ط : دار الفكر ، د، ت
([6]) مسلم ح (١١٥٥) ، (٨٠٩/٢) .

دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	النسيان في ضوء القرآن الكريم : دراسة موضوعية
المؤلف الرئيسي:	أحمد، أحمد الحاج حسن
مؤلفين آخرين:	عبد القادر، الطاهر أحمد(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2006
موقع:	أم درمان
الصفحات:	1 - 203
رقم MD:	561514
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة أم درمان الاسلامية
الكلية:	كلية أصول الدين
الدولة:	السودان
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	علوم القرآن، السور والآيات، النسيان في القرآن
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/561514

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الفصل الثاني : مصادر النسيان

وفيه خمسة مباحث

المبحث الأول : الله تعالى

المبحث الثاني : الشيطان

المبحث الثالث : نفس الإنسان

المبحث الرابع : الناس

المبحث الخامس : متاع الدنيا

الفصل الثاني : مصادر النسيان

المبحث الأول

الله تعالى

إن سبحانه وتعالى لا يخرج عن علمه شيء ، وهو العدل المنزه عن الظلم لأحد من عباده ، وهو بهم رءوف رحيم وأنزل لهم من البينات والهدى ما يذكرهم ويقربهم إليه عز وجل وإن صدور النسيان من الله تعالى لعباده بمعنى تركهم عقوبة لتركهم طاعة ربهم وتقواه ولا يظلم سبحانه أحداً وهو سبحانه يجازي عباده من جنس أعمالهم كما قال تعالى (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى)[1] وكما قال تعالى : (لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً)[2] وكما قال تعالى : (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ)[3] وإلى هذا المعنى أشار قول النبي صلى الله عليه وسلم : " ...أحفظ الله تجده تجاهك"[4].

كما أن العبد ينسى أمر ربه ويعرض عن الالتزام بدينه ينسيه الله تعالى نفسه ، ويبعده عن التوفيق إلى الهدى والحق[5] .

يقول تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ*وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)[6]

([1]) سورة النجم الآية (٣١).
([2]) سورة النساء الآية (١٢٣).
([3]) سورة البقرة الآية (١٥٢).
([4]) أخرجه الترمذي (٢٥١٦) وقال : حديث حسن صحيح.
([5]) انظر جامع العلوم والحكم للإمام الحافظ الفقيه زين الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين البغدادي الدمشقي ص : (٣٥٠) ، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد ، دار ابن الجوزي الدمام الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م .
([6]) سورة الحشر الآية (١٨ – ١٩).

أمر الله تعالى بتقواه التي هي طاعته في ما أمر والانتهاء عما نهى عنه وزجر وأن يعبد سبحانه وفق ما شرع من الهدى والبينات الواضحات .

يقول الألوسي[1] رحمه الله في تفسير هذه الآية : " وأمر بإعداد العدة لليوم الآخر الذي هو غداً ، لأن الدنيا كيوم والآخرة غده "[2] وفي ذلك حث عظيم على النظر والتدبر والتفكر في العاقبة وعدم الغفلة .

وقد أوضح ابن عاشور[3] ذلك في قوله : " وبعد أن أمر تعالى المؤمنين بالتقوى وإعداد العدة للآخرة أعقبه بهذا النهي والتحذير تحذيراً عن الإعراض عن الدين والتغافل عن التقوى ، وأن ذلك يفضي إلى الفسوق ، وجيء في النهي بنهيهم عن حالة قوم تحققت فيهم هذه الصلة ليكون النهي عن إضاعة التقوى مصوراً في صورة محسوسة هي صورة قوم تحققت فيهم تلك الصلة وهم الذين اعرضوا عن التقوى "[4] أي لا يكن حالكم كحال قوم تركوا العمل بحقوق الله التي أوجبها على عباده ، وذلك بأن تركوا أمره وطاعته ، أو ما قدروا الله حق قدره ، ولم يراعوا مواجب أمره سبحانه ونواهيه حق رعايتها ، ولم يخافوه ، وقيل نسوا الله في الرخاء فأنساهم أنفسهم في الشدائد أن يذكر بعضهم بعضاً ، وقيل نسوا الله بترك شكره وتعظيمه[5].

وفي ذلك نهي من الله تعالى لعبادة المؤمنين أن يتشبهوا بمن نسيه وترك تقواه .

---

(1) الألوسي هو قائمة المحققين وإمام المفسرين أبو الثناء شهاب الدين : السيد الإمام : محمود عبد الله الألوسي البغدادي الحنفي مفتي بغداد وعالم فترة حياته (١٢١٧هـ -١٢٧٠م) أنظر المفسرون بين التأويل والإثبات والآيات والصفات (٢٤١/٢١) لمحمد بن عبدالرحمن الفرازي الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م دار طيبة للنشر .

(2) تفسير روح المعاني للعلامة الألوسي ٢٨١/ ص ٦٠ ، ك د إحياء التراث العربي – بيروت.

(3) ابن عاشور هو محمد الطاهر بن عاشور رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس له مصنفات مطبوعة من أشهرها : مقاصد الشريعة الإسلامية وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام ، : التحرير والتنوير في تفسير القرآن – أنظر الإعلام للزركلي (١٧٤/٦) .

(4) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور التونسي (١٦١/٢٨)– ط مؤسسة التاريخ – بيروت الطبعة الأولي ١٤٢٠هـ.

(5) أنظر روح المعاني (٦٠/٢٨) وأنظر فتح البيان في مقاصد القرآن للعلامة أبي الطيب صديق ابن حسن بن علي الحسيني القنوجي البخاري (٤١/٧) ط دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م وأنظر تفسير الطبري (٥٠/١٢) ، وأنظر تفسير أبي السعود (٧/٥-٩).

ومن خلال ما تقدم نجد أن نسيان العباد لله جل وعلا بترك حقوقه التي أوجبها ، وذلك بالإعراض عن أوامره بالعصيان ونواهيه بارتكابها ، وعدم تقديره سبحانه حق القدر والتعظيم وشكر نعمه .

إلا أننا نجد أن هذا الإعراض قد يختلف من شخص لآخر بحسب ما يقترفه من المعاصي والذنوب ، وهذا ما أشار إليه ابن عاشور .رحمه الله .بقوله : (وهذا الإعراض مراتب قد تنتهي إلى الكفر الذي تلبس به اليهود وإلى النفاق الذي تلبس به فريق ممن أظهروا الإسلام في أول سنيّ الهجرة ، وظاهر الموصول " (... كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ ...)[1] أنه لطائفة معهودة فيحتمل أن يراد بهم المنافقين لأنهم مشركين ولم يهتدوا للتوحيد بهدى الإسلام فعبر عن النفاق بنسيان الله لأنه جهل بصفات الله من التوحيد والكمال ، وعبر عنهم بالفاسقين في قوله تعالى : (...نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)[2] فتكون هذه الآية ناظرة إلى تلك .

ويحتمل أن يكون المراد بهم اليهود لأنهم أضاعوا دينهم ولم يقبلوا رسالة عيسى عليه السلام وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى هذا فالمعنى أنهم نسوا دين الله وميثاقه الذي واثقهم به ، قال تعالى (ا وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ*وَآمِنُواْ بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ)[3].

وقد أطلق تعالى نسيانهم على الترك عن عمد فنسوا دلائل توحيد الله ودلائل صفاته ودلائل صدق رسوله صلى الله عليه وسلم وفهم كتابه[4]

([1]) سورة الحشر الآية (١٩).
([2]) سورة التوبة الآية (٦٧).
([3]) سورة البقرة الآيات (٤٠ -٤١).
([4]) انظر التحرير والتنوير (٢٨١/١٩٩-١٠١).

وتأتي هذه الأحوال والمراتب في النسيان لله تعالى من عباده بعد بيان دلائل توحيده العظيمة وأسمائه وصفاته العليا وما جاءت به رسله من كتب محكمة الآيات والبراهين فلم تنفعهم حواسهم ومداركهم بأن ينتفعوا بهدى ربهم المبين .

فتلك حالة من الضلال عجيبة ، يقول الأستاذ سيد قطب[1] رحمه الله في ذلك : (وهي حالة عجيبة ولكنها حقيقة فالذي ينسى الله يهيم في هذه الحياة بلا رابطة تشده إلى أفق أعلى وبلا هدف بهذه الحياة يرفعه عن السائمة التي ترعي ، وفي هذا نسيان لإنسانيته ، وهذه الحقيقة تضاف إليها أو تنشأ عنها حقيقة أخرى وهي نسيان هذا المخلوق لنفسه فلا يدخر لها زاداً للحياة الطويلة ، ولا ينظر فيما قدم لها في الغداة من رصيد)[2].

وعلى هذا كان الجزاء من جنس أحوالهم من الضلال والإعراض عن أمره سبحانه وتعالى جزاءً من جنس العمل فعبر سبحانه عما خصهم به من الضلالة بقوله (...فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ...)[3] يقول ابن عطية[4] رحمه الله (سمي عقوبتهم باسم ذنبهم بوجه ما وهذا أيضاً هو الجزاء بالذنب على الذنب فكسبوا هم نسيان جهة الله تعالى فعاقبهم تعالى بأن جعلهم ينسون أنفسهم)[5].

---

(1) هو سيد قطب إبراهيم حسين شاذلي ولد في قرية مويشه إحدى قرى محافظة أسيوط في صعيد مصر عام ١٩٠٦م تخرج في دار العلوم وحصل على شهادة لنساس الأولى مع دبلوم في التربية عام ١٩٣٣م ، وهو أديب وناقد ، له نظر في فلسفية عميقة وقصائد وجدانية وعاطفية وقد أقبل في الأربعينات على دراسة القرآن الكريم وأنضم على جماعة الإخوان المسلمين وأعدمه جمال عبد الناصر يوم ١٩٦٦/٨/٢٨م مخلفاً وراءه حوالي ٢٥ مؤلفاً من أبرزها ظلال القرآن الكريم ، أنظر مدخل إلى القرآن للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي ج ٥٤٣/٣ ط دار الشروق.

(2) في ظلال القرآن الكريم ج ٣٥٣١/٦ ط دار الشروق المطبعة الشرعية الأولي ١٩٧٢م الطبعة الحادية عشر.

(3) سورة الحشر الآية (١٩).

(4) هو القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ن عطية الأندلسي ولد سنة ٤٨١ هـ وتوفي ٥٤١هـ كان فقيهاً ومحدثاً ومن أشهر مصنفاته المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز الأعلام للزركلي (٥٣/٤).

(5) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج (٣٩٠/١١) .

ونسب الله الفعل إلى نفسه (فأنساهم) إيذاناً بأن ذلك بسبب أمره ونهيه الذي تركوه وأشعر فاء التسبب بان إنساء الله إياهم أنفسهم مسبب على نسيانهم دين الله لما أعرضوا عن الهدى بكسبهم وإرادتهم عاقبهم الله بأن خلق فيهم نسيان أنفسهم .

وذلك بأن الله لم يخلق في مداركهم التفطن لفهم الهدى الإسلامي فجعلهم ناسين لأنفسهم بسبب نسيانهم له فلم ينشغلوا بالأعمال الصالحة التي تنجيهم من عذاب الله ولم يكفوا عن المعاصي التي توقعهم فيه فنسوا بذلك حظوظ أنفسهم كما قال سفيان[1] رحمه الله : (نسوا حق الله فأنساهم حق أنفسهم)[2].

ويؤخذ من ذلك أن من نسي حق الله بالترك أو الغفلة عنه كان مضيعاً لحقوق نفسه وحظها من الهدى والرحمة والقرب منه سبحانه وتعالى كما أشار فوله عز وجل (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)[3].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية[4] رحمه الله في تفسيره : (فهو يدل على أن نسيان الرب موجب لنسيان النفس وحينئذ فمن ذكر الله ولم ينسه يكون ذاكراً لنفسه ، فإنه لو كان ناسياً لها ، سواءً ذكر الله أو نسيه لم يكن نسيانها مسبب عن نسيان الرب ، فلما دلت الآية على أن نسيان الإنسان نفسه سبب عن نسيانه لربه دلّ على أن الذاكر لربه لا يحصل له هذا النسيان لنفسه ، والذكر يتضمن ذكر ما قد علمه – فمن ذكر ما يعلمه من ربه ذكر ما يعلمه من نفسه ، وهو قد ولد على الفطرة التي تقتضي أنه يعرف ربه ويحبه ويوحده فإذا لم ينس ربه الذي عرفه ، بل ذكره على

---

(1) **هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي أحد الأئمة الأعلام من الثقات قال ابن المبارك : كتبت من ألف ومائة ما كتبت من أفضل من سفيان مات سنة ١٦١هـ أنظر طبقات الحفاظ (٩٠).**

(2) أنظر الجامع لأحكام القرآن (٤٣/١٨)، وأنظر التحرير والتنوير (١٠١/٢٨)، وأنظر فتح القدير (٢٣٧/٥) .

(3) سورة الحشر الآية (١٩).

(4) هو شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم تقي الدين أبو العباس الحنبلي المعروف بابن تيمية استوعب الفقه والحديث والتفسير وغيرهما وهو ابن بضع عشرة سنة ، وسمي محي السنة وأمام المهتدين وهو ابن ثلاثين مات سنة ٧٢٨هـ ، أنظر أعجام الأعلام (ص ١٠) ، لمحمود مصطفى ط : دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، د : ت .

الوجه الذي يقتضي محبته ومعرفته وتوحيده ، ذكر نفسه ، فأبصر ما كان فيها قبل من معرفة الله ومحبته وتوحيده) [1] .

(1) دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية ٢١٣/٥ ط مؤسسة علوم القرآن – بيروت – الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م تحقيق دكتور محمد السيد الخليقة.

المبحث الثاني

الشيطان

إن عداوة الشيطان لابن آدم عداوة قديمة متأصلة منذ أن خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه وأمر الملائكة بالسجود له ، فامتنع عدو الله عن السجود لآدم في كبرياء وإعراض عن أمر الله له واحتجاجٍ بأنه خير منه فكان عاقبة استكباره وكفره أن حقت عليه الغواية واللعنة من الله إلى يوم الدين .

وسأل الله أن ينظره فأنظره ثم قال عدو الله متوعداً بالعداوة والكيد (قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ)[1] .

وبعد أن حقت عليه اللعنة من الله جزاء عصيانه وكبريائه نذر نفسه لإغواء بني آدم بأن يقعد لهم على صراط الله المستقيم الموصل إلى جنته ورضوانه ، فإن القاعد على الشئ ملازم له فكأنه قال : لألزمنه ولأعوجنه [2].

يقول ابن عطية: والمعنى : لأتعرضن لهم في طريق شرعك وعبادتك ومنهج النجاة فلأصدنهم عنه ، وهذا توكيد من إبليس في انه يجد في إغواء بني آدم)[3]

فكانت عداوته من كل جهة من بين أيديهم ومن خلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم ، وقد تعددت أقوال المفسرين في تفسير هذه الجهات التي توعد إبليس أن يأتي بها بني آدم ، قيل من بين أيديهم ، أشككهم في آخرتهم حتى يكذبوا بها ومن خلفهم ، في دنياهم أرغبهم فيها وأزينها لهم وأشهيها لهم ، وعن أيمانهم ، من قبل

([1]) سورة الأعراف الآيات (١٦-١٧).
([2]) أنظر إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لشمس الدين أبي عبد الله محمد ابن قيم الجوزية ، ص (١٠٧) ط مكتبة الصغار القاهرة – الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
([3]) المحرر الوجيز (ج٥/٤٤٦-٤٤٧) .

حسناتهم أثبطهم عنها ، وعن شمائلهم ، من قبل السيئات يأمرهم بها ويحثهم عليها ويزينها في أعينهم ، ومن حيث يبصرون ومن حيث لا يبصرون[1] .

فالسبل التي يسلكها الإنسان أربعة لا غير ، فإنه تارة يأخذ على جهة يمينه وتارة على شماله وتارة أمامه وتارة خلفه ، فأي سبيل من هذه وجدك عليها رصيداً له ، فإن سلكها في طاعة وجده عليها يثبطه عنها ويقطعه أو يعوقه ويبطئه، وإن سلكها لمعصية وجده عليها حاملاً له ، وخادماً ومعيناً ومهيئاً[2] .

يقول ابن عطية : (ومقصد هذه الآية أن إبليس أخبر عن نفسه أنه يأتي لإضلال ابن آدم من كل جهة ، وعلى كل طريق ، يفسد عليه ما أمكنه من معتقده، وينسيه صالح أعمال الآخرة ، ويغريه بقبيح أعمال الدنيا ، فعبر عن ذلك بألفاظ تقتضي الإحاطة بهم)[3] .

ويشير إلى ذلك ما رواه سبرة بن أبي فاكه[4] – رضي الله عنه – قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه ، قعد في طريق الإسلام فقال : تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء آبائك؟ فعصاه وأسلم ، وقعد بطريق الهجرة ، فقال تهاجر وتذر أرضك وسماءك . وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول ، فعصاه فهاجر ، ثم قعد له بطريق الجهاد ، فقال : تجاهد؟ فهو جهد النفس والمال ، فتقاتل فتقتل ، فتنكح المرأة ويقسم المال؟ فعصاه فجاهد ، قال

---

(1) أنظر الجامع لأحكام القرآن (ج١٧٦/٧) ، وأنظر روح المعاني الألوسي (ج١٩٥/٨) ، وأنظر تفسير البغوي (ج١٥١/٢-١٥٢) ط – درا المعرفة بيروت الطبعة الأولى – دمشق الطبعة الثانية ١٤٠٦ه، - ١٩٨٦م ، وأنظر زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ط ١٧٦/٣-١٧٧ المكتب الإسلامي – دمشق الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م وأنظر بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم الجوزية جمع وتوثيق وتخريج يسرى السيد محمد (١٩٦/٢) ط دار ابن الجوزي المملكة العربية السعودية الدمام الطبعة الأولى ١٤١٤ه، - ١٩٩٣م.

(2) أنظر بدائع التفسير (١٩٨/٢).

(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤٤٧/٥).

(4) هو سبرة بن الفاكه ويقال بن أبي الفاكه قيل إنه مخزومي وذكر ابن أبي عاصم أنه أسدي من أسد بن خذيمة روى عنه سالم بن أبي الجعد وغيره ، أسد الغابة (١٩٠/٢) ط : المكتبة التجارية دار الفكر الطبعة الأولى ١٤١٤هـ /١٩٩٣م .

رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فمن فعل ذلك كان حقاً على الله أن يدخله الجنة أو وقصته دابته كان حقاً على الله أن يدخله الجنة)[1] .

واتخذ لنفسه مركزاً يبعث منه سراياه من ذريته في نواحي الأرض لفتنة الناس وإغوائهم والتحرش بهم كما جاء في الصحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى عليه وسلم : "إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه ، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة ، يجيء أحدهم فيقول : فعلت كذا وكذا ، فيقول ما صنعت شيئاً ، قال ثم يجيء أحدهم فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته ، قال فيدنيه منه ويقول : نعم أنت "[2] .

فالممدوح والمقرب إليه من ذريته الذي يبلغ الغاية التي يريدها وأن مع كل إنسان شيطاناً وكل به فهو مقترن به لا يفارقه أبداً .

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال ك قال رسول الله صلى عليه وسلم " ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن" قالوا : وإياك ؟ يا رسول الله قال : " وإيَّايَ ، إلا أن الله أعانني عليه فاسلم ، فلا يأمرني إلا بخير"[3] وفي هذا الحديث إشارة إلى التحذير من القرين ووسوسته وإغوائه بأنه معنا لنحترز منه بحسب الإمكان[4].

فهو مع الإنسان ملازم له وقد جعل الله سبحانه وتعالى له دخولاً في جوف العبد ونفوذاً إلى قلبه وصدره فهو يجري منه مجرى الدم في العروق ، كما في الصحيحين عن صفية بنت حيي زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : " كان

---

(1) النسائي (٦/٢١ -٢٢) الجهاد – ما لمن أسلم وهاجر وجاهد – واللفظ له – وإسناده حسن وقال الحافظ في الإصابة صححه ابن حبان – أنظر الإصابة (٣/٤١) ، دار العلوم الحديثة – الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ.

(2) مسلم (٢٨١٣) باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان شيطان(٤/١٢٦٧).

(3) مسلم (٢٧١٤).

(4) أنظر مسلم بشرح النووي (١٧/١٣٠) ط: دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٥هـ -١٩٩٥م تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

رسول الله صلى عليه وسلم معتكفاً فأتيته أزوره ليلاً فحدثته ثم قمت لانقلب فقام معي ليقلبني، وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد ، فمر رجلان من الأنصار فلما رأيا رسول الله صلى عليه وسلم أسرعا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : على رسلكما إنها صفية بنت حيي " فقالا : سبحان الله يا رسول الله " قال : إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شراً أو قال شيئاً"[1] قال القاضي[2]وغيره : " قيل هو على ظاهره وإن الله تعالى جعل له قوة وقدرة على الجري في باطن الإنسان لا يفارق الإنسان كما لا يفارقه دمه وقيل : يلقي وسوسته في مسام لطيفه من البدن فتصل الوسوسة إلى القلب "[3] ونحو ذلك أيضاً ما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول صلى الله عليه وسلم: (إن للشيطان لمَّة بابن آدم ، وللملك لمَّة ، فأما لمَّة الشيطان ، فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما لمَّة الملك ، فإيعاد بالخير، وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك، فليعلم أنه من الله ، فليحمد الله ، ومن وجد الأخرى ، فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قرأ (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) البقرة (٢٦٨)[4].

وقد وردت الأحاديث كثيرة مستفيضة في وسوسة الشيطان وكيف ينسى العبد ويستدرجه ويلبس عليه ويحول بين وبين إخلاصه وخشوعه نورد منها جملة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين ، فإذا قضى النداء أقبل ،

---

(1) البخاري للأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ح (٢٠٣٥) باب الاعتكاف بلفظ إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم ، ط : دار السلام الرياض الطبعة الأولى ١٤١٧ه ـ ١٩٩٧م ، ومسلم ح(٢١٧٥) (١٧١٢/٤) باب بيان أنه يستحب لمن رئي خالياً بامرأة وكانت زوجته.

(2) هو القاضي عياض أبو الفضل وإمام وقته في النحو واللغة وكلام العرب وأيامهم والحديث وعلومه تولى قضاء قرناطة وله مؤلفات كثيرة منها الشفاء ، شرح مسلم ، مشارق الأنوار وغيرها توفي سنة ٥٤٤هـ ، انظر أعجام الأعلام ص : (١٦١) .

(3) مسلم بشرح النووي (١٣١/١٤).

(4) الترمذي لأبي عيسى محمد بن سورة ح : (٤٠٧٣) أبواب تفسير القرآن (٢٨٨/٤) وقال حسن غريب ط : دار الفكر الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م.

حتى إذا ثوَّب بالصلاة أدبر، حتى إذا قضى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه يقول : أذكر كذا ، اذكر كذا لما يكن يذكر – حتى يظل الرجل لا يدري كم صلى)[1].

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله صلى عليه وسلم قال : (إن أحدكم إذا قام يصلي جاء الشيطان فلبس عليه حتى لا يدري كم صلى ، فإذا وجد ذلك أحدكم فليسجد سجدتين وهو جالس)[2] وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الشيطان ليلطف بالرجل في صلاته ليقطع عليه صلاته فإذا أعياه نفخ في دبره ، فإذا أحس أحدكم من ذلك شيئاً فلا ينصرف حتى يجد ريحاً أو يسمع صوتاً) [3].

ومن وسوسته أيضاً ما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا من خلق كذا ، حتى يقول من خلق الله ، فمن وجد ذلك فليستعذ بالله ولينته) [4].

ومن وسوسته أيضاً أن يشتغل القلب بحديثه حتى ينسيه ما يريد أن يفعله ، ولهذا يضاف النسيان إليه إضافته إلى سببه ، قال تعالى حكاية عن صاحب موسى إنه قال : (...فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ...) [5].[6]

---

(1) البخاري ح (٦٠٨) باب فضل التأذين ، ومسلم ح (٣٨٩) باب فضل الأذان وهرب الشيطان عن سماعه (٢٩٠/١) .
(2) البخاري (١٢٣٢) باب السهو في الفرض والتطوع.
(3) الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٤٢/١-٢٤٣) وقال رواه الطبراني ورجاله موثوقون ط : دار الكتاب العربي بيروت ، د : ت .
(4) البخاري ح (٣٢٧٦) باب صفة إبليس وجنوده ، ومسلم ح (١٣٤) باب بيان الوسوسة في الغيمان وما يقوله من وجودها (١٢٠/١) .
(5) سورة الكهف الآية (٦٣) .
(6) أنظر بدائع الفوائد (٤٩٨) لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية ط : دار البيان – الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م تحقيق وتخريج وتطبيق بشير محمد عيون.

ومما تقدم إن كيد الشيطان للإنسان يكون بإلقاء الوسوسة في قلبه فيها ينسيه صالح الأعمال ويثبطه ويقطعه عنها ويلبسها عليه . ويغريه بقبيح المعاصي يحمله عليها ويخدمه ويعينه ويمنيه بها ويشهيها إليه .

فالوسوسة كيده وبها وصفه الله تعالى في قوله (مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ*الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ)[1]

ففي هذه الآيات وصف للشيطان بشره وكيده ، فذكر سبحانه وسوسته وذكر محلها وأنها في صدور الناس .

فهي منه متكررة على الدوام لأنها مصدر البلاء والشر . وتأمل كيف جاء بناء الوسواس وجاء بناء الخناس على ون (الفعَّال) الذي يتكرر منه الفعل ، لأنه كلما ذكر الله انخنس ، ثم إذا غفل العبد عاوده بالوسوسة فجاء مطابقاً لمعنيهما[2].

وأورد ابن كثير عن ابن عباس[3] رضي الله عنهما في قوله تعالي (الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ)[4] قال : (الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا سها وغفل وسوس ، فإذا ذكر الله خنس)[5].

ويقول ابن القيم[6] : (وتأمل حكمة القرآن وجلالته كيف أوقع الاستعاذة من شر الشيطان الموصوف بأنه الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس ، ولم يقل من شر وسوسته لتعم الاستعاذة شره جميعه فإن قوله تعالى (من شر

---

(1) سورة الناس الآيات (٤ ، ٥).
(2) بدائع الفوائد ص (٤٩٩)
(3) هو عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هشام بن عبد مناف أبو العباس القرشي الهاشمي ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم كني بابنه العباس وهو أكبر ولده وأمه لبابة بنت الحارث ابن حزن الهلالية وهو ابن خالة خالد بن الوليد ويسمى حبر الأمة ، أسد الغابة (١٨٥/٣ ـ ١٨٦) .
(4) سورة الناس الآية (٤).
(5) تفسير القرآن العظيم (٧٤٨/٤)، وأنظر تفسير البغوي ج (٥٤٨/٤) .
(6) هو محمد بن أبي بكر بن أبو بكر بن سعد بن جريز الزرعي ، شمس الدين بن القيم الجوزية الحنبلي توفي عام ٧٩١هـ وكان ملازماً لشيخه بن تيمية ، كما أنه كان كثير الاشتغال بالعبادة وله العيد من المؤلفات – دار الميعاد وبدائع التفسير والداء والدواء والفوائد ومفتاح السعادة وجاري الأرواح إلى بلاد الأفراح وغيرها كثير توفي سنة ٧٥١هـ، أنظر الدرر الكامنة (٣٠٤/٣) للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ط : دار الهند ، د : ت .

الوسواس..) يعم كل شره ووصفه بأعظم صفاته وأشدها شراً وأقواها تأثيراً وأعمها فساداً ، وهي الوسوسة التي هي مبادئ الإرادة فإن القلب يكون فارغاً من الشر والمعصية ، فيوسوس إليه ويخطر الذنب بباله ، فيصوره لنفسه ويمنيه ويشهيه ، فيصير شهوة ويزينها له ، ويخيلها له في خيال تميل نفسه إليه ، فيصير إرادة ، ثم لا يزال يمثل ويخيل ويمني ويشهي وينسي علمه بضررها ، ويطوي عنه سوء عاقبتها ، فيحول بينه وبين مطالعته ، فلا يرى إلا صورة المعصية والتذاذه بها فقط ، ونسي ما وراء ذلك فتصير الإرادة عزيمة جازمة فيشتد الحرص عليها من القلب ن فيبعث الجنود في الطلب ، فيبعث الشيطان معهم مدداً لهم وعوناً ، فإن فتروا حركهم وإن أوونوا أزعجهم كما قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً﴾[1] أي تزعجهم على المعاصي إزعاجاً ، كلما فتروا أو نوا أزعجتهم وأثارتهم ، فلا تزال بالعبد تقوده إلى الذنب وتنظم شمل الاجتماع بألطف حيلة وأتم مكيدة.

فأصل كل معصية وبلاء إنما هو الوسوسة ، فلهذا وصفه بها لتكون الاستعاذة من شرها أهم من كل مستعاذ منه ، وإلا فشره بغير الوسوسة حاصل أيضاً[2] .

([1]) سورة مريم الآية (٨٣).
([2]) بدائع الفوائد (ص ٥٠٠-٥٠١).

المبحث الثالث

نفس الإنسان

إن الإنسان من طبعة النسيان فهو فيه أمر قديم لا ينفك عنه ومتأصل فيه يقول تعالى (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً)[1].

عهد الله إلى آدم أن لا يقرب الشجرة وصمم وعزم فلما وسوس إليه إبليس لانت عريكته ، وفتر عزمه ، وأدركه الضعف ، فلم يوجد له صبراً عما نهي عنه من أكل الشجرة، وحفظاً لما أمره به[2] .

وأورد ابن جرير الطبري[3] في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (إنما سمي الإنسان لأنه عهد إليه فنسى)[4] .

فالإنسان ضعيف في عزمه وحزمه كما قال تعالى (يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً)[5] قيل لضعفه يستميله الهوى فهو ضعيف العزم عن الهوى ، فناسبه التخفيف لضعفه في نفسه وضعف عزمه وهمته ، وقيل يستميله هواه وشهوته وخوفه وحزنه ، وقيل عاجز عن مخالفة الهوى وتحمل مشاق الطاعة ، وقيل ضعيف الرأي لا يدرك الأسرار والحكم إلا بنور إلهي[6] .

فالإنسان طبعه النسيان راسخ فيه من أبيه آدم عليه السلام فكما نسي آدم من قبل نسيت ذريته.

---

(1) سورة طه الآية ١١٥.
(2) انظر فتح البيان (٣٧٦/٢) وانظر فتح القدير (٤٣٨/٣) .
(3) ابن جرير الطبري : هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الإمام العالم الحافظ أبو جعفر الطبري أحد الأعلام وصاحب التصانيف ، قال الخطيب : (كان أحد الأئمة يحكم بقوله ، ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله ، جمع من العلم ما لم يشارك فيه أحد حافظ لكتاب الله) ، انظر طبقات الحفاظ ص : (٣١٠) .
(4) تفسير الطبري (٤٦٥/٨)
(5) سورة النساء الآية (٢٨).
(6) انظر فتح البيان (٥٩/٢) ، وانظر تفسير القرآن العظيم (٦٣٦/١) ، وانظر روح المعاني (١٤/٥).

وجاء وصف الإنسان في القرآن الكريم بصفات ذميمة كثيرة تدل على إعراضه وجحوده وكفره بربه ، وتركه لأوامره ونواهيه وغفلته عن شكر نعمه ، فمن ذلك قوله تعالى (وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ)[1]وقوله تعالى (إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ*وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ)[2] وقوله (إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ)[3] وقوله (وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءاً إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ)[4] وقوله (وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً)[5] وقوله (قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُوراً)[6] وقوله (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً)[7] و قوله (كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى)[8] وغير ذلك من الآيات .

يقول ابن عطية رحمه الله تعالى : (إن الإنسان) يريد به النوع والجنس ، المعنى : توجد فيه هذه الخلال ، وهي الظلم والكفر ، فإن كانت هذه الخلال من جاحد فهي بصفة ، وإن كانت من عاص فهي بصفة أخرى)[9] .

ويخبر سبحانه وتعالى عن ضجر الإنسان ودعائه وتضرعه لربه في الضراء ونسيانه له في السراء في قوله (وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ

([1]) سورة إبراهيم الآية (٣٤).
([2]) سورة العاديات الآية ٦-٧.
([3]) سورة العصر الآية (٢).
([4]) الزخرف الآية (١٥).
([5]) سورة الإسراء الآية (٦٧).
([6]) سورة الإسراء (١٠٠).
([7]) سورة الكهف (٥٤).
([8]) سورة العلق (٦).
([9]) المحرر الوجيز (٢٤٩/٨) .

قَآئِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)[1].

إذا أصاب الإنسان الشدة والجهد من ضر أصابه من مرض وفقر أو غيرهما من الشدائد استغاث بنا في كشف ذلك[2] .

ويقول ابن عطية رحمه الله تعالى (الضر) لفظ عام لجميع الأمراض والرزايا في النفس والمال والأحبة ، هذا قول اللغويين ، وقيل هو مختص برزايا البدن : الهزال والمرض)[3] .

(دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَآئِماً) .

يدعو على جنبه أو قاعداً أو قائماً أراد جميع حالاته لأن الإنسان لا يعدو هذه الحالات الثلاث ، والمعنى أنه يدعو كثيراً في كل أحواله إلا أنه خص المعدودات بالذكر لعدم خلو الإنسان عنها لأن الضر يصيبه في كل أحواله .

كأنه قال دعنا في جميع الأحوال المذكورة وغيرها ، وخص الأحوال المذكورة بالذكر لأنها الغالب على الإنسان ولا يخلوا عنها عادة نادراً[4].

(فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ ...) فلما فرجنا عنه الجهد الذي أصابه[5] (مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ) أي مضى على طريقته التي كان عليها قبل أن يمسه الضر ، ونسى الجهد والبلاء والضعف والفقر ، وأهمل جانب الله أو مضى عن موقف الدعاء والتضرع ولا يرجع إليه كأنه لا عهد له به كأنه لم يدعنا عندما مسه الضر إلى كشف ذلك الضر الذي مسه ، واستمر على كفره مشبهاً بمن لم يدعنا ولم يشكر ولم يتعظ.

---

(1) سورة يونس الآية (١٢).
(2) انظر تفسير الطبري (٥٣٨/٦) .
(3) المحرر الوجيز (١١٦/٧) .
(4) انظر روح المعاني (٧٩/١١) ، وانظر الجامع لأحكام القرآن(٣١٧/٨) وانظر فتح البيان (٢١٤/٣) .
(5) تفسير الطبري (٥٣٨/٦) .

وهذه الحالة التي ذكرها الله سبحانه للداعي لا تختص بأهل الكفر بل تتفق لكثير من المسلمين تلين ألسنتهم بالدعاء وقلوبهم بالخشوع والتذلل عند نزول ما يكرهون بهم ، فإذا كشفه الله عنهم غفلوا عن التضرع والدعاء وذهلوا عما يجب عليهم من شكر النعمة التي أنعم الله بها عليهم من إجابة دعائهم ورفع ما نزل بهم من الضر ودفع ما أصابهم من المكروه[1] .

ويقول أيضاً القرطبي[2] رحمه الله : (وهذه صفة كثير من المخلَّطين الموحدين إذا أصابته العافية مرَّ على ما كان عليه من المعاصي ، فالآية تعم الكافر وغيره ، الدعاء عند البلاء والإعراض عند الرخاء)[3].

ويقول ابن عطية. رحمه الله تعالى . : وقول (مرَّ) يقتضي أن نزولها في الكفار ثم هي بعد تتناول كل من دخل تحت معناها من كافر أو عاص ، فمعنى الآية مرَّ في شركه وقلة توكله عليه)[4].

(كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) والتزيين هو إما من جهة الله تعالى على طريق التخلية وعدم اللطف بهم ، أو من طريق الشيطان بالوسوسة ، أو من طريق النفس الأمارة بالسوء ، والمعنى أنه زين لهم الإعراض عن الدعاء والغفلة عن الشكر والاشتغال بالشهوات[5] .

ولفظة التزيين قد جاءت في القرآن بهذين المعنيين مرَّة من فعل الله تعالى ومرة من فعل الشياطين[6].

---

(1) فتح البيان (٢١٤/٣) .

(2) هو الإمام أبو عبدالله محمد بن أحمد بن بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي ، الأندلسي القرطبي من المفسرين ومن عباد الله الصالحين والعلماء العارفين من شيوخه أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي والحافظ علي بن حسن بن محمد ، ومن مؤلفاته الجامع لأحكام القرآن وغيرها ، توفي سنة ٦٧١هـ ، انظر الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب لابن فرحون ص : ٣١٧ ـ ٣١٨ ط : دار السعادة ، والجامع لأحكام القرآن (١/ل) .

(3) الجامع لأحكام القرآن (٣١٧/٨) .

(4) المحرر الوجيز (١١٦/٧) .

(5) فتح البيان في مقاصد القرآن (٢١٥/٣) .

(6) المحرر الوجيز (١١٦/٧) .

يقول ابن عاشور رحمة الله : (والإسراف : الإفراط والإكثار في شيء غير محمود ، فالمراد بالمسرفين هنا الكافرون ، واختير لفظ (المسرفين) لدلالته على مبالغتهم في كفرهم ، فالتعريف في المسرفين للاستغراق ليشمل المتحدث عنهم وغيرهم ، والمعنى أن شأن الأعمال الذميمة القبيحة إذا تكررت من أصحابها أن تصير لهم دُربة[1] تحسن عندهم قبائحها فلا يكادون يشعرون بقبحها فكيف يقلعون عنها) [2].

وكما زين لهذا الإنسان الذي وصفنا صفته ، استمراره على كفره بعد كشف الله عنه ما كان فيه من الضر ، كذلك زين للذين أسرفوا في الكذب على الله وعلى أنبيائه ، فتجاوزوا في القول فيهم إلى غير ما أذن الله لهم به ، ما كانوا يعملون من معاصي الله والشرك به[3] .

ويقول تعالى : (وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَاداً لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ)[4] ، هذه الآية نظيرة الآية السابقة فيها ذكر الإنسان وبيان نسيانه لربه ودعائه بل والإشراك به والإضلال عن سبيله ، وذلك لما في الإنسان من التقلب والاضطراب إلا من عصمه الله بالتوفيق كقوله تعالى: (وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيّاً)[5] وقوله تعالى : (أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ)[6] وغيرها من الآيات[7] .

---

(1) دُربة : العادة ، يقال درب بالأمر درباً ودربه والتدريب الصبر في الحرب وقت الفرار ، وأصله من الدربة التجربة ويجوز أن يكون من الدروب وهي الطرق والدربة عادة وجرأة على الحرب ، انظر لسان العرب (١٣٥٠/٢) .

(2) التحرير والتنوير (٣٥/١١) .

(3) تفسير الطبري (٥٣٨/٦) .

(4) سورة الزمر (٨) .

(5) سورة مريم (٦٦)

(6) سورة القيامة الآية (٣) .

(7) انظر التحرير والتنوير (٣٢/٢٤ ـ ٣٣) وانظر تفسير الطبري (٦١٨/١٠) .

يفزع الإنسان ضارعاً إلى ربه عند حصول الضر لأنه يعلم لا احد غير الله يكشف عنه ضراً (وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ).

(ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ...)

والتخويل : الإعطاء والتمليك دون قصد عوض ، والمعنى ثم إذا منحه ربه نعمة منه ، يعني عافية ، فكشف عنه ضره ، وأبدله بالسقم صحة ، وبالشدة رخاءً ، وفي هذا يتجلى معنى المنعم المتفضل بإنعامه وكرمه وهو الرزاق ذو القوة المتين الرحمن الرحيم بعباده[1].

(نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ...) .

وهنا فطرة الإنسان تبرز عارية حين يمسه الضر تتجه إلى ربها وتنيب إليه وحده، وهي تدرك أنه لا يكشف الضر غيره ، وتعلم كذب ما تدعي من شركاء وشفعاء .

فأما حين يذهب الضر ويأتي الرخاء ويخوله الله نعمة منه ويرفع عنه البلاء فإن هذا الإنسان يعود ، وينسى تضرعه وإنابته وتوحيده لربه وتطلعه إليه في المحنة وحده حين لم يكن غيره أن يدفع عنه محنته ، ينسى هذا كله ويذهب يجعل لله أنداداً[2].

وهذا بيان لجحود الإنسان (إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ)[3] .

يقول القرطبي رحمه الله – (هذا جواب القسم ، أي طبع الإنسان على كفران النعمة ، قال ابن عباس (لكنود) لكفور جحود لنعم الله وكذلك قال الحسن ، وقال: يذكر المصائب وينسى النعم)[4] .

(...وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَاداً لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ...)

الإنسان في هذه الآية يراد به الكافر بدلالة ما وصفه الله بهذا الوصف آخر هذه الآية من اتخاذ الأنداد لله تبارك وتعالى[1] :

---

(1) انظر التحرير والتنوير (٣٢/٢٤ ـ ٣٣) .
(2) انظر في ظلال القرآن (٣٠٤١/٥) .
(3) سورة العاديات (٦)
(4) الجامع لأحكام القرآن (١٦٠/٢٠) .

قوله سبحانه (قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ)[٢]

والأنداد : جمع ند بكسر النون وهو الكفء أي زاد على نسيان ربه فجعل له شركاء ، لا يتفق هذا مع حال المؤمنين[٣] .

والمعنى اتخذ شركاء من الأصنام أو غيرها ، يستغيث بها ويعبدها ، وقال السدي[٤]: (يعني أنداداً من الرجال يعتمد عليهم في جميع أموره)[٥] . قال الطبري . رحمه الله . : (ثم اختلف أهل التأويل في المعنى الذي جعلوها فيه له أنداداً) ، قال بعضهم: جعلوها له أنداداً في طاعتهم إياه في معاصي الله.

وقال آخرون : عني بذلك أنه عبد الأوثان فجعلها لله أنداداً في عبادتهم إياها.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : عني به أنه أطاع الشيطان في عبادة الأوثان ، فجعل له الأوثان أنداداً ، لأن ذلك في سياق عتاب الله إياهم له على عبادتها[٦] .

ولم يقتصر الإنسان بهذه الضلال على نفسه بل سعى ليضل عن طريق الله التي هي الإسلام والتوحيد ، وهذا يعنى أنه صار داعية للضلال يقول الطبري – رحمة الله – : (ليزيل من أراد أن يوحد الله ويؤمن به عن توحيده ، والإقرار به والدخول في الإسلام)[٧] .

---

(١) المحرر الوجيز (٥٠٧/١٢ ـ ٥٠٨) ـ إن المراد بالإنسان كل مشرك فالتعريف الجنس ، والمراد جماعة من الناس وهم أهل الشرك للإستقراق العرفي والمخالفية بين الاثنين تتضمن ولئلا تحلو إعادة الآية من فائدة زائد كما عادة القرآن في القصص المتكررة ، ابن عاشور (١٠٨/٢٤) .

(٢) سورة الزمر (٨)

(٣) التحرير والتنوير (٣٢/٢٤ ـ٣٣) .

(٤) السدي : هو إسماعيل بن عبدالرحمن السدي تابعي حجازي الأصل قيل عنه صاحب التفسير والمغازي والسير عارفاً بالوقائع وأيام الناس توفي سنة ١٢٧هـ ، انظر الأعلام للزركلي (١٣/٣) ، وطبقات المفسرين (١١٠/١١) .

(٥) انظر فتح البيان في مقاصد القرآن (٥٥/٦) .

(٦) تفسير الطبري (٦١٩/١٠) .

(٧) تفسير الطبري (٦١٩/١٠) وانظر فتح البيان (٥٥/٦) .

ومما تقدم يتبين أن نسيان الإنسان ليس مراداً به النسيان الحقيقي الذي هو بمعنى : ذهول الحافظة عن الأمر المعلوم سابقاً ، وإنما المراد به الترك والإعراض[1] .

وفي ذلك يقول الإمام الرازي[2] – رحمه الله – في تفسير هذه الآية : (والمراد من قوله نسي ، دعاءه كأنه لم يفزع إلى ربه ، ولو أراد به النسيان الحقيقي لما ذمه عليه ، ويحتمل أن يكون نسي أن لا يفزع ، وأن لا إله سواه فعاد إلى اتخاذ الشركاء مع الله)[3].

ونحو ذلك قوله تعالى : (وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ* لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ)[4].

ويقول تعالى : (فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ)[5]

هذه الآية كنظيرتها السابقة في صدرها ، إلا أن الله عرض حال المشركين من عبدة الأوثان في نسيانهم لربهم ، وتضرعهم إليه ، وأنه المنعم المتفضل الذي لا يكشف الضر سواه بطريقة أخرى من طرائقهم الفاسدة ، وذلك لأنهم عند وقوع الضر يفزعون إلى الله تعالى ، ويرون أن دفع ذلك لا يكون إلا منه سبحانه ، ثم إنه تعالى إذا خولهم النعمة ، زعموا إنما حصل ذلك بكسبهم[6] ، وذلك في قوله تعالى : (فَإِذَا

---

(1) انظر التحرير والتنوير (٣٢/٢٤) .

(2) الإمام الرازي : هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن الإمام علي فخر الرازي القرشي البكري ، الشافعي المفسر المتكلم ، ولد سنة ٥٤٤ هـ وله مؤلفات منها المحصول في أصول الفقه ، ومناقب الشافعي وغيرها مات سنة ٦٠٤هـ ، انظر طبقات المفسرين ص :(١٠٠) للداودي ط: دار الكتب العلمية بيروت ، د : ت .

(3) التفسير الكبير (٢٤٩/٢٦) .

(4) سورة الروم الآيات (٣٣- ٣٤)

(5) سورة الزمر الآيات (٤٩ - ٥٠)

(6) انظر التفسير الكبير (٢٨٧/٢٦) وانظر التحرير والتنوير (١٠٨/٢٤) .

مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ ...).

يقول الألوسي – رحمه الله تعالى – في هذه الآية (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ...) (أي علم مني بوجوه كسبه أو بأني سأعطاه لما لي من الاستحقاق أو على علم من الله تعالى بي وباستجابتي ، وإنما للحصر أي ما أوتيته لشيء من الأشياء إلا لأجل علم)[1] وقيل ، على خير عندي ، وقيل : على علم من الله بفضلي ، وقال الحسن : (عَلَى عِلْمٍ) أي بعلم علمني الله إياه ، وقيل المعنى أنه قال قد علمت أني إذا أوتيت هذا في الدنيا أن لي عند الله منزلة[2].

وأيضاً قيل : إن كان ذلك سعادة في المال أو عافية في النفس يقول : إنما حصل ذلك بجدي واجتهادي ، وإن كان صحة قال إنما حصل ذلك بسبب العلاج الفلاني وإن حصل مالاً يقول حصل بكسبي .

ويتبين من هذا تناقض عظيماً ، لأنه لما كان عاجزاً محتاجاً أضاف الكل إلى الله تعالى ، وفي حال السلامة ، والصحة قطعةُ عن الله تعالى وأسنده إلى كسب نفسه[3] ، وفي ذلك نسيان لله السميع المجيب الواهب سبحانه وتعالى .

ويقول ابن عطية – رحمه الله تعالي – في هذه الآية : (هذه حجة تلزم عباد الأوثان للتناقض في أعمالهم ، وذلك أنهم يعبدون الأوثان ويعتقدون تعظيمها ، فإذا أزفت أزفة أو نالت شدة نبذوها ونسوها ودعوا الخالق المخترع ربَّ السموات والأرض)[4] .

فإن مع تناقضهم اغترار بما حصل لهم من النعمة وإعجاب بالنفس وهذا شأن المغرورين الغافلين عن ربهم أن يقعوا في التناقض والله تعالى بين لهم أن الأمر

---

(1) روح المعاني (١٢/٢٤) .
(2) الجامع لأحكام القرآن (٢٦٦/١٥) .
(3) فتح البيان (٨٣/٦) وانظر تفسير الطبري (١٢/١١) وانظر التفسير الكبير (٢٨٧/٢٦ ـ ٢٨٨)
(4) المحرر الوجيز (٥٤٨/١٢ ـ ٥٤٩) .

ليس كما يقولون بقوله تعالى (بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) وهي فتنة للاختيار والامتحان ليتبين إن كان سيشكر أو سيكفر ،وإن كان سيصلح بها أم يفسده ، وإن كان سيعرف الطريق أم يجنح إلى الضلال[1] .

فائدة : فرق بين هذه الآية وبين آية القصص في قوله : (عَلَى عِلْمٍ عندي) فلم يذكر هنا (عندي) لأن المراد بالعلم هنا مجرد الفطنة والتدبير وأريد هناك علم صوغ الذهب والفضة والكهرباء التي اكتسب بها قارون مالاً عظيماً وهو علم خاص به وأما هذا فهو علم يوجد عند جميع أهل الرأي والتدبير[2] .

وبذلك أبطل الله تعالى زعمهم أنهم أوتوا ذلك بسبب علمهم وتدبيرهم ، وبين لهم أن ما أنعم به عليهم من رحمة لأجل اختبارهم وفي ذلك إثبات لغفلتهم وفتنتهم وعدم علمهم بأنهم على ذلك ، فوصفهم الله تعالى بقوله (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)[3] .

وقوله تعالى : (قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ).

ويخبرهم تعالى عمن سلف من الكفرة أنهم قد قالوا مثل هذه المقولة كقارون وغيره وأنهم ما أغنى عنهم كسبهم من متاع الدنيا من الأموال والأولاد من عذاب الله شيئاً واحتجاجهم بها[4]

وذلك في قوله تعالى : (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ)[5]

---

(1) في ظلال القرآن (٣٠٥٦/٥) وانظر المحرر الوجيز (٥٤٩/١٢) .
(2) أنظر التحرير والتنوير (١٠٨/٢٤- ١٠٩).
(3) المحرر الوجيز (٤٥٠/١٢) ، وانظر التحرير والتنوير (١٠٩/٢٤) .
(4) أنظر روح المعاني ٢٤ / ١٢ – ١٣ وأنظر الجامع لأحكام القرآن ١٥ / ٢٦٦ - ٢٦٧
(5) سورة القصص (٧٨)

ويقول تعالى (وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ*وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاء بَعْدَ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ)[1]

هذه الآية بيان لأحوال الإنسان ونسيانه لربه عند الضراء بعد النعماء ، وعند النعماء بعد الضراء بطريقة أخرى أيضاً ، وذلك أن الإنسان يؤوس كفور عند أخذ النعماء منه ومتكبر وفرح وفخور عند حصول النعماء بعد الضراء.

(وَلَئِنْ أَذَقْنَا) الإذاقة هنا : الإعطاء القليل[2].

(الإنسان) : اختلف في المراد بالإنسان.

قال بعض المفسرين إن المراد جنس الكفار ، وايدوا ذلك بأن اليأس والكفران والفرخ والفخر هي أوصاف أهل الكفر لا أهل الإسلام في الغالب وقال بعضهم أن المراد بها المؤمن والكافر ، وأيدوا ذلك بأن صفة الكفر لا تطلق على جميع الناس كما تقتضي لفظة الإنسان .

وأن الاستثناء بعد هذه الآيات في قوله تعالى : (إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ)[3] متصل وأن (الإنسان) عام يراد به الجنس ، ومن قال : إنه مخصص بالكافر قال إنه منقطع ، وهو قول ضعيف من جهة المعنى وأما من جهة اللفظ فجيد[4].

وقال ابن عاشور – رحمة الله – (ويجوز أن يكون المراد كل إنسان إذا حل به مثل ذلك على تفاوت في الناس في اليأس)[5].

---

(1) سورة هود (٩- ١٠)

(2) تفسير المراغي (١٢ / ٨) للأستاذ أحمد مصطفى المراغي ، ط : دار إحياء التراث العربي بيروت ، د : ت .

(3) سورة هود الآية (١١)

(4) أنظر المحرر الوجيز ٧/ ٢٤٨ – فتح القدير ٢ /٥٥١ – فتح البيان ٣ /٢٩٣ - ٢٩٤

(5) التحرير والتنوير (١١/ ٢١٣).

فخلاصة ما تقدم من معان وأقوال لخصها المراغي[1] في تفسيره بقوله : (إن الإنسان وإن كان مؤمناً حق الإيمان لا يسلم من ضعف صدر حين حلول الضراء والمصائب ، وذلك مما ينافي كمال الرضا ، كما لا يسلم حين النعماء من شيء من الزهو والتقصير في الشكر فيغفر له كل منهما بصبره وشكره وإنابته إلى ربه)[2].

(..مِنَّا رَحْمَةً..) والرحمة أريد بها : رحمة الدنيا ، وأطلقت على أثرها وهي النعمة كالصحة والأمن والعافية ، والمراد النعمة السابقة قبل نزول الضر[3] .

(ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ) والنزع حقيقته خلع الثوب عن الجسد ، واستعمل هنا في سلب النعمة على طريقة الاستعارة ، والمعنى ، سلبنا تلك الرحمة ، والتعبير بـ (النزع) يشعر بشدة تعلق الإنسان بها وحرصه عليها)[4].

(إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ) صيغتي المبالغة ، ليؤوس أي يظل قنطاً من رحمة الله، آسباً من الخير ، (كفور) هو كفور لمن أنعم عليه ، قليل الشكر لربه المتفضل عليه بما كان وهب له من نعمته[5] ، والمعنى إنه ييأس ويتحرج ويتسخط ، لو نظر نعمة الله الباقية عليه في عقله وحواسه وغير ذلك مما أبقى عليه من النعم ، لم يكفرها ، ولم يكن ذلك[6]. ونحو ذلك قوله تعالى (وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ)[7].

وقوله تعالى : (لَا يَسْئَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ)[8]

---

(1) أحمد بن مصطفى المراغي : مفسر مصري من العلماء ، تخرج بدار العلوم ١٩٠٩م ثم كان مدرس الشريعة الإسلامية بها وولي نظارة بعض المدارس ، وعين أستاذاً للعربية والشريعة بكلية غردون بالخرطوم وتوفي بالقاهرة له كتب منها الحسبة في الإسلام والوجيز في أصول الفقه وتفسير المراغي وعلوم البلاغة ، الأعلام (٢٥٨/١) .

(2) أنظر تفسير المراغي (١٢ / ٩) .

(3) التحرير والتنوير(٢١٣/١١) .

(4) روح المعاني (١٥/١٢) .

(5) تفسير الطبري (٩/٧)

(6) المحرر الوجيز ٧/ ٢٤٧-٢٤٨

(7) سورة الروم الآية (٣٦)

(8) سورة فصلت الآية (٤٩) .

وهذا حال أهل الضلالة وقد يحصل من ضعاف الإيمان إذا ما كانوا على نعمة ثم أخذها الله منهم قنطوا من رحمة الله ، ونسوا ما كانوا فيه من النعمة وجحدوها ، ويقول ابن عاشور رحمة الله في ذلك : (إن أهل الضلالة راسخون في ذلك لأنهم لا يفكرون في غير اللذات الدنيوية فتجرى اتصالات على حسب ذلك دون رجاء لتغير الحال، ولا يتفكرون في أسباب النعيم والبؤس وتصرفات خالق الناس ومقدر أحوالهم ولا يتعظون بتقلبات أحوال الأمم ، فشأن أهل الضلالة أنهم إن حلت بهم الضراء بعد النعمة ملكهم اليأس من الخير ونسوا النعمة فجحدوها وكفروا منعمها ، فإن تأخير العذاب رحمة وإثبات العذاب نزع لتلك النعمة[1].

هذا حال الإنسان من النعماء إلى الضراء .

وأما حاله من الضراء إلى النعماء كما يقول تعالى : (وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاء بَعْدَ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ)[2] وهذه الآية مقابلة لسابقتها ، وعرضت نسيان الإنسان لنعماء ربه عز وجل بطريقة أخرى ، وذلك بأنه إذا أذاقه الله النعماء بعد الضراء نسي شكر الله عليها ، وزاد على ذلك الفخر والبطر والتكبر ، كما في قوله تعالى : (وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاء بَعْدَ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ....).

(..لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي...) للإشارة إلى أنه تبجح وتفاخر في إزدهاءٍ وإعجاب ، وفي ذلك إشارة إلى اعتقاد كل واحد حقيق بأن تذهب عنه السيئات غروراً منه بنفسه[3] .

يقول السيوطي[1] – رحمة الله – قال : (وغرَّة وجرأةً عليه)[2].ويقول الطبري . رحمه الله . في تفسير : (يقول تعالى ذكره ليقولن عند ذلك ذهب الضيق والعسرة عني وزالت الشدائد والمكاره)[3] .

---

(1) التحرير والتنوير ٢١٢/١١
(2) سورة هود الآية (١٠)
(3) التحرير والتنوير ٢١٤/١١

ويقول ابن عطية –رحمه الله – : (ولفظ (ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي) تقتضي بطراً وجهلاً أن ذلك بإنعام من الله تعالى ، واعتقاد أن ذلك باتفاق أو بعقد من الاعتقادات الفاسدة ، وإلا فلو قالها أن ذهابها بإنعام من الله وفضل لم يقع ذلك ، (والسيئات) هاهنا : كل ما يسوء في الدنيا)[٤]

والمعنى : أنه إن أذاق الله سبحانه العبد نعماء من الصحة والسلامة والغني بعد أن كان في ضر من فقر أو مرض أو خوف لم يقابل ذلك بما يليق من الشكر لله سبحانه ، ويقول في تبجح وتفاخر ذهب عني المصائب التي تسوءني من المكاره والشدة ولن يعتريني بعد أمثالها ، وزال أثرها غير شاكر لله ولا مثن عليه بنعمة[٥].

(إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ) صيغتي مبالغة أي لشديد الفرح شديد الفخر ، وشدة الفرح تجاوزه الحد وهو البطر والأشر كما في قوله تعالى (إن الله لا يحب الفرحين) والفرح لذة تحصل في القلب بنيل المراد والمشتهي[٦] .

(فخور) الفخر تباهي المرء على غيره بماله في الأشياء المحبوبة للناس ، وذلك بتعديد المناقب والتطاول عليهم بما يتفضل الله به عليه من النعم[٧].

ويقول الطبري – رحمة الله – (فخور) ذو فخر ما نال من السعة في الدنيا ، وما بسط له فيها من العيش ، وينسى صروفها ، ونكد العوائص[٨] فيها ، ويدع طلب النعيم الذي يبقى ، والسرور الذي يدوم فلا يزول)[١].

---

(١) السيوطي : هو الإمام عبد الرحمن بن أبي بكر بن سابق جلال الدين إمام حافظ مؤرخ أديب له نحو ستمائة مؤلف منها الدر المنثور في التفسير بالمأثور – أعلم أهل زمانه بالحديث . انظر ترجمته في شذرات الذهب قي أ خبار من ذهب (٥١/٨- ٥٥) للفقيه والأديب الفلاح عبد الحي بن العماد الذهبي ط دار الوفاق الجديدة بيروت .

(٢) الدرر المنثور في التفسير بالمأثور (٢١/٨) تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي ط : مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية الطبعة الأولى القاهرة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .

(٣) تفسير الطبري (١٠/٧) .

(٤) المحرر الوجيز (٢٤٨/٧) .

(٥) انظر فتح البيان ٢٩٤/٣ وفتح القدير ٥٥١/٢ وانظر روح المعاني (١٥/١٢) .

(٦) انظر التحرير والتنوير (٢١٤/١١) وانظر فتح البيان (٢٩٤/٣) .

(٧) انظر التحرير والتنوير (٢١٤/١١) وانظر فتح البيان (٢٩٤/٣) .

(٨) العوائص : جمع عائص أو عائصة ومثله (العوصاء ، والعيصاء) وكله معناه الشدة والعسر والحاجة انظر لسان العرب لابن منظور (٣١٧٠/٤) .

وفي ذلك بيان لاشتغال الإنسان بما أذاقه الله من النعماء عن شكر ربه المنعم ويقول في ذلك الألوسي – رحمه الله – (متعاظم على الناس بما أوتى من النعم مشغول بذلك عن القيام بحقها)[٢].

والمعنى أنه لا يشكر الله على النعمة بعد البأساء وما كان فيه من الضراء فلا يتفكر في وجود خالق الأسباب وناقل الأحوال والمخالف بين أسبابها ، وفي معنى الآيتين قوله تعالى : (... وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ)[٣][٤].

ومما تقدم يتبين أن خلق النسيان سجية في الإنسان كما عبرت عنه الآيات وحاصل منه عند حصول أدنى شيء من خير أو نعمة .

ففي التعبير بالذوق ما يدل انه يكون منه ذلك عند سلب أدنى نعمة ينعم الله بها عليه ، لأن الإذاقة والذوق أقل ما يوجد به الطعم أو يختبر به .

وفي التعبير عن ملابسه الضر له بالمس مناسبة للتعبير في جانب النعماء بالإذاقة، فإن كليهما لأدنى ما يطلق عليه اسم الملاقاة ، وبعد ذلك يقع في اليأس والكفران والبطر بأدنى شيء من ذلك[٥]. ومن الأولى حصول ذلك في الكثير .

إن تبدل الحال من الضراء إلى النعماء من شانه أن يجعل الإنسان يفرح بذلك إلا أننا نجد أن الله تعالى عاب على الإنسان هذا الفرح ، مع أنه وصف الشهداء به فقال تعالى : (فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)[٦] . فما وجه العيب على الإنسان في ذلك ؟

---

(١) تفسير الطبري (١٠/٧) .
(٢) روح المعاني (١٦/١٢) .
(٣) سورة الشورى الآية (٤٨) .
(٤) انظر التحرير والتنوير (٢١٤/١١) .
(٥) انظر روح المعاني (١٥/١٢) وانظر فتح البيان (٢٩٤/٣) وانظر فتح القدير (٥٥١/٢) .
(٦) سورة آل عمران الآية (١٧٠)

أجاب على ذلك ابن الجوزي[1] – رحمه الله تعالى – " فيما أورده في تفسيره عن ابن الأنباري[2] أنه قال : (إنما عابه بقوله (ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي) لأنه لم يعترف بنعمة الله ، ولم يحمده علي ما صرف عنه ، وإنما ذمه بهذا الفرح ، لأنه يرجع إلى المرح والتكبر عن طاعة الله ، وفرح الشهداء فرح لا كبر فيه ولا خيلاء ، بل هو مقرون بالشكر فهو مستحسن)[3] .

وعلى نحو ما تقدم من معاني غرور الإنسان وفخره وجرأته على الله تعالى قوله عز وجل (وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ)[4].

ولم يقتصر نسيان الإنسان على تقلبه في أحواله وانفعالاته حسب شهواته وملذاته وضلالاته ، بل بلغ في النسيان مبلغاً بعيداً وأحولاً عجيبة ، وذلك أنه نسي نفسه كما يقول تعالى : (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ)[5]

تأتي هذه الآية تكميلاً للتعجب من حال الإنسان وبيان جهله بالحقائق ، وإهماله للتفكر في نفسه فضلاً عن التفكر في سائر مخلوقات الله[6]

---

(1) ابن الجوزي : هو الإمام العلامة الحافظ عالم العراق وواعظ الآفاق جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن علي عبد الله القرشي البكري الصديقي البغدادي كتب بخطه الكثير جداً ، قال الذهبي : لا يوصف ابن الجوزي بالحفظ عندنا باعتبار الصنعة بل باعتبار كثرة اطلاعه وجمعه ، انظر طبقات الحفاظ (٥٣٣)

(2) ابن الانباري : عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري ، أبو البركات كمال الدين الأنباري من علماء اللغة والأدب والتاريخ والرجال كان زاهداً خفيفاً خشن العيش والملبس ، لا يقبل من أحدٍ شيئاً سكن ببغداد وتوفى فيها (٥٧٧هـ - ١١٨١) له مؤلفات كثرة في اللغة والأدب منها البيان في إعراب القرآن – أنظر الأعلام للزركلي (٣٢٧/٣) .

(3) زاد المسير (٨١/٤)

(4) سورة فصلت الآية (٥٠)

(5) سورة يس الآية (٧٨)

(6) انظر الجامع لأحكام القرآن (٥٨/١٥) وانظر فتح القدير (٤٣٨/٤)

(وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً...) أي أورد في شأننا قصة غريبة كالمثل ، وهي إنكاره إحياءنا للعظام ، أو جعل لنا مثلاً ونظيراً من الخلق ، وقاس قدرنا على قدرتهم ، فجعلنا كمن لا يقدر على إحياء ذلك من الخلق[1] .

فالمعنى ، وأظهر للناس ، وأتى لهم بتشبيه حال قدرتنا بحال عجز الإنسان إذ أحال إحياءنا للعظام بعد أن رمت[2].

فهو كقوله تعالى : (فَلاَ تَضْرِبُواْ لِلّهِ الأَمْثَالَ...)[3] ، أي لا تشبهوه بخلقه فتجعلوا له الأمثال والأنداد ، ونظير هذه الآية قول الله تعالى : (أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ)[4].

(...وَنَسِيَ خَلْقَهُ...) أي خلقنا إياه من المني الدال على بطلان ما ضربه من المثل وذهل عنه،وترك ذكره على طريقة اللداد والمكابرة فهو أغرب من إحياء العظم[5].

يقول الطبري – رحمة الله – (...وَنَسِيَ خَلْقَهُ...) : ونسي خلقنا إياه كيف خلقناه وأنه لم يكن إلا نطفة ، فجعلناها خلقاً سوياً ناطقاً فيعلم أن من خلقه من نطفة صار بشراً سوياً ناطقاً متصرفاً ، لا يعجز أن يعيد الأموات أحياء والعظام الرميم بشراً كهيئتهم التي كانوا بها قبل الفناء)[6].

ويقول ابن عاشور – رحمه الله – : والنسيان في قوله تعالى : (وَنَسِيَ خَلْقَهُ) مستعار لانتفاء العلم من أصله ، أي لعدم الاهتداء إلى كيفية الخلق الأول أي نسي أننا خلقناه من نطفة ، أي لم يهتد إلى أن ذلك أعجب من إعادة عظمه كقوله تعالى (أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ)[7][1].

---

(1) فتح البيان (٥٣٢/٥) ، وانظر تفسير الطبري (٤٦٥/١٠)
(2) التحرير والتنوير (٢٧٧/٢٢)
(3) سورة النحل الآية (٧٤)
(4) سورة القيامة الآية(٣)
(5) الجامع لأحكام القرآن (٨٥/١٥) ، وانظر روح المعاني (٥٤/٢٣)
(6) تفسير الطبري (٤٦٥/١٠) .
(7) سورة ق الآية (١٥)

ويقول ابن عطية – رحمه الله – وقوله (نسى) يحتمل أن يكون نسيان الذهول ، ويحتمل أن يكون نسيان الترك)[٢] .

(قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) بيان بجملة (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً) وهذا الاستفهام للإنكار لأنه قاس قدرة الله على قدرة العبد فأنكر أن الله يحيي العظام البالية حيث لم يكن ذلك في مقدور البشر[٣] .

ويقول السعدي[٤] – رحمه الله – في (قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) : (هذا وجه الشبهة والمثل ، وهو أن هذا أمر في غاية البعد على ما يعهد من قدرة البشر ، وهذا القول الذي صدر من الإنسان غفلة منه ، ونسيان لابتداء خلقه ، فلو فطن لخلقه ، بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً فوجد عياناً ، لم يضرب هذا المثل)[٥].

بضرب الإنسان لهذا المثل نسى خلقه الضعيف فتطاول وتجاوز الحد تاركاً التفكر في أصل خلقه الضعيف المنشأ ، لذلك لم يهتد إلى أن ذلك أعظم من إحياء العظام المفتتة ، وإن كان الله يحيي ما هو أضعف من العظام فيحيى الإنسان من رماده ، ومن ترابه ، ومن عجب ذنبه ، ومن لا شيء باقياً منه[٦].

فجاء الجواب من الله تعالى تبكيتاً له بتذكير ما نسيه من فطرته الدالة على حقيقة الحال وإرشاده إلى طريقة الاستشهاد بها في قول عز وجل (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ)[٧][٨].

---

(١) التحرير والتنوير (٢٧٨/٢٢)
(٢) المحرر الوجيز (٣٢٨/١٢)
(٣) التحرير والتنوير (٧٨/٢٢) ، فتح القدير (٤٣٨/٤) والجامع لأحكام القرآن (٥٨/١٥)
(٤) السعدي : هو عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي ، من قبيلة تميم ولد في عنيزة بالقصيم سنة ١٣٠٧هـ بلغ درجة عالية في العلم في كل الفنون ، وله مصنفات كثيرة = = في التفسير وعلوم القرآن والفقه وأصوله ، وتوفي سنة ١٣٧٦هـ - انظر مقدمة تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٥/١) والأعلام (٣٤٠/٣)
(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٦٤٥) ط مؤسسة الرسالة بيروت ط ٤ (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)
(٦) انظر التحرير والتنوير (٢٧٧/٢٢) .
(٧) سورة يس الآية (٧٩)
(٨) انظر روح المعاني (٥٤/٢٣)

يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليم (قل) لهذا المشرك القائل لك م من يحي العظام وهي رميم (يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ) يحييها الذي ابتدع خلقها أول مرة إذ لم يسبق لها إيجاد ، ولا شك أن الإحياء بعد أهون من الإنشاء قبل فمن قدر الإنشاء على كان الإنشاء عان على الإحياء أقدر وأقدر[1].

(وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) يقول القنوجي[2] – رحمه الله – في تفسيرها (لا تخفى عليه خافية ولا يخرج عن علمه خارج كائناً من كان ، أي يعلم تفاصيل المخلوقات بعلمه وكيفية خلقها فيعلم أجزاء الأشخاص المتفتتة المتبددة وأصولها وفضولها ، ومواقعها وطريق تمييزها، وضم بعضها إلى بعض على النمط السابق وإعادة الأعراض والقوى التي كانت فيها أو إحداث مثلها)[3] ونظيره قوله سبحانه (وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً)[4]

ومما تقدم من بيان لآيات الدالة على نسيان الإنسان واضطرابه في جميع الأحوال ما يدل على أن النسيان سجية في الإنسان ، واستثنى منه الذين جملتهم الأديان على الصبر على المكاره ومثابرة عبادة الله وذلك في قوله تعالى (إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ)[5][6] .

---

(1) تفسير الطبري (٤٦٥/١٠) ، وانظر روح المعاني (٥٤/٢٣) .،

(2) القنوجي: هو الإمام العلامة أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري إمام وحافظ ومفسر ومؤرخ وأديب له نحو سبعين مصنفاً منها فتح البيان في مقاصد القرآن ، وفتح المغيث في فقه الحديث ، وعون الباري بحل أدلة البخاري ، والمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ولد ١٢٤٨هـ وتوفي ١٣٠٧هـ انظر أبجد العلوم (٢٧١/٣- ٢٧٩) ط : دار الكتب العلمية بيروت ، د : ت .

(3) فتح البيان (٥٣٣/٥) .

(4) سورة الطلاق (١٢) .

(5) سورة هود (١١).

(6) انظر المحرر الوجيز (٢٤٩/١٧) .

المبحث الرابع

الناس

ومن مصادر النسيان الناس بفتنة بعضهم ببعض كما يقول تعالى : (...وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً)[1] فالآية خطاب يعم جميع الناس ، وأن الدنيا دار بلاء وامتحان ، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يجعل بعض العبيد فتنة لبعض على العموم في جميع الناس مؤمن وكافر، فالصحيح فتنة للمريض ، والغني فتنة للفقير ، والفقير الصابر فتنة للغني ، ومعنى هذا كل واحد مختبر بصاحبه[2].

ويشمل أحد البعضين النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه والبعض الآخر المشركين فكان حال الرسول صلى الله عليه وسلم فتنة للمشركين إذ زعموا أن حاله مناف للرسالة فلم يؤمنوا به ، وذلك في قوله تعالى : (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ)[3]

والمعنى : أنه لو كان قرآنا لنزل على رجل من عظماء القريتين ، والمراد بهما مكة والطائف ، وذلك أن منصب الرسالة شريف فلا يليق إلا برجل شريف وأن الشريف عندهم الذي يكون كثير المال والجاه[4].

وكان حال المؤمنين في ضعفهم فتنة للمشركين إذا ترفعوا عن الإيمان الذي يسويهم بهم ، وذلك أنه إذا أراد الشريف أن يسلم ورأى الوضيع قد أسلم قبله أنف وقال : لا أسلم بعده فيكون له عليّ السابقة والفضل فيقيم على كفره ، فقد كان أبو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وإضرابهم يقولون إن أسلمنا وقد أسلم قبلنا عمار بن ياسر وصهيب وبلال ترفعوا علينا إدلالاً بالسابقة .

---

(1) الفرقان الآية (٢٠)
(2) الجامع لأحكام القرآن (١٣/١٨-١٩)
(3) الزخرف الآية (٣١)
(4) انظر التحرير والتنوير (١٩/٣١) وانظر فتح البيان (٦/٢٣٢- ٢٢٣)

وهذا كقول صناديد قوم نوح لا نؤمن حتى تطرد الذين آمنوا بك فقال (وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ وَمَا أَنَاْ بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّيَ أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ)[1].

وقال تعالى للنبي ﷺ: (وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ)[2][3].

ورد في سبب نزول هذه الآية عن سعد قال : نزلت هذه الآية فينا ستة فيَّ وفي ابن مسعود وصهيب وعمار والمقداد وبلال ، قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنا لا نرضى أن نكون أتباعاً لهؤلاء فاطردهم فدخل قلب النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك ما شاء الله أن يدخل[4] ، فأنزل الله تعالى : (وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ...)[5].

وكذلك أورد السيوطي في تفسيره عن خباب قال : جاء الأقرع بن حابس التميمي ، وعيينة بن حفص الفزاري ،فوجدا النبي صلى الله عليه وسلم قاعداً مع بلال وصهيب وعمار وخباب في أناس من ضعفاء المؤمنين فلما رأوهم حوله حقروهم ، فأتوه فخلوا به فقالوا : إنا نحب أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف لنا العرب به فضلنا ، فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب قعوداً مع هؤلاء إلاَ عبُدْ فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا ، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت ، قال " نعم " قالوا : فاكتب لنا عليك بذلك كتاباً ، فدعا بالصحيفة ، ودعا علينا ليكتب ، ونحن قعود في ناحية إذ نزل جبريل بهذه الآية (وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم

---

(1) هود الآية (٢٩) .
(2) الأنعام الآية (٥٢) .
(3) انظر التحرير والتنوير (٣١/١٩) .
(4) أسباب النزول للواحدي (١٢٤) ط : المكتبة الثقافية ١٤١٠هـ /١٩٨٩م ، ورواه مسلم في فضائل الصحابة ح (٢٤١٣) .
(5) سورة الكهف الآية (٢٨) .

بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ...) قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا بعد ، فإذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه فأنزل الله (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ)

قال فكان رسول الله ﷺ يقعد معنا بعد ، فإذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم[1].

ويتبين مما تقدم احتقار أشراف المشركين لضعفاء المؤمنين الذي خصهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجلسه وبعنايته ، إلى أن طعنوا فيهم وعابوا ما هم فيه من فقر وما يسببه وجودهم في مجلس رسول الله صلى عليه وسلم من نفور السادة وعدم إقبالهم على الإسلام[2].

ويقول تعالى : (وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُواْ أَهَؤُلاء مَنَّ اللّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ)[3].

قوله تعالى : (وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ...) وكذلك اختبرنا واتلينا ، أي ابتلينا بعضهم ببعض .

(لِّيَقُولواْ أَهَؤُلاء مَنَّ اللّهُ عَلَيْهِم)

يقول الطبري .. رحمه الله – في تفسيرها : يقول تعالى : اختبرنا الناس بالغني والفقر ، والعز والذل ، والقوة والضعف والهدى والضلال ، كي يقول من أضله الله وأعماه عن سبيل الحق للذين هداهم الله ووفقهم (أَهَؤُلاء مَنَّ اللّهُ عَلَيْهِم) بالهدى والرشد ، وهم فقراء ضعفاء أذلاء (من بيننا) ، ونحن أغنياء أقوياء استهزاءً بهم ومعادة للإسلام وأهله)[4].

---

(1) الدرر المنثور (٦/٥٥- ٥٦) ، سنن ابن ماجه ح : (٤١٢٧) ، (٢/٣٨٢) ، ط : دار إحياء التراث العربي ، د ، ت.، وصحيح سنن ابن ماجه ح : (٣٣٢٩) ، (٢/٣٩٦) ، ط : المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ /١٩٨٦م .

(2) في ظلال القرآن (٥/١١٠٠)

(3) سورة الأنعام الآية (٥٣)

(4) تفسير الطبري (٥/٢٠٤- ٢٠٥) ، وانظر المحرر الوجيز (٢/١١)

وفي ذلك بيان لفتنة رؤساء الكفار بضعفاء وفقراء المسلمين وتهكمهم وسخريتهم كيف يمن الله عليهم بالهدى قبلنا وهم على هذه الحالة من الضعف والذل .

يقول الإمام الفخر الرازي في تفسير هذه الآية مبيناً الفتنة الحاصلة بين الفريقين بقوله : (يبين الله تعالى أن كل واحد مبتلي بصاحبه فأولئك الكفار الرؤساء الأغنياء كانوا يحسدون فقراء الصحابة على كونهم سابقين في الإسلام مسارعين إلى قبوله فقالوا لو دخلنا في الإسلام لوجب علينا أن ننقاد لهم لهؤلاء الفقراء المساكين وأن نعترف لهم بالتبعية فكان ذلك يشق عليهم ، ونظيره قوله تعالى (أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ)[1] ، وقوله تعالى : (...لَوْ كَانَ خَيْراً مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ...)[2] أما فقراء الصحابة فكانوا يرون أولئك الكفار في الراحات والمسرات والطيبات والخصب والسعة ، فكانوا يقولون كيف حصلت هذه الأحوال لهؤلاء الكفار مع أننا بقينا في هذه الشدة والضيق والقلة ، فأحد الفريقين يرى الآخر متقدماً عليه في المناصب الدينية ،و الفريق الآخر يرى الفريق الأول متقدماً عليه في المناصب الدنيوية ، فكانوا يقولون هذا هو الذي فضله الله علينا)[3].

(أَلَيْسَ اللّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ) هذا منه تعالى ذكره إجابة لهؤلاء المشركين الذين أنكروا أن يكون الله هدى أهل المسكنة والضعف للحق ، وخذلهم عنه وهم أغنياء وتقرير لهم: أنا أعلم بمن كان من خلقي شاكراً لنعمتي ، ممن هو لها كافر ، فمني على من مننت عليه منهم بالهداية جزاء شكره إياي على نعمتي ، لا لغني منهم ولا لفقر فقير ،لأن الثواب والعقاب لا يستحقه أحد إلا جزاءً على عمله الذي اكتسبه ، لا على غناه وفقره لأن الغني والفقر والعجز والقوة ليس من أفعال خلقي[4]

---

(1) سورة القمر الآية (٢٥)
(2) سورة الأحقاف الآية (١١)
(3) التفسير الكبير (٢٣٧/١٢- ٢٣٨)
(4) تفسير الطبري (٢٠٥/٥) وانظر التحرير والتنوير (١٢٣/٦)

هذا الجواب من الله تبارك وتعالى لهؤلاء المشركين الذين أنكروا أن يكون الله هدى الضعفاء والمساكين وخذلهم يقرر الآتي :

أولاً : إن الهدى جزاءً يجزي به الله من يعلم من أمرهم أنهم إذا هدوا سيشكرون هذه النعمة ، التي لا كفاء لها من شكر العبد .

ثانياً : إن نعمة الإيمان لا تتعلق بقيمة من قيم الأرض الصغيرة التي تسود في الجاهليات البشرية ، إنما يختص بها من يعلم أنهم شاكرون عليها .

ثالثاً : أن اعتراض المعترضين على فضل الله ، وإنما ينشأ من الجهالة بحقائق الأشياء ، وأن توزيع هذا الفضل على العباد قائم على علم الله الكامل بمن يستحقه من هؤلاء العباد ، وما اعتراض المعترضين إلا جهل وسوء أدب في حق الله[1].

ويقول تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْراً مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ)[2] . هذه الآية كسابقتها تأتي في بيان ما يقوله المشركون استكباراً واحتقاراً لمن سبقهم إلى الإيمان والحق من ضعفاء وفقراء المسلمين .

أورد الطبري عن قتادة[3] في قوله تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْراً مَّا سَبَقُونَا ...) قال : قال ذاك أناس من المشركين : نحن أعز ، وفلو كان هذا خيراً ما سبقنا إليه بنو فلان ، يختص الله برحمته من يشاء ، ويكرم الله برحمته من يشاء ، تبارك وتعالى[4] .

---

(1) انظر في ظلال القرآن (١١٠١/٢) ، وانظر فتح البيان (٣٧٩/٢)

(2) سورة الأحقاف الآية (١١)

(3) قتادة : هو قتادة بن دعامة الدوسي البصري مفسر حافظ ضرير أكمه وكان مع علمه بالحديث رأساً في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب توفي بواسط بالطاعون (٦هـ-٢٨٣) وفيات الأعيان (٨٥/٤-٨٦) ، سير أعلام النبلاء (٢٦٩/٥- ٢٨٣) خلاصة تهذيب الكمال (٣٥٢/٢) .

(4) تفسير الطبري (٢٨١/١١)

والمعنى : قال كفار مكة لأجل إيمان من آمن من فقراء المؤمنين لو كان ما أتى به محمداً خيراً ما سبقنا إليه هؤلاء ، فإن معالي الأمور لا تنالها أيدي الأراذل وهؤلاء سقاط الناس ورعاة الإبل والشاة ، وقد قالوا ذلك زعماً منهم أنهم المستحقون للسبق إلى كل مكرمة ، وأن الرياسة الدينية مما تنال بأسباب دنيوية ، وقد غاب عنهم أنها منوطة بكمالات نفسية وملكات روحية مبناها الإعراض عن زخارف الدنيا الدنية والإقبال على الآخرة ، وأن من فاز بها فقد حازها بحذافيرها، ومن حرمها فما له فيها من خلاق ، ولم يعلموا أن الله يختص برحمته من يشاء ويصطفى لدينه من يشاء[1] .

وقوله سبحانه وتعالى (وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ) أي وقد ظهر عنادهم واستكبارهم إذ لم يهتدوا به ، وسيقولون الفينة بعد الفينة والحين بعد الحين: هذا كذب مأثور عن الأقدمين ، انتقاصاً له ولأهله ، واستكباراً عن إتباع الحق ، وهذا هو الكبر الذي قال رسول الله صلى عليه وسلم : (الكبر بطر الحق وغمط الناس)[2] فجاوزوا نفي خيريه القرآن إلى دعوى أنه كذب قديم ، ونحو هذه الآية قوله تعالى : (وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً)[3][4] هكذا أدى بهم استكبارهم واحتقارهم لمن سبقهم من ضعفاء المسلمين أن يعرضوا عن الإسلام بل جاوزوا ذلك إلى أن طعنوا في ما جاء به صلى الله عليه وسلم من القرآن والهدى ويقول تعالى عنهم (زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ اتَّقَواْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)[5].

---

(1) تفسير أبي السعود (٥/٥٧٤) ، فتح البيان (٦/٢٩٧- ٢٩٨) ، تفسير المراغي (٢٦/١٤- ١٥).
(2) مسلم ح (٩١) (١/٩٣) باب تحريم الكبر وبيانه ، من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ
(3) سورة الفرقان الآية (٥) .
(4) تفسير المراغي (٢٦/١٥) ، وانظر فتح البيان (٦/٢٩٨) ، وانظر ابن كثير (٤/١٩٩- ٢٠٠) .
(5) سورة البقرة الآية (٢١٢)

يقول الطبري في قوله تعالى : (زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ) يعني جل ثناؤه بذلك زين للذين كفروا حب الدنيا العاجلة اللذات فهم يبتغون فيها المكاثرة والمفاخرة ، ويطلبون فيها الرياسات والمباهاة ، ويستكبرون عن إتباعك يا محمد والإقرار بما جئت به من عندي تعظُّماً منهم على من صدقك واتبعك ، ويسخرون بمن اتبعك من أهل الإيمان والتصديق بك في تركهم المكاثرة والمفاخرة بالدنيا وزينتها من الرياش والأموال...)[1] ويقول ابن عطية . رحمه الله . : (وخص الذين كفروا بالذكر لقبولهم التزيين جملة وإقبالهم على الدنيا ، وإعراضهم عن الآخرة بسببها ، والتزيين من الله واقع للكل ، وقد جعل الله ما على الأرض زينة لها ليبلوَ الخلق أيهم أحسن عملا ، فالمؤمنون الذين هم على سنن الشرع لم تفتنهم الزينة ، والكفار تملكتهم لأنهم لا يعتقدون غيرها)[2] .

ويسخرون من الذين أمنوا لكونهم فقراء لاحظ لهم من الدنيا كحظ رؤساء الكفر وأساطين الضلال ، وذلك لأن عرض الدنيا عندهم هو الأمر الذي يكون من ناله سعيداً رابحاً ، ومن حرمه شقياً خاسراً ، وقد كان غالب المؤمنين إذ ذاك فقراء لاشتغالهم بالعبادة وأمر الآخرة وعدم التفاتهم إلى الدنيا وزينتها[3].

(وَالَّذِينَ اتَّقَواْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) أي في الدرجة ، لأنهم في الجنة والكفار في النار ، ويحتمل أن يراد بالفوق المكان ، من حيث الجنة في السماء والنار في أسفل سافلين ، ويحتمل أن يكون التفضيل على ما يتضمنه زعم الكفار ، فإنهم يقولون : وإن كان معادٌ فلنا فيه الحظ أكثر مما لكم[4] .

(وَاللّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) يقول ابن كثير – رحمه الله – : (أي يرزق من يشاء من خلقه ويعطيه عطاء كثيراً جزيلاً بلا حصر ولا تعداد في الدنيا

---

(1) تفسير الطبري (٣٤٦/٢) .
(2) المحرر الوجيز (٢٠٣/٢ ـ ٢٠٤) .
(3) فتح القدير (٢٣٣/١) .
(4) الجامع لأحكام القرآن (٢٩/٣) .

والآخرة)[1] ويقول ابن عطية – رحمه الله – : (ويحتمل أن يكون المعنى والله يرزق هؤلاء الكفرة في الدنيا فلا تستعظموا ذلك ، ولا تقيسوا عليه الآخرة ، فإن الرزق ليس على قدر الكفر والإيمان بأن يحسب لهذا عمله ، ولهذا عمله ، فيرزقان بحسان ذلك ، بل الرزق بغير حساب الأعمال ، والأعمال ومجازاتها محاسبة ومعادة إذ أجزاء الجزاء تقابل أجزاء الفعل المجازي عليه ، فالمعنى أن المؤمن وإن لم يرزق في الدنيا فهو فوقٌ يوم القيامة[2] .

ويقول تعالى مذكراً لهم بذنوبهم في الدنيا وما كانوا يستهزئون بعباده المؤمنين وأوليائه (إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ*فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ*إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ)[3]

تأتي هذه الآيات تذكيراً للمشركين بسخريتهم واستهزائهم بأهل الإيمان الضارعين إلى ربهم راجين رحمته .

(إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ) أي عن فريقاً من عبادي ممن كان يؤمن بالله واليوم الآخر في الدنيا يقولون : ربنا آمنا بك وبرسلك وبما جاءوا به من لدنك ، فاستر زلاتنا ، وآمن روعاتنا ، ولا تعذبنا بعذابك فإنك ارحم من رحم أهل البلاء[4].

(فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا) بكسر السين بمعنى الاستهزاء والسخرية بالقول ، أي فسخرتم منهم في دعائهم إياي وتضرعهم)[5].

(حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي) حتى للغاية ، أي اتخذتموهم سخرياً إلى هذه الغاية ، فإنهم نسوا ذكر الله لشدة اشتغالهم بالاستهزاء[1] .

---

(1) تفسير القرآن العظيم (٣٣٧/١) .
(2) المحرر الوجيز (٢٠٥/٢ ـ ٢٠٦) ، وانظر الجامع لأحكام القرآن (٣٠/٣) .
(3) سورة المؤمنون الآيات (١٠٩ ـ ١١١).
(4) تفسير المراغي (٦٠/١٨) .
(5) تفسير القرآن العظيم (٣٤٦/٤) وانظر فتح البيان (٥٤٤/٤) .

يقول الطبري – رحمه الله – في تفسيرها : (لم يزل استهزاؤكم بهم ، أنساكم ذلك من فعلكم بهم ذكرى فألهاكم عنه)[٢].

ويقول الشنقيطي[٣] – رحمه الله – (حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي) : لم يزالوا كذلك حتى أنساهم ذلك ذكر الله والإيمان به ، فكان مأواهم النار والعياذ بالله)[٤].

ويقول سيد قطب – رحمه الله – (وكذلك لم يكن جرمكم أنكم كفرتم فحسب ، واقتصرتم على أنفسكم بالكفر وهو جرم عظيم ، إنما بلغ بكم السفه والتوقح أن تسخروا ممن آمنوا ، وراحوا يرجون غفران ربهم ورحمته ، وأن تضحكوا منهم حتى ليشغلكم هذا الهذر عن ذكر الله ، ويباعد بينكم وبين التدبر والتفكر في دلائل الإيمان المبثوثة في صفحات الوجود)[٥].

ويقول الألوسي – رحمه الله – (خلاصة معنى الآية إنه كان فريق من عبادي يدعون فتشاغلتم بهم ساخرين واستمر تشاغلكم باستهزائهم إلى أن جركم إلى ترك ذكرى في أوليائي فلم تخافوني في الاستهزاء بهم)[٦]أضاف النسيان إلى المؤمنين لأنهم كانوا سبباً لاشتغالهم عن ذكره ، وتعدي شؤم استهزائهم بالمؤمنين إلى استيلاء الكفر على قلوبهم[٧] .

(وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ) أي من صنيعهم وعبادتهم[٨] .

وقول تعالى (إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ) أنه جزى أولئك المؤمنين المستضعفين في الدنيا بالفوز بالجنة في الآخرة (بِمَا صَبَرُوا) أي بسبب

---

(١) فتح البيان (٥٤٤/٤) .
(٢) تفسير الطبري (٢٥١/٩) .
(٣) محمد الأمين بن المختار الجكني الشنقيطي ولد عام ١٣٠٥هـ وهو عالم متبحر في علوم القرآن والأصول ، نصر عقيدة أهل السنة والجماعة ، من مؤلفاته أضواء البيان ، ودراسة لآيات الصفات توفي سنة ١٣٩٣هـ ، انظر ترجمته في أضواء البيان آخر المجلد العاشر لتلميذه ابن عطية ط : دار ابن تيمية .
(٤) أضواء البيان (٥٦٤/٥) ط : دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٧هـ -١٩٩٦م.
(٥) في ظلال القرآن (٢٤٨٢/٥) وانظر تفسير المراغي (٦٠/١٨) ..
(٦) روح المعاني (٦٩/١٨) .
(٧) الجامع لأحكام القرآن (١٥٥/١٢) .
(٨) تفسير القرآن (٣٤٦/٤) .

صبرهم في دار الدنيا على أذي الكفار الذين اتخذوهم سخرياً ، وعلى غير ذلك من امتثال أمر الله واجتناب نهيه[1] .

ونحو ذلك من استهزاء واحتقار الكفار للمؤمنين في وقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ*وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ*وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِينَ)[2] .

ونحو ذلك أيضاً في تبكيت المشركين وتحسيرهم على قبح أفعالهم مع المؤمنين في قوله تعالى : (أَهَؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لاَ يَنَالُهُمُ اللّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ)[3].

مما تقدم بيانه من معاني الآيات التي بينت كيف كانت عاقبة السخرية إلى نسيان ذكر الله والإيمان بما جاء به صلى الله عليه وسلم من الحق ، فليتمس من ذلك فوائد عظيمة ومعاني لابد من وقفة عندها .

١. السخرية تنسى الإنسان ذكر ربه وبذلك يخسر الساخر نفسه ويلقى بها في النار.

٢. السخرية داء من أدواء الجاهلية يجب تجنبه والبعد عنه .

٣. السخرية وما في معناها من الاستهزاء بالضعفاء والمساكين والتحقير لهم والازدراء عليهم كل ذلك مبعد عن الله عز وجل[4].

يقول القرطبي – رحمه الله – في قول الله عز وجل (فاتخذتموهم سخرياً حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون) يستفاد من هذا التحذير من السخرية والاستهزاء بالضعفاء والمساكين والاحتقار لهم والازدراء عليهم والاشتغال بهم فيما لا يعني وأن ذلك مبعد عن الله عز وجل)[5].

---

(١) أضواء البيان (٥٦٤/٥) .
(٢) سورة المطففين الآيات (٢٩ ـ ٣١).
(٣) سورة الأعراف الآية (٤٩) ، وانظر فتح البيان (٥٢٠/٢) ..
(٤) انظر موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٤٦١٤/١٠) إعداد مجموعة من المختصين ، ط : دار الوسيلة للنشر والتوزيع جدة الطبعة الثانية ١٤٢٠/١٤١٩هـ ـ ٢٠٠٠/١٩٩٩م .
(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٥٥/١٢) .

المبحث الخامس

متاع الدنيا

إن من مصادر النسيان متاع الدنيا من الأموال والأولاد ، وذلك بالفتنة الحاصلة به، والغلو في حبه والاشتغال بطلبه ، فإن ذلك مما جبل على حبه الناس وزين في قلوبهم يقول تعالى : (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ)[1] يخبر تعالى عما زين للناس في هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ من النساء والبنين والمال الجزيل والخيل الحسان المعلمة والأنعام من الإبل والبقر والغنم والحرث ، أي الأرض المتخذة للغراس والزراعة .

ثم قال تعالى : (ذلك متاع الحياة الدنيا) إنما هذا زهرة الحياة الدنيا الفانية الزائلة، وأن ذلك كله مما يستمتع به في الدنيا أهلها أحياء فتبلغون به فيها ويجعلونه وصلة في معاشهم وسبباً لقضاء شهواتهم التي زين لهم حبها في عاجل دنياهم[2] .

إن الفتنة بالأموال والأولاد فتنة عظيمة لا تخفى على ذوي الألباب فهماً مما يملأ على المرء أوقاته ويشغل أفكاره بل وحياته كلها . فإن حب المال أودع في غرائز البشر واختلط بلحمهم ودمهم ، لأنه وسيلة إلى جلب الرغائب والشهوات واللذات ، ورغبات الإنسان ولذاته لا عدَّ ولا حصر لها ، وكلما حصل على لذة طلب المزيد منها كما جاء في الحديث (لو أن ابن آدم أعطي إردبا ملأ من ذهب أحب إليه ثانياً ، ولو أعطي ثانياً أحب إليه ثالثاً ولا يسد جوف ابن آدم إلا التراب ويثوب الله على من تاب)[3] فما وصل إلى غاية فيجمع المال إلا تاقت نفسه إلى ما فوقها حتى يبلغ به النهم في جمعه أن ينسى أن المال وسيلة لا مقصد فيفتن في الوصول

---

(1) سورة آل عمران الآية (١٤) .
(2) انظر تفسير القرآن العظيم (٤٦٨/١ ـ٤٧٠) .
(3) البخاري ح (٦٤٣٨) كتاب الرقائق باب ما يتقى من فتنة المال .

إليه الفنون المختلفة والطرق التي توصل إليه ولا يبالي أمن حلال كسب أم من حرام .

ولذا نجد أن فتنة المال أعمت كثيراً من الناس فشغلتهم عن حقوق الله وحقوق الأمة والوطن ، بل عن حقوق من يعاملهم ، بل حقوق بيوتهم وعيالهم بل عن أنفسهم ، ومنهم من يقصر في النفقة على نفسه وعياله بالقدر الذي يزري بمرؤته[1] .

ونحو ما تقدم من المعاني قوله " (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً)[2] .

أما الأولاد فهم – كما يقول الأدباء ثمرة الفؤاد وأفلاذ الأكباد ، وحبهم نوع من الفطرة يلقيه الفاطر الحكيم في قلوب الأمهات والآباء يحملهم على بذل كل ما يستطاع بذله في سبيلهم من مال وصحة وراحة وغير ذلك .

وها هو القرآن الكريم يخاطب الكينونة البشرية بما يعلم خالفها من تركيبها الخفي وبما يطلع منها على الظاهر والباطن، على المنحيات والدروب والمسالك (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)[3].

تأتي هذه الآية تحذير من أن تكون الأموال والأولاد ملهاة ومشغلة عما أوجبه الله من الفرائض والعبادات وذكره سبحانه وتعالى .

وخص الأموال والأولاد بتوجه النهي عن الاشتغال بها اشتغالاً يلهي عن ذكر الله ، لأن الأموال مما يكثر إقبال الناس علي إنمائها وتدبير شؤونها والتفكير في اكتسابها بحيث تكون أوقات الشغل بها أكثر من أوقات الشغل بالأولاد ، ولأنها كما تشغل عن ذكر الله بصرف الوقت في كسبها ونمائها ، تشغل عن ذكره بالتذكير لكنزها بحيث ينسى ذكر ما دعا الله إليه من أنفاقها .

---

(1) انظر تفسير المراغي (٣/١١٠ - ١١١) .
(2) سورة الكهف الآية (٤٦) ..
(3) سورة المنافقون الآية (٩) .

وأما ما ذكر الأولاد فهو إدماج لأن الاشتغال بالأولاد والشفقة عليهم وتدبير شؤونهم وقضاء الأوقات في التآنس معهم وبهم من شانه أن ينسى عن تذكر أمر الله ونهيه في أوقات كثيرة فالشغل بهذين أكثر من الشغل بغيرهما.

(ذكر الله) فيشمل الذكر باللسان كالصلاة وتلاوة القرآن والتذكر بالعقل كالتدبر في صفاته واستحضار امتثاله)[1].

وأن المراد بالأموال والأولاد الدنيا ، وعبر بهما عنها لكونهما ارغب الأشياء منها ، كما قال تعالى : (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)[2] .

يقول سيد قطب – رحمه الله – في تفسير هذه الآية : (الأموال والأولاد ملهاة ومشغلة إذا لم يستيقظ القلب ويدرك غاية وجوده ، ويشعر أن له هدفاً أعلى يليق بالمخلوق الذي نفخ الله فيه روحه ، فأودع روحه الشوق إلى تحقيق صفاته الإلهية في حدود طاقته البشرية ، وقد منحة الأموال ليقوم بالخلاقة في الأرض لا تلهية عن ذكر الله والاتصال بالمصدر الذي تلقى منه ما هو به إنسان ، ومن يغفل عن الاتصال بذلك المصدر ويلهه عن ذكر الله لن يتم له هذا الاتصال[3].

ويقول تعالى : (وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ)[4]

فالمراد أنهم سبب فتنة سواء سعوا في فعل الفتن أم لم يسعوا ، فإن الشغل بالمال والأولاد فتنة[5].

فهم فتنة لأنهم سبب الوقوع في كثير من الذنوب ، وصادون عن أمور الآخرة ، فصاروا من هذه الحيثية محنة ، يختبر الله بها عباده ، وإن كانوا من حيثية أخرى

---

(1) التحرير والتنوير (٢٢٤/٢٨ ـ ٢٢٥) ..
(2) روح المعاني (١١٧/٢٨) .
(3) في ظلال القرآن (٣٥٨٠/٦) .
(4) سورة الأنفال الآية (٢٨) .
(5) التحرير والتنوير (٢٢٤/٢٨ ـ ٢٢٥).

زينة الحياة الدنيا[1] ونحو ذلك قوله تعالى (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ)[2] .

إن الله تعالى يعلم مواطن الضعف في هذه الكينونة ، ويعلم أن الحرص على الأموال والأولاد من أعمق مواطن الضعف فيها ، ومن هنا ينبهها إلى حقيقة هبة الأموال والأولاد .

لقد وهبها الله تعالى للناس ليبلوهم بها ، ويفتنهم فيها فهي من زينة الحياة الدنيا التي تكون موضع امتحان وفتنة ليرى الله تعالى صنيع العبد وتصرفه ، أيشكر عليها ويؤدي حق النعمة فيها ، أم ينشغل بها حتى يغفل عن أداء حق الله تعالى فيها فيقع في الفتنة ، وذلك لأنها تكون بالشدة والحرمان وحدهما ، إنها تكون أيضاً بالرخاء والعطاء ، ومن الرخاء والعطاء هذه الأموال والأولاد[3] .

يقول الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود[4] . رضي الله عنه . تحت قوله تعالى (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) (ما منكم من أحد إلا هو مشتمل على فتنة ، فمن استعاذ منكم فليستعذ بالله من مضلات الفتن)[5] .

وإذا تبين لنا مما سبق إن الأموال والأولاد فتنة تشغل الإنسان عن طاعة ربه ومولاه ، فإن المقصود بذلك أحوال معينة إذا وجدت وقعت الفتنة وحل البلاء).

أ/ فمن ذلك بالنسبة للأموال :

١. أن يشتغل بأمواله عن ذكر ربه ويغفل عن مثل قوله – جل شأنه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن

---

(١) فتح البيان (٢٧/٣) .
(٢) سورة التغابن الآية (١٥) .
(٣) انظر في ظلال القرآن (١٩٨٤/٣) .
(٤) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم ، أبو عبدالرحمن الهذلي حليف بني زهرة كان إسلامه قديماً حين أسلم سعيد بن زيد وزوجته فاطمة بنت الخطاب وهو أول من جهر بالقرآن بمكة ، أسد الغابة (٢٧٩/٣) .
(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١١٨/١٢) .

يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)[1] وقول سبحانه : (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)[2] فإذا ما اشتغل الإنسان بأمواله فقد ينسى بذلك خالقه ورازقه ويغفل عن ذكر الموت والدار الآخر ويصبح همه وشغله أمواله ودوره وعقاره.

٢. أن يحمله الحرص عليها بأن ينسى حق الله فيها ، وذلك بكنزها وحبسها بخلاً وطمعاً. قال تعالى : (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ*يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ)[3]

٣. أن يجحد الإنسان نعمة المال التي رزقه الله تعالى إياها ، ومن بها عليه من بين سائر الخلق ، فالإنسان قد يبلغ به الطغيان والفجور، بل الكفر مبلغاً عظيماً إذا توفر لديه المال الكثير والخير العميم أن ينسبه إلى قوته وعمله ولقد ضرب الله تعالى على ذلك مثلين في القرآن لمن كان له قلب أو ألفى السمع وهو شهيد .

المثال الأول : قصة قارون :

فقد ضرب لنا القرآن العظيم مثلاً بقصة قارون ، ذلك الطاغية المتكبر الذي أوتي غني فاحشاً ففرح به فرحاً أخرجه عن دائرة الاعتدال إلى البغي والطغيان ، ذلك أن صوتاً مؤمناً من قومه انطلق يعلن النهج القويم الذي يرضاه الله تعالى: (وَابْتَغِ فِيمَا

---

(١) سورة المنافقون الآية (٩) .
(٢) سورة الجمعة الآية (١١) .
(٣) سورة التوبة الآيات (٣٤ ـ٣٥) .

آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)[1].

لقد قاموا يدعونه إلى تذكر نعمة الله تعالى عليه بما أعطاه من المال ، وأحسن إليه، وأن لا يدعوه ذلك إلى الفساد في الأرض ولكن لم يسمع له رد إلا بالكلمة الفاجرة الظالمة ، حين نسب ذلك الغني الفاحش إلى علم عنده (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي)[2].

إنه يقول : لقد أوتيت هذا المال بكدي وجهدي وعلمي فأنا حر في التصرف فيه ، وليت الأمر عند هذا الحد ، بل خرج في زينته على قومه فرحاً بطراً متكبراً ، لابساً الملابس التي تفتن ظاناً أن حياة البذخ والترف والإسراف مستمرة لا انقطاع فيها ، فماذا كانت نتيجة هذا الإنكار وهذا الطغيان ؟(فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ)[3]

لقد خسف الله تعالى به وبدارة الأرض فذهبت زينته وتحطم غروره وكبرياؤه واستعلاؤه[4] .

المثال الثاني : قصة صاحب الجنتين :

كما ضرب لنا مثلاً آخر على أن المال يفتن صاحبه إذا جحد نعمته وصرفها في غير طاعة الله بقصة صاحب الجنتين ، ذلك الرجل الذي أذهلته الثروة وأبطرته النعمة ، فنسي القوة الكبرى التي تسيطر على أقدار الناس والحياة ، وحسب أن هذه النعمة خالدة لا تفتى ، ورأى صاحبه بطره وطغيانه – وهو الفقير الذي لا مال له ولا نفر ، ولا جنة ولا ثمر – فأخذ ينكر عليه بطره وكبره ويذكره بمنشئة المهين من ماء وطين ، ويوجهه إلى الأدب الواجب في حق المنعم ، وينذره عاقبة البطر والكبر.

---

(1) سورة القصص الآية (٧٧).
(2) سورة القصص الآية ٧٨) .
(3) سورة القصص الآية (٨١) .
(4) انظر الدرر المنثور(٢٥٩/٥) والمحرر الوجيز(٣٢٩/١١) والظلال (٢٧١٠/٥) والجامع لأحكام القرآن (٣٢١/١٣) والبحر المحيط(١٣١/٧) وفتح القدير(٢٥٩/٤) وتيسير الكريم الرحمن ص: (٥٧٣- ٥٧٤) .

ولكنه فتن بماله وجاهه وتمادى في طغيانه وكفره فكانت النتيجة المؤلمة .(وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً*وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِراً*هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً)[1] إنه مثل لكل صاحب مال جحد نعمة الله عليه .

ب/ وأما ما يتعلق بالأولاد : فإنهم يكونون فتنة تنسى الإنسان في أحوال خاصة ، وذلك يكون بفرط المحبة لهم ، والشغل بهم عن كثير من الخيرات ، ولهذا حذر الله – تعالى – منهم ومن الأزواج بقوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[2].

وثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يخطب فجاءه الحسن والحسين – رضي الله عنهما – عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من منبره ، فحملهما ، فوضعهما بين يديه ، ثم قال : صدق الله ورسوله : (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ)[3] نظرت إلى هذين الصبيين فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما[4] .

كما أن الفتنة بالأولاد قد تحمل الوالدين على اقتراف الآثام في سبيل تربيتهم ، والإنفاق عليهم ، وتكثير الثروة لهم ، كغصب مال الغير وغير ذلك من مباشرة أوجه الكسب المحرمة[5] .

---

(1) سورة الكهف الآيات (٤٢ ـ ٤٤) .
(2) سورة التغابن الآية (١٤).
(3) سورة التغابن الآية (١٥).
(4) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب باب مناقب الحسن والحسين (٦٥٨/٥) ح (٣٧٧٤) والنسائي كتاب الجمعة باب نزول الإمام عن المنبر قبل فراغه من الخطبة (٨٨/٣) ط : دار القلم بيروت ، د:ت، وابن ماجة في كتاب اللباس باب لبس الأحمر للرجال (١١٩٠/٢) ح (٣٦٠٠) وانظر صحيح الترمذي للألباني (٢٢٤/٣) ح (٢٩٦٨) ، ط : المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ /١٩٨٩م.
(5) انظر التفسير الكبير (٢٧/٣٠) .

ولربما فتن الولد والدية بسبب فسقه وطغيانه كما قال سبحانه في قصه الغلام الذي قتله العبد الصالح (وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً)[1] قال سيد قطب – رحمه الله – (هذا دليل واضح حيث كان الغلام الذي لا يبدو في حاضره ومظهره أنه يستحق القتل وقد كشف ستر الغيب عن حققته للعبد الصالح ، فإذا هو في طبيعته كافر طاغ ، تكمن في نفسه بذور الكفر والطغيان ، وتزيد على الزمن بروزاً وتحققاً ، فلو عاش لأرهق والديه المؤمنين بكفره وطغيانه ، ولقادهما بدافع حبهما له أن يتبعاه في طريقه ، فأراد الله ، ووجه إرادة عبده الصالح إلى قتل هذا الغلام الذي يحمل طبيعةً كافرةً طاغية ، وأن يبدلهما خلفاً منه ، وأرحم بوالديه)[2].

قال ابن الجوزي – رحمه الله – قال الزجاج[3] : (فرحا به حين ولد وحزناً عليه حين قتل، ولو بقي لكان فيه هلاكهما ، فليرضى المرء بقضاء الله ، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب)[4]. ولقد جاء في القرآن الكريم آيات عظيمة ، وجاء في السنة الشريفة أحاديث كثيرة ، كلها دلائل واضحة ، وبراهين ساطعة تكشف لنا تلك الفتنة العظيمة ، وتبين خطرها ، ذلك إذا اقترنت بالأحوال التي سبق بيانها ، والتفصيل فيها .

ففي القرآن الكريم ذم الله تعالى أموال المنافقين وأولادهم لأنهم استغلوها في غير طاعة الله قال الله تعالى : (فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ)[5] وقال

---

(1) سورة الكهف الآية (٨٠) .
(2) في ظلال القرآن (٢٢٨١/٤) .
(3)إبراهيم بن محمد بن السدي الزجاج البغدادي نحوي زمانه لزم المبرد فكان يعطيه من عمل الزجاج كل يوم درهماً فنصحه وعلمه ، أخذ عنه العربية أبو علي الفارسي وجماعة من أشهر كتبه معاني القرآن والإنسان وأعضاؤه وغير ذلك ، انظر سير أعلام النبلاء (٣٩٠/٤١) والبداية والنهاية (١٤/١١) لأبي الفداء الحافظ ابن كثير ، ط : دار مكتبة المعارف بيروت ومكتبة النور الرياض الطبعة الأولى .
(4) زاد المسير (١٣٣/٥) .
(5) سورة التوبة الآية (٥٥) .

سبحانه (وَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ)[1] فهذا شأنهم في الدنيا أما في الآخرة فالأمر أشد وأعظم قال تعالى : (لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئاً أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)[2] ويقول تعالى : (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاء أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ* قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاء وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْماً بُوراً)[3] ومما جاء من ذلك في السنة الشريفة قوله صلى الله عليه وسلم : (اللهم من أمن بي وصدقني وعلم أن ما جئت به هو الحق ، فأقلل ماله وولده ،وعجل قبضته ، اللهم ومن لم يؤمن بي ولم يصدقني ولم يعلم أن ما جئت به هو الحق فأكثر ماله وولده وأطل عمره)[4].

وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال :)إن الدنيا والدرهم أهلكا من كان قبلكم ، وإنهما مهلكاكم ، فانظروا كيف تعملون)[5].

وثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : (ما ذئبان جائعان أرسلا في حظيرة غنم بأفسد لهما من حب المال والشرف)[6].

---

(1) سورة التوبة الآية (٨٥) .
(2) سورة المجادلة الآية (١٧).
(3) سورة الفرقان الآيات (١٧ ـ ١٨) .
(4) أخرجه ابن ماجة في كتاب الزهد باب في المكثرين (١٣٨٥/٢) ح (٤١٣٣) ، وقال الهيثمي في المجمع رجاله ثقات (٢٨٦/١٠) ، وانظر السلسلة الصحيحة للألباني (٣٢٥/٣) ح ١٣٣٨) ط : المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٥ه /١٩٨٥م .
(5) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٧٨/٥) ، وأبو نعيم في الحلية (٢٦١/١) وعزاه إلى أبي داود وكلاهما من حديث أبي موسى رضى الله عنه ..
(6) أخرجه أحمد في المسند (٤٥٦/٣) والترمذي في كتاب الزهد الباب (٤٣) (٥٨٨/٤) برقم (٢٣٧٦) وقال حسن صحيح .

وفي حديث آخر (الولد محزنة مجبنة مجهلة مبخلة)[1] هذه فتنة الأموال والأولاد هكذا من شأنها تنسى الإنسان قد كشفت عن أسبابها وبينت الدلائل والإيحاءات التي أشار إليها القرآن الكريم فيما ذكرت من آيات كريمات .

ولابد من التنبيه هنا إلى ما قدمناه من بيان فتنة الأموال والأولاد لا يعني أنهما فتنة وشر من جميع الوجوه في كل حين بل إنهما قد يكونا في أحوال خاصة سبب خير وفلاح للإنسان في حياته وبعد مماته ، وذلك عندما ينفق المؤمن أمواله في مصارفها الشرعية ، ومصارفها المحمودة ، والأولاد كذلك لا يكونون فتنة عندما يربون التربية الإسلامية الصحيحة ويعدون إعداداً حقيقياً لحمل راية هذا الدين من جديد ، داعياً ولي أمرهم بهذا الدعاء في قوله تعالى : (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً)[2]، ولهذا جاء في السنة الشريفة مدح وجود المال والولد لهذه الأسباب التي نوهت بذكرها وأفصحت عنها فمن ذلك : ما ثبت في الصحيح عنه – صلى الله عليه وسلم – أنه قال (نعم المال الصالح للمرء الصالح)[3] . ومن ذلك دعاؤه للصحابي الجليل أنس بن مالك[4] – رضي الله عنه – بقوله : (اللهم ارزقه مالاً وولداً ، وبارك له فيه)[5].

وعن الأشعث بن قيس – رضي الله عنه – قال : قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد كندة فقال لي : (هل لك من ولد ؟ قلت غلام ، ولد لي في

---

(1) رواه الطبراني في معجمه الكبير (٢٤١/٢٤) وهو في صحيح الجامع للألباني ح (١٩٨٦) ، ط : دار المكتب الإسلامي الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م.

(2) سورة الفرقان الآية (٧٤).

(3) أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٣٠٠) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه وإسناده صحيح ، انظر مجمع الزوائد (٦٤/٤) .

(4) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار وأسمه تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة الأنصاري الخزرجي النجاري خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسمى به ويفتخر بذلك خدم النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين وهو من المكثرين في الحديث وآخر من مات من الصحابة بالبصرة ، انظر أسد الغابة (١٧٣ ـ ١٧٩) .

(5) أخرجه أحمد في المسند (١٠٨/٣) ، والبخاري في كتاب الدعوات باب قوله تعالى وصل عليهم (١٣٦/١١) برقم (٦٣٣٤) ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أنس بن مالك رضي الله عنه (١٩٢٨/٤) برقم (٢٤٨٠) ، واللفظ لأحمد ..

مخرجي إليك ، ولوددت أن بمكانه سبع القوم ، فقال : (لا تقولن ذلك فإن فيهم قرة عين وأجراً إذا قبضوا)[1].

وفي هذا الحديث إشارة واضحة ، وفائدة عظيمة ببيان الأجر العظيم لمن رزقه الله تعالى أولاداً ثم وأن بعضهم فصبر واحتسب ، فإن له بذلك أجراً عظيماً ، ومكانة رفيعة كما ثبت ذلك في سنن الإمام النسائي في قوله عليه الصلاة والسلام (من احتسب ثلاثة من صلبه دخل الجنة)[2].

---

(1) أخرجه أحمد في المسند (٢١١/٥) وفي إسناده مجالد بن سعيد وهو ضعيف أنظر تهذيب التهذيب (٣٧١/٥) للحافظ ابن حجر العسقلاني ، ط : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د : ت . وقوله سبع القوم أي سابعهم راجع لسان العرب (٨١٤٧) مادة سبع .

(2) أخرجه النسائي في كتاب الجنة باب ثواب من احتسب ثلاثة من صلبه (٢٠/٤) من حديث أنس بن مالك ، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي ح (١٧٦٦) (٤٠٤/٢) ، ط: المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م .

دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	النسيان في ضوء القرآن الكريم : دراسة موضوعية
المؤلف الرئيسي:	أحمد، أحمد الحاج حسن
مؤلفين آخرين:	عبد القادر، الطاهر أحمد(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2006
موقع:	أم درمان
الصفحات:	1 - 203
رقم MD:	561514
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة أم درمان الاسلامية
الكلية:	كلية أصول الدين
الدولة:	السودان
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	علوم القرآن، السور والآيات، النسيان في القرآن
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/561514

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الفصل الثالث : النسيان في حق الله تعالى

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : تنزه الله تعالى عن النسيان

المبحث الثاني : نسيان المقابلة

المبحث الثالث : النسخ

الفصل الثالث

النسيان في حق الله تعالى

المبحث الأول

تنزيه الله تعالى عن النسيان

إن النسيان نقص ومن ثم فهو يجري على الإنسان ولا يجوز في حق الله سبحانه وتعالى فله الكمال والجلال في ذاته وأسمائه وصفاته ، ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ، ومنزه عن كل عيب ونقص .

فهو سبحانه منزه عن النسيان فلا يحتاج إلى تنزيه ، فهو الخالق العليم المحيط علمه بكل شئ ، كما يقول سبحانه وتعالى : (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)[1].

وقد وردت الآيات التي تدل على إحاطة ملكه وعلمه الذي لا يطرأ عليه غفلة أو نسيان .

يقول تعالى : (وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً)[2] .

تأتي هذه الآية خطاباً للنبي صلى الله عليه وسلم من الوحي جبريل عليه السلام مبيناً أن النزول بالوحي إنما هو بأمر الله ومشيئته سبحانه وتعالى .

(وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ) أي قال الله سبحانه قل يا جبريل ، وما نتنزل وقتاً غب وقت ، إلا بأمر الله على ما تقتضيه حكمته ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استبطأ نزول جبريل عليه حين سألوه في أمر الروح ، وأصحاب الكهف وذي القرنيين ، فأُمر جبريل أن يخبره بأن الملائكة ما تتنزل إلا بأمر الله[3]

---

(1) سورة الملك الآية (١٤) .
(2) سورة مريم الآية (٦٤).
(3) فتح البيان (٣٠٤/٤) .

ورد في سبب نزول هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ؟ قال فنزلت . وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ . الآية كلها ، قال : (كان هذا الجواب لمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم)[1] .

ويقول القرطبي . رحمه الله . : (وهذا يحتمل وجهين : أحدهما . إنا إذا أمرنا نزلنا عليك ، والثاني . إذا أمرك ربك نزلنا عليك ، فيكون الأمر على الوجه الأول متوجهاً إلى النزول ، وعلى الثاني متوجهاً إلى التنزيل)[2] .

ومن ذلك أن النزول والتنزيل بأمر الله على ما تقتضيه حكمته ومشيئته

(لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ) من الجهات والأماكن ، أو من الأزمنة الماضية ، والمستقبلة ، وما بينهما من الزمان أو المكان الذي نحن فيه فلا نقدر أن ننقل من جهة إلى جهة ، أو من زمان إلى زمان ، إلا بأمر ربك ومشيئته ، وقيل المعنى له ما سلف من أمر الدنيا وما يستقبل من أمر الآخرة ، وما بين ذلك وهو ما بين النفختين وقيل الأرض التي بين أيدينا إذا نزلنا ، والسماء التي وراءنا ، وما بين السماء والأرض ، وقيل ما مضى من أعمارنا وما غبر منها ، والحالة التي نحن فيها وعلى هذه الأقوال كلها أن الله سبحانه وتعالى هو المحيط بكل شئ لا يخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة[3] .

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب التفسير الباب (٢) وما تتنزل إلا بأمر ربك برقم (٤٧٣١) ، وأسباب النزول للواحدي ص : (١٧٣) .
(2) الجامع لأحكام القرآن (١٢٩/١١) .
(3) فتح القدير (٣٨٥/٣) وانظر التفسير الكبير (٢٣٩/٢١) .

(وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً) يقول الطبري . رحمه الله . في تفسيرها : (لم يكن ربك ذا نسيان فيتأخر نزولي إليك بنسيانه إياك بل هو الذي لا يعزب عنه شئ في السماء ولا في الأرض فتبارك وتعالى ولكنه أعلم بما يدبر ويقضي في خلقه جل ثناؤه)[1] .

ويقول الألوسي . رحمه الله . في تفسيرها أيضاً : (أي تاركاً أنبياءه عليهم السلام ، ويدخل صلى الله عليه وسلم في ذلك دخولاً أولياً ، أي ما كان عدم النزول إليك إلا لعدم الأمر به ، ولم يكن عن ترك الله تعالى لك ، ولا توديعه إياك كما زعمت الكفرة ، وإنما كان لحكمة بالغة ، وقيل النسيان على ظاهره ، يعني إنه سبحانه لإحاطة علمه وملكه لا يطرأ عليه الغفلة والنسيان حتى يغفل عنك ، وعن الإيحاء إليك ، وإنما كان تأخير الإيحاء لحكمة علمها جل شأنه ، واختير الأول لأن هذا المعنى لا يجوز عليه سبحانه فلا حاجة إلى نفيه عنه عز وجل)[2].

فالآية المقصد منها كما يقول ابن عطية : (الإشعار بملك الله تعالى لملائكته ، وإن قليل تصرفهم وكثيره إنما هو بأمر الله وانتقالهم من مكان إلى مكان إنما هو لخدمته ، إذ الأمكنة له وهم له)[3] .

فهو سبحانه (رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً)[4] .

بيان لاستحالة النسيان عليه تعالى فإن من بيده ملكوت السموات والأرض وما بينهما كيف يتصور أن يحوم حول ساحة عظمته وجلاله الغفلة والنسيان ، أو ترك وقلاء من اختاره واصطفاه لتبليغ رسالته[1] .

---

(1) تفسير الطبري (٣٦١/٨) .
(2) روح المعاني (١١٤/١٦) وانظر تفسير الطبري (٣٦١/٨)
(3) المحرر الوجيز (٥٠٠/٩ ـ ٥٠١) .
(4) سورة مريم الآية (٦٥) .

يقول تعالى : (قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى*قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى)[٢] .

تأتي هاتين الآيتين في صياغ السؤال الذي سأله الطاغية فرعون لموسى عن حال القرون الأولى وجواباً من موسى عليه السلام مبيناً إحاطة علم الله الملك العزيز بكل شئ .

وقول موسى في جوابه (عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى) أن ذلك من علوم الغيب التي لا يعلمها إلا الله فهو الذي ضبط أعمالهم وأحصاها في كتاب لا يشذ عنه شئ ولا يفوته شئ كبير ولا صغير ولا ينسى شيئاً وسيجزيهم بما عملوا جزاءً وفاقاً .

وقصارى ذلك إن علمه تعالى محيط بكل شئ ولا ينسى شيئاً تبارك وتعالى ، فعلمه ليس كعلم المخلوقين الذي يعتريه النقص من وجهين : عدم الإحاطة بالأشياء ، ونسيانها بعد علمها[٣] .

ونحو ذلك قال الله عز وجل (وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ)[٤] .

وبقوله تعالى : (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن

---

(١) روح المعاني (١١٥/١٦) وانظر تفسير أبي السعود (٤٣٥/٣) وانظر تفسير المراغي (٧٢/١٦) وانظر تفسير البغوي (٢٠٢/٣ ـ ٢٠٣) .

(٢) سورة طه الآيات (٥١ ـ ٥٢) .

(٣) تفسير المراغي (١١٨/١٦) وانظر التحرير والتنوير (١٣٠/١٦ ـ ١٣١) .

(٤) سورة الأنعام الآية (٥٩) .

مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ)[1] .

فالله تعالى عليم بكل شئ ، لم يسبق معرفته جهل ولا يعدو عليها نسيان ولا يمكن أن تخالف الواقع .

وعلمه محيط بالأمس واليوم والغد والظاهر والباطن ، بالدنيا والآخرة وهو وحده يحصي أعمالنا الماضية ساعة ساعة ، ويسجل أحوال العالم الغابر دولة دولة وحادثة حادثة ، كما أشارت إليه الآيات السابقة .

فالشهود والغيب لديه سواء ، والقريب والبعيد والقاصي والداني (إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ...)[2] .

فعدد ما في صحاري الأرض من رمال ، وعدد ما في بحار الدنيا من قطرات ، وعدد ما في الأشجار من ورقات ، وعدد ما في الأغصان من ثمار ، وما في السنابل من حبوب ، وما في رؤس البشر وجلودهم من شعر .

ثم ما يمكن أن يطرأ على هذه الأعداد الكثيرة من أحوال شتى وما تحتاج إليه في وجودها من قوى متجددة ، وما يعتريها من أوصاف متغايرة ، ذلك كله في علم الله لا يشذ منه شئ فسبحانه من عليم قدير محيط علمه بكل شئ[3] .

---

(1) سورة يونس الآية (٦١) .
(2) سورة فصلت الآية (٤٧) .
(3) انظر عقيدة المسلم لمحمد الغزالي (١٠٤/١٣) نشر وتوزيع دار الثقافة ـ الدوحة ،د:ت .

المبحث الثاني

نسيان المقابلة

الله سبحانه وتعالى يجازي العباد من جنس أعمالهم وصدق أحوالهم فيه عزّ وجلّ ، فأهل الإحسان لهم الإحسان ، كما يقول تعالى : (هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ)[1] وأهل الإساءة لهم الإساءة كما يقول عزّ وجلّ (لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً)[2] وعلى نحو هاتين الآيتين المتقدمتين قوله تعالى : (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى)[3] فالجزاء من الله يكون مقابلاً للعمل ، أو فالجزاء من جنس العمل ، فكيفما يدين العبد لربه يدان بذلك .

ومن ذلك أن من ذكر الله فله الذكر كما يقول تعالى : (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ)[4] وجاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يقول الله تعالى أنا عند حسن ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منهم ، وإن تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة)[5].

---

(1) سورة الرحمن الآية (٦٠) .
(2) سورة النساء الآية (١٢٣) .
(3) سورة النجم الآية (٣١) .
(4) سورة البقرة الآية (١٥٢) .
(5) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قوله تعالى (ويحزركم الله نفسه) برقم (٧٤٠٥) ، ومسلم في كتاب الذكر باب الحث على ذكر الله تعالى ح (٢٦٧٥) (٤/٢٠٦١).

ويقابل ذلك أن من نسى الله جلا وعلا ولم يذكره ، ولم يقدره حق قدره ويعظمه حق التعظيم إتباعاً لأمره وانتهاءً عند نهيه وإتباعاً لشرعه ورسله نسيه الله وأغفله من هدايته ورحمته .

فالله سبحانه منزه عن النسيان لا يشذ عن علمه شيء فيأتي نسيانه مقابلة لنسيان العباد له ومشاكلة من جنس أحوالهم .

وقد ورد ذلك في القرآن الكريم في شأن الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً واغتروا بالدنيا وزخرفها وسخروا بدين الله تعالى ولم يعملوا بما أمرهم الله تعالى به من العمل للآخرة .

يقول تعالى : (الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَاء يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ)[1]

(الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً) ذلك وصف للكافرين بما كانوا يعتمدونه في الدنيا باتخاذهم الدين لهواً ولعباً ، إذ جعلوا دينهم أعمالاً لا تزكى إلا الأنفس ولا تجعلها أهلاً للتشريف والكرامة ، بل هي إما لهو يشغل الإنسان عن الجد والأعمال المفيدة ، وإما لعب لا يقصد منه فائدة صحيحة فهو كأعمال الأطفال[2] .

ويقول الإمام الرازي – رحمه الله – (بأنهم اتخذوا دينهم لهواً ولعباً فيه وجهان) :

الأول : أن الذي اعتقدوا فيه أنه دينهم تلاعبوا به ، وما كانوا فيه مجدين .

الثاني " أنهم اتخذوا اللهو واللعب ديناً لأنفسهم[3] .

واتخذوا دينهم لهواً ولعباً أنهم كانوا إذا دعوا إلى الإيمان سخروا ممن دعاهم إليه، وهزأوا به ، اغتراراً بالله[4] .

---

(1) سورة الأعراف الآية (٥١) .
(2) انظر تفسير القرآن العظيم (٢٩٤/٢) ، وتفسير المراغي (١٦٤/٩) .
(3) التفسير الكبير (٩٣/١٤) .
(4) انظر تفسير الطبري (٥١٠/٥) .

وورد في ذلك عن ابن عباس أيضاً في تفسيرها قال : (هم المستهزئون وذلك أنهم إذا دعوا إلى الإيمان سخروا ممن دعاهم إليه وهزأوا به استهزاء بالله عز وجل[1] .

(وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) أن الدنيا شغلتهم بزخارفها العاجلة وشهواتها الباطلة وضرتهم وهي من شأنها أن تغر وتضر وتمر ، وخدعهم عاجل ما فيها من العيش والدعة عن الأخذ بنصيبهم من الآخرة حتى أتتهم المنية[2] .

ومما تقدم من أوصاف الكافرين أنهم لم يعرفوا توحيد الله والإيمان به وتقديره حق قدره ، ولم تكن فيهم الرغبة إلى الهدى بنور الحق والإيمان وأنهم إذا دعوا إلى ذلك سخروا وهزؤوا بمن دعاهم ، مخدوعين بما هم فيه من رغد عيش الحياة الدنيا وما هم فيه من الشهوات والملذات ، فهم في هذا الضلال ناسين لله تعالى ولم يأخذوا من الإيمان والعمل الصالح ما ينفعهم ليوم معادهم إلى الله عز وجل .

(فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَاء يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ)

هذا جزاء كفرهم وإعراضهم ، أي يعاملهم معاملة من نسيهم ، لأنه تعالى لا يشذ عن علمه شيء ، ولا ينساه كما قال تعالى (قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى)[3] وإنما قال من باب المقابلة[4]

(فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ) أي نتركهم في النار وقال مجاهد : (نؤخرهم جياعاً عطاشاً) والمعنى نفعل بهم فعل الناسي بالمنسي من عدم الاعتناء بهم وتركهم في النار تركاً كلياً[5].

---

(1) فتح البيان (٥٢١/٢) .
(2) تفسير المراغي (١٦٥/٩) ، وانظر تفسير الطبري (٥١٠/٥)
(3) سورة طه الآية (٥٢) .
(4) انظر تفسير القرآن العظيم (٢٩٤/٢).
(5) فتح البيان (٥٢١/٢) .

يقول ابن عاشور رحمه الله – (والنسيان في الموضوعين مستعمل مجازاً في الإهمال والترك لأنه من لوازم النسيان ، فإنهم لم يكونوا في الدنيا ناسين لقاء يوم القيامة ، فقد كانوا يذكرونه ويتحدثون عنه حديث من لا يصدق بوقوعه)[1] وذلك ما قال الله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّاً وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ*وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون*وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ)[2]

فكما أهملوا هذا اليوم نعاملهم معاملة الشيء المنسي الذي لا يبحث عنه كما جعلوا هذا اليوم منسياً ، والمراد من النسيان عدم إجابة دعائهم وتركهم في النار ، كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا ، ورفضوا الاستعداد باتعاب أبدانهم في طاعة الله[3] .

ودل معنى كاف التشبيه في قوله (كما نسوا) على أن حرمانهم من رحمة الله كان مماثلاً لإهمالهم التصديق باللقاء ، وهي مماثلة جزاء العمل للعمل كنسيانهم اللقاء وكجحدهم بآيات الله ، وكان لذكر اليوم أثر في إثارة تحسرهم وندامتهم ، وذلك عذاب نفساني فوق العذاب المهين الأليم[4] ، ونحو ذلك قوله عز وجل : (وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ*وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ*فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)[5] .

---

(1) التحرير والتنوير (١١٦/٨) .
(2) سورة الجاثية الآيات (٣٢ ـ ٣٤) .
(3) انظر تفسير الطبري (٥١١/٥) ، وتفسير المراغي (١٦٥/٩)
(4) التحرير والتنوير (١١٦/٨).
(5) سورة السجدة الآيات (١٢ ـ ١٤) .

وفي الصحيح أن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة (ألم أكرمك ، وأسودك وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل ، وأذرك ترأس وتربَعُ ؟ فيقول بلى : فيقول أفظننت أنك ملاقي ؟ فيقول : لا فإني أنساك كما نسيتني)[1]

يذكر الله تعالى العبد وهو يقف بين يديه بما أنعم عليه في الدنيا بأن أكرمه وجعله سيداً رئيساً ، وجعل له من أنواع النعم من الأهل وتسخير الخيل والإبل ، وجعله رئيساً مطاعاً يأخذ الربع من الغنيمة : (الملك كان يأخذ ربع الغنيمة في الجاهلية دون أصحابه ويسمى ذلك الربع المرباع) وتركتك مستريحاً لا تحتاج إلى مشقة وتعب (وتربع) أي تنعم وتأكل وتلهوا وتعيش في سعةٍ

(فإني أنساك كما نسيتني) أمنعك الرحمة كما امتنعت من طاعتي وأتركك في العذاب[2]

.

وما تقدم في هذا شأن الكافرين ووصفهم بالإعراض وبالاغترار بالحياة الدنيا والاستهزاء والجحود بآيات الله .

ويقول تعالى : (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)[3]

(الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ) متشابهون في النفاق والبعد عن الإيمان كإبعاض الشئ الواحد بالشخص وفيه إشارة إلى نفي أن يكونوا من المؤمنين وردٌ

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب الزهد ح (٢٢٧٩) ، والترمذي في القيامة ح (٢٤٢٨) ، (٣٨٦/٣) .
(2) صحيح مسلم بشرح النووي (٨١/١٨ـ٨٢) ، وانظر تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (١١٥/٧) ط : دار الفكر الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م .
(3) سورة التوبة الآية (٦٧) .

لقولهم : (وَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ)[1][2]

(يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ) أورد السيوطي في تفسيرها عن ابن عباس رضي الله عنهما يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ) قال : هو التكذيب ، وهو أنكر المنكر (وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ) قال : شهادة أن لا إله إلا الله ، والإقرار بما أنزل الله ، وهو أعظم المعروف[3] .

ويؤخذ من ذلك أنهم يأمرون بالكفر والمعاصي ، إذ أن المنكر هو كل قبيح عقلاً أو شرعاً ، أي أنهم يصدون عن الإيمان والتصديق ، ويأمرون بترك الطاعة لأوامر الله ورسوله ، فهم على الكفر والتكذيب وإن أدعوا أنهم مسلمين كما يقول الله تعالى : (إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ*اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[4] فهذه الشهادة من المنافقين على وجه الكذب والنفاق ، والله يشهد على كذبهم في قولهم ودعواهم ، وأن ذلك ليس بحقيقة منهم ، وإنما ذلك ترساً يتترسون بها من نسيتهم إلى النفاق فصدوا عن سبيل الله بأنفسهم وصدوا غيرهم ، فساء منهم عملاً حيث أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر ، وأقسموا على ذلك وأوهموا صدقهم[5] .

---

(1) سورة التوبة الآية (٥٦) .
(2) تفسير أبي السعود (٢٢٤/٢) ، وفتح القدير (٤٣٢/٢) .
(3) الدر المنثور (٤٣٠/٧).
(4) سورة المنافقون الآيات (١ -٢) .
(5) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص : (٨٠٠ - ٨٠١) .

(وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ) أي يمسكونها عن الصدقة والإنفاق في سبيل الله ولا يبسطونها بخير ، فالقبض كناية عن الشح ، كما أن البسط كناية عن الكرم[1] . (نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ) النسيان الترك ، أي تركوا ما أمرهم به فتركهم من رحمته وفضله ، أو تركوا ذكر الله وعبادته فترك الله ذكرهم فيمن ذكرهم بالرحمة والإحسان .

فالنسيان الحقيقي لا يصح إطلاقه على الله سبحانه كما هو معلوم ، وإنما أطلق عليه هنا من باب المشاكلة المعروفة في علم البيان ، فهو مجاز مرسل[2] .

ويقول ابن عاشور – رحمه الله – (والنسيان منهم مستعار للإشراك بالله ، أو للإعراض عن ابتغاء مرضاته وامتثال ما أمر به ، لأن الإهمال والإعراض يشبه نسيان المعرض عنه) . ونسيان الله إياهم مشاكلة أي حرمانه إياهم مما أعد للمؤمنين لأن ذلك يشبه النسيان عند قسمة الحظوظ[3] .

فالنسيان من الله للعباد هو تركهم من رحمته وهدايته ولطفه وما أعده فضل لعباده المؤمنين في يوم المعاد ، جزاء تركهم الإيمان والإعراض والصد عنه ، وتركهم ذكر الله وعبادته وامتثال أوامره وأوامر رسوله صلى الله عليه وسلم ، جزاء وفاقاً ولا يظلم سبحانه الناس ولكن الناس أنفسهم يظلمون.

---

(1) تفسير البغوي (٣٠٩/٢) ، وفتح القدير (٤٣٢/٢) .
(2) فتح البيان (٣١٤١) . .
(3) التحرير والتنوير (١٤٥/١٠) . .

المبحث الثالث

النسخ

النسخ لغة : إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه ، ونسخ الشيء بالشيء ينسخه وانتسخه أزاله به ، والشيء ينسخ الشيء نسخاً أي يزيله ويكون مكانه والأشياء تناسخ تداول فيكون بعضها مكان بعض كالدول والملك ، وأن تزيل أمراً كان من قبل يعمل به ثم تنسخه بحادث غيره[1] .

وعرفه صاحب التعريفات أنه في الشرع : هو أن يرد دليل شرعي متراخياً عن دليل شرعي ، مقتضياً خلاف حكمه ، فهو تبديل بالنظر إلى علمنا ، وبيان لمدة الحكم ، بالنظر إلى علم الله تعالى .

وفي الشريعة : هو بيان انتهاء الحكم الشرعي في حق صاحب الشرع ، وكان انتهاؤه عند الله تعالى معلوماً إلا أن في علمنا كان استمراره ودوامه وبالناسخ علمنا انتهاؤه ، وكان في حقنا تبديلاً وتغييراً[2].

وفي اصطلاح الأصوليين : رفع حكم شرعي بدليل شرعي متراخ ، أي الدليل عن الحكم .

والمراد بالحكم ما تعلق بالملكف بعدد وجوده أهلاً .

(متراخ) غير متصل ، أن يكون الدليل الشرعي الناسخ بعد المنسوخ والناسخ هو الله تعالى حقيقة .

والمنسوخ : الحكم المرتفع بناسخ[3] .

---

(1) لسان العرب لابن منظور (٤٤٧/٦) .
(2) كتاب التعريفات للجرجاني ص : (١٦٧) .
(3) انظر شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير (٥٢٦/٣) للعلامة محمد بن أحمد بن عبدالعزيز علي الغنوجي الحنبلي المعروف بابن النجار ، الناشر مكتبة العبيكاتن الرياض ١٤١٨هـ .

يقول الله تعالى : (مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[1]

يقول ابن عطية – رحمه الله – (النسخ في كلام العرب على وجهين) :

أحدهما : النقل كنقل كتاب من آخر .

والثاني : الإزالة .

فأما الأول فلا مدخل له في هذه الآية ، وورد في كتاب الله قوله (إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)[2].

وأما الثاني الذي هو الإزالة فهو الذي في هذه الآية ، وهو منقسم في اللغة على ضربين :

أحدهما : يثبت الناسخ بعد المنسوخ (أي يقوم مقامه ويحل محله) كقولهم نسخت الشمس الظل .

والآخر : لا يثبت كقولهم : نسخت الريح الأثر ، وورد في الشرع حسب هذين الضربين[3] .

يقول الطبري – رحمه الله – يعني جل ثناؤه بقوله (مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ) ما ننقل من حكم آية إلى غيره فنبدله ونغيره ، وذلك أن يحول الحلال حراماً ، والحرام حلالاً ، والمباح محظوراً ، والمحظور مباحاً ، ولا يكون ذلك إلا في الأمر والنهي والحظر والإطلاق ، والمنع والإباحة ، فأما الأخبار فلا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ[4].

وقوله تعالى : (أَوْ نُنسِهَا) اختلفت فيها أوجه القراءة .

---

(1) سورة البقرة الآية (١٠٦) .
(2) سورة الجاثية الآية (٢٩) .
(3) المحرر الوجيز (٤٢٨/١ ـ ٤٢٩) .
(4) تفسير الطبري (٥٢١/١) .

فقرأت طائفة بضم النون الأولى ، وبسكون الثانية ، وكسر السين ن وترك الهمزة ، وقرأت طائفة بفتح النون الأولى . وفتح السين ، وبعدها همزة ساكنة ثم هاء[1] ، فعلى قراءة ترك الهمزة (نُنْسِهّا) وجهان من التأويل :

أحدهما النسيان : وإنساؤها إذهابها من القلوب[2] .

وأخرج الطبري بسنده عن قتادة في قوله (مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا) كان ينسخ الآية بالآية بعدها ، ويقرأ نبي الله صلى الله عليه وسلم الآية أو أكثر من ذلك ثم تنسى وترفع.

وأخرج أيضاً – رحمه الله – عن الحسن أنه قال في قوله (أَوْ نُنسِهَا) قال : إن نبيكم صلى الله عليه وسلم أقرئ قرآناً ثم نسيه[3] .

وما ذكره الطبري – رحمه الله – بينه الجصاص[4] بقوله ويكون ذلك بأحد وجهين:

إما أن يؤمروا بترك تلاوته فينسوه على الأيام بأن يأمر الله بطرحه من القرآن وإخراجه من جمله ما يتلى ويؤتى به في الصلاة أو يحتج به ، فإذا زال حكم التعبد به وطال العهد نسي ، أو إن ذكر فعلى طريق ما يذكر خبر الواحد فيصير لهذا الوجه منسياً عن الصدور . وجائز أن ينسوه دفعة ويرفع من أوهامهم ويكون ذلك معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم[5] .

---

(1) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح النون والسين وهمزة ساكنة بين السين والهاء ، قرأ الباقون بضم النون وكسر السين من غير همزة ، النشر في القراءات العشر (٢٢٠/٢) للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي .

(2) تفسير أبي السعود (١٧١/١) تصحيح ومراجعة الأستاذ علي محمد الضباع مكتبة الرياض الحديثة ، د : ت .

(3) تفسير الطبري (٥٢٢/١) .

(4) هو أحمد بن علي بن أبو بكر الرازي كان إمام الحنفية في عصره ، اشتهر بالورع والزهد ، انتهت إليه رئاسة الحنفية ، خوطب بأن يولى القضاء فامتنع ، توفي عام ٥٠٣ هـ ـ ١٠٠٨٧م ، انظر الأعلام (١٧١/١) .

(5) أحكام القرآن للإمام أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص الحنفي (٥٩/١) ط : دار الكتاب العربي بيروت طبع مطبعة الأوقاف الإسلامية ١٣٣٥هـ ، وانظر التفسير الكبير (٢٣١/٣) .

ونحو ذلك جاءت الأخبار . عن أبي الأسود ، عن أبيه قال : بعث أبو موسى الأشعري إلى قراء البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن ، فقال : أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم ، فأتوه ، ولا يطولن عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم ، وإنا كنا نقرأ سورة ، كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة ، فأنسيتها ، غير أني حفظت منها : لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، وكنا نقرأ سورة نشبهها بإحدى المسبحات[1] فأنسيتها، غير أني حفظت منها : يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ، ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة[2] .

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : (كان فيما أنزل الله : عشر رضعات معلوت فنسخت بخمس معدودات ، فتوفي رسول الله صلى عليه وسلم وهو مما يقرأ في القرآن)[3] .

والوجه الآخر : بمعنى الترك ، أي نتركها فلا نبدلها ولا ننسخها ، ومنه قوله تعالى : (نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ)[4] . أي تركوا عبادته فتركهم في العذاب[5] وأخرج الطبري بسنده عن ابن عباس في قوله : (أو ننسها ! يقول : أو نتركها لا نبدلها) . وأخرج أيضاً – رحمه الله – عن السدي ، نتركها لا ننسخها[6] . فعلى قراءة من قرأ بالهمزة (ننسأها) بمعنى نؤخرها من قولك أنسأت هذا الأمر أنسؤه نسأً ونساءً إذا أخرته وهو من قولهم أبعثه بنساءٍ يعني بتأخير.

---

(1) المسبحات هي من السور ما افتتح بسبحان وسبح باسم ربك ، مسلم بشرح النووي (١٢٥/٧) .
(2) مسلم ح(١٠٥٠) كتاب الزكاة باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثاً (٧٢٦/٢) .
(3) مسلم ح(٤٢٥) كتاب الرضاع باب التحريم بخمس رضعات (١٠٧٥/٢) .
(4) سورة التوبة الآية (٦٧) .
(5) الجامع لأحكام القرآن (٦٧/٢) .
(6) تفسير الطبري (٥٢٣/١) .

فالمعنى نؤخر نزولها أو ننسخها ، وقيل نذهبها عنكم حتى لا تقرأ ولا تذكر[1] .

ويقول ابن عاشور – رحمه الله – (ومعنى النسئ مشعر بتأخير يعقبه إبرام وحينئذ فالمعنى بقاء الحكم مدة غير منسوخ ، أو بقاء الآية من القرآن مدة غير منسوخة ، أو يكون المراد إنساء الآية بمعنى تأخير مجيئها مع إرادة الله تعالى وقوع ذلك بعد حين[2] .

وهذه القراءات لا تخلو كل واحدة منها أن تكون من النسئ أو الإنساء بمعنى التأخير أو تكون من النسيان . والنسيان في كلام العرب يجيء في الأغلب ضد الذكر ، وقد يجيء بمعني الترك فالمعاني الثلاثة مقولة في هذه القراءات .

فما كان منها يترتب في لفظة النسيان الذي هو ضد الذكر . فمعنى الآية : ما ننسخ من آية أو نقدر نسيانك لها فتنساها حتى ترفع جملة وتذهب إنا نأتي بما هو خير منها لكم أو مثل في المنفعة .

وما كان منها يحمل على معنى الترك فإن الآية تترتب فيها أربعة معاني :

أحدهما : ما ننسخ على وجوه النسخ[3] ، أو نترك غير منزل عليك فإنا لابد أن ننزل ، خيراً من ذلك أو مثله.

والثاني : أو نترك تلاوته ، وإن رفعنا حكمه ، فيجيء النسخ على هذا رفع التلاوة والحكم .

والثالث : أو نترك حكمه ، وإن رفعنا تلاوته ، فالنسخ أيضاً على هذا رفع التلاوة والحكم.

والرابع : أو نتركها غير منسوخة الحكم ولا التلاوة.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن (٦٧/٢) .

(2) التحرير والتنوير (٦٤١/١) ، وانظر التفسير الكبير (٢٣١/٣) .

(3) وجوه النسخ الثلاثة – أحدها : ما نسخ رسمه وحكمه ، والثاني " ما نسخ رسمه وبقي حكمه ، والثالث : ما نسخ حكمه وبقي رسمه ، المضفي بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ – للإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي بتحقيق د. هاشم صالح الضامن ط – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

وما كان من هذه القراءات يحمل على معنى التأخير فإن الآية تترتب فيها المعاني الأربعة التي في الترك .

أولها : ما ننسخ أو نؤخر إنزاله .

والثاني : ما ننسخ النسخ الأكمل أو نؤخر حكمه وإن أبقينا تلاوته .

والثالث : ما ننسخ النسخ الأكمل أو نؤخر تلاوته وإن أبقينا حكمه .

والرابع : ما ننسخ أو نؤخره مثبتاً لا ننسخه[1].

ومما تقدم تتبين علاقة النسيان بالنسخ ، ودخوله فيه ، وذلك من خلال معاني النسيان التي جاءت عليها أوجه القراءات المختلفة ، وما ترتب على هذه القراءات من معان للآيات .

---

(1) المحرر الوجيز (٤٣٧/١-٤٣٨)

دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	النسيان في ضوء القرآن الكريم : دراسة موضوعية
المؤلف الرئيسي:	أحمد، أحمد الحاج حسن
مؤلفين آخرين:	عبد القادر، الطاهر أحمد(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2006
موقع:	أم درمان
الصفحات:	1 - 203
رقم MD:	561514
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة أم درمان الاسلامية
الكلية:	كلية أصول الدين
الدولة:	السودان
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	علوم القرآن، السور والآيات، النسيان في القرآن
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/561514

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الفصل الرابع : الرسل والنسيان

وفيه مبحثان

المبحث الأول : النسيان في حقهم

المبحث الثاني نسيان ما آذوا به

الفصل الرابع

الرسل والنسيان

المبحث الأول

النسيان في حقهم

المطلب الأول : النبي صلى الله عليه وسلم

النسيان آفة كل إنسان ولم يسلم منه أحد حتى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ومنهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . واختلف في جواز النسيان عليه صلى الله عليه وسلم على رأيين :

الرأي الأول : منع السهو والنسيان في حقه صلى الله عليه وسلم وهذا الرأي منسوب إلى كبار الرافضة[1] .

الرأي الثاني : جواز النسيان عليه صلى الله عليه وسلم ، وهو مذهب الجمهور ، وهو الذي جاءت به الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، ومن ذلك قوله تعالى : (سَنُقْرِؤُكَ فَلَا تَنسَى*إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى)[2].

هذه الآية : (سنقرنك فلا تنسى) وعده الله تعالى أن يقرئه ، وأخبره أنه لا ينسى نسياناً لا يكون بعده تذكر فيذهب الآية ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحرك شفتيه مبادرة خوفاً أن ينسى ، وفي هذا آية للنبي صلى الله عليه وسلم في أنه أميّ وحفظ الله تعالى عليه الوحي وأمنه من نسيانه ، وقيل المعني أن هذا وعد بإقراء الشرع والسور ، وأمره بألا ينسى على معنى التثبيت والتأكيد ، وأن ترك النسيان ليس في قدرته ، فهو نهي عن إغفال التعاهد[3].

وقوله تعالى : (إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ).

---

(1) أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي (٧٤٠/٢) ط : دار المعرفة بيروت ، د : ت .

(2) سورة الأعلى الآيات (٦ ـ ٧) .

(3) انظر المحرر الوجيز (٤٠٩/٥) ، وانظر الجامع لأحكام القرآن (١٨/٢٠) .

اختلفت أقوال المفسرين في المعنى المراد بالنسيان الذي استثناه الله تعالى : على عدة أقوال :

قالوا : معنى الاستثناء في هذا الموضع على النسيان ، ومعني الكلام : فلا تنسى إلا ما شاء الله أن تنساه ولا تذكره ، قالوا : ذلك هو ما نسخه الله من القرآن فرفع حكمه وتلاوته .

وقالوا : معنى النسيان الترك ، ومعنى ذلك : سنقرئك يا محمد فلا تترك العمل بشيء منه إلا ما شاء الله أن تترك العمل به مما نسخه[١].

وقيل إلا ما شاء الله أن ينسى ثم يذكر بعد ذلك ، فإذاً قد نسي ولكنه تذكر ولا ينسى نسياناً كلياً .

وقيل إلا ما شاء الله أن ينسى ولكنه لم ينس سيئاً منه بعد نزول هذه الآية[٢].

وقبل إلا ما شاء الله أن ينسيكه لتسن ، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، على نحو قوله صلى الله عليه وسلم : (إني لأنسى أو أنسى لأسن[٣]) [٤]

وقيل (إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) بمعنى القلة وأريد بها النفي مجازاً كما في قوله تعالى (..خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء [٥]) [٦].

يقول الطبري – رحمه الله (والقول الذي أولى بالصواب عندي قول من قال ، معنى ذلك ، فلا تنسى إلا أن نشاء نحن أن ننسيكه بنسخه ورفعه) [٧].

---

(١) تفسير الطبري (٥٤٤/١٢).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٨/٢٠ ـ ١٩).
(٣) أخرجه الإمام مالك في الموطأ ، كتاب السهو ، باب العمل في السهو ح (٢) (١٠٠/١) ، ط : دار إحياء التراث العربي تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبدالباقي ، د : ت .
(٤) المحرر الوجيز (٤١٠/١٥).
(٥) سورة هود الآية (١٠٨).
(٦) روح المعاني للألوسي (١٠٥/٣٠).
(٧) تفسير الطبري (٥٤٤/١٢).

ومما تقدم يتبين أن ما ينساه النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن إذا شاء الله أن ينساه على نوعين :

أحدهما : وهو اظهرهما أن الله تعالى إذا شاء نسخ تلاوة بعض ما أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمره بأن يترك قراءته ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، (وهذا النوع معلوم في باب الناسخ والمنسوخ) .

النوع الثاني : ما يعرض نسيانه للنبي صلى الله عليه وسلم نسياناً مؤقتاً كشأن عوارض الحافظة البشرية ثم يقيض الله له ما يذكره به[1].

ففي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت : (أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقرأ من الليل فقال : " يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا . آية كنت أسقطتها من سورة كذا وكذا) لقد أذكرني آية كنت أنسيتها)[2].

فقوله صلى الله عليه وسلم: (كنت أنسيتها) دليل على جواز النسيان عليه صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغه إلى الأمة .

قال القاضي عياض . رحمه الله . : (جمهور المحققين جواز النسيان عليه صلى الله عليه وسلم ابتداءً فيما ليس طريقه البلاغ ، واختلفوا فيما طريقه الإبلاغ والتعليم ، ولكن من جوز قال : لا يقر عليه بل لابد أن يتذكره أو يذكره ، واختلفوا هل من شرط ذلك الفور أم يصح التراخي قبل وفاته)[3].

---

(1) التحرير والتنوير (٢٨٠٢٨١/١٥) نفس الصفحة

(2) رواه مسلم برقم (٧٨٨) باب الأمر يتعهد القرآن وكراهة قول نسيت آية كذا ، وجواز قول أنسيتها (٥٤٣/١) .

(3) صحيح مسلم بشرح النووي (٦٧/٦).

يقول ابن عطية – رحمه الله – (ونسيان النبي صلى الله عليه وسلم ممتنع فيما أمر بتبليغه ، إذ هو معصوم ، فإذا بلغه ووعي عنه، فالنسيان جائز على أن يتذكر بعد ذلك ، أو أن يسن ، أو على النسخ)[1].

ويقول – رحمه الله – أيضاً في موضع آخر : (فأما النسيان الذي هو آفة في البشر فالنبي صلى الله عليه وسلم معصوم منه قبل التبليغ وبعد التبليغ ما لم يحفظه أحد من أصحابه ، وأما بعد أن يحفظ فجائز عليه ما يجوز على البشر لأنه قد بلغ وأدى الأمانة)[2] .

فتذكر الرسول صلى الله عليه وسلم للآيات التي أنسيها بسماع تلاوة هذا الرجل ، كانت هذه الآيات قد حفظها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستكتبها كتاب الوحي ، وحفظها الصحابة في صدورهم ، وبلغ حفظها وكتابتها مبلغ التواتر ، فنسيان الرسول صلى الله عليه وسلم لها بعد ذلك جائز إذ لا مفسدة بعد ذلك ، وكانت قراءة هذا الرجل ، وهو أحد الحفظة الذين يبلغ عددهم حدّ التواتر مذكرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم " لقد أذكرني كذا وكذا آية)[3].

نحو ذلك ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم في قراءته في الصلاة ، فعن المسور بن يزيد المالكي : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقرأ في الصلاة فترك شيئاً لم يقرأ ، فقال له رجل : يا رسول الله ، تركت آية كذا وكذا ، فقال رسول الله صلى الله

---

(1) المحرر الوجيز (٤١١/١٥* ، وأنظر تفسير روح البيان لإسماعيل حقي البروسوي (٤٠٦/١٠) – دار الفكر – بدون رقم وتاريخ الطبعة ، وأنظر ، وأنظر المقتطف من عيون التفاسير للعلامة مصطفى الخيري المنصوري – تحقيق محمد علي الصابوني (٤٨١/٥) دار القال - دمشق الطلعة الثالثة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ، وأنظر التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي (١٩١/٣) – دار الفكر المعاصر بيروت – الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

(2) المحرر الوجيز (٤٤٠)

(3) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص ١٣٥) مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الثامنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م (بتصرف)

عليه وسلم : (هلاَّ أذكرتنها)[1] .وعن عبد الله بن عمر : أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة فقرأ فيها ، فليس عليه ، فلما أنصرف قال لأبيَّ : (أصليت معنا)؟ قال نعم قال : (فما منعك)[2]؟

ومما عرض للنبي صلى الله عليه وسلم من نسيان سهوه في الصلاة ، وقد ورد ذلك في أحاديث كثيرة منها ما ورد في الصحيحين ، عن إبراهيم عن علقمة ، قال: قال عبد الله : صلى رسول الله ! صلى الله عليه وسلم (قال إبراهيم : زاد أو نقص) فلما سلم قيل له : يا رسول الله أحدث في الصلاة شيء ؟ قال : " وما ذاك ؟ ، قالوا : صليت كذا وكذا قال : فثني رجليه ، واستقبل القبلة فسجد سجدتين ، ثم سلم ، ثم أقبل علينا بوجهه فقال : (إنه لو حدث في الصلاة شيء أنبائكم به ، ولكن إنما أنا بشر أنسي كما تنسون ، فإذا نسيت فذكروني ، وإذا شك أحدكم في صلاته فليتحر الصواب فليتم عليه ، ثم ليسجد سجدتين)[3].

قوله صلى الله عليه وسلم : (قال ، وما ذاك) .

يقول ابن حجر[4] – رحمه الله – : (فيه إشعار بأنه لم يكن عنده شعور مما وقع منه من الزيادة ، وفيه دليل على جواز وقوع السهو من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الأفعال).

---

(1) سنن أبي داود ، ح (٩٠٧) باب الفتح على الإمام في الصلاة (٢٣٩/١) ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ، ح (٨٠٢) ، (١٧١/١) .

(2) سنن أبي داود ، ح (٩٠٧) باب الفتح على الإمام في الصلاة وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٨٠٣/١) ، ط : المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

(3) رواه البخاري ح (٤٠١) باب التوجه نحو القبلة حيث كان ، ومسلم برقم (٥٧٢) باب السهو في الصلاة والسجود له (٤٠٠/١).

(4) أحمد بن علي بن محمد أبو الفضل الكناني الشافعي المعروف بابن حجر العسقلاني ، حامل لواء السنة ، من شيوخه الحافظ العراقي وابن الملقن ولد بمصر سنة ٧٧٣ هـ وقد بلغت تصانيفه مائة وخمسين منها الإصابة في أسماء الصحابة وتهذيب التهذيب والتقريب ونخبة الفكر وشرحها وبلوغ المرام ، وغير ذلك ، انظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٤٩٩/٤) ط : دار الجيل ، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (٢٧/٧) وطبقات الحفاظ ص : (٥٥٢)

قال ابن دقيق العيد[1] : (وهو قول عامة العلماء والنظار ، وشذت طائفة فقالوا : لا يجوز على النبي السهو ، وهذا الحديث – يرد عليهم لقوله صلى الله فيه أنسى كما تنسون " ولقوله " فإذا نسيت فذكروني : أي بالتسبيح ونحوه)[2].

وقوله صلى الله عليه وسلم : (ولكن إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني) .

فيه دليل على جواز النسيان عليه صلى الله عليه وسلم في أحكام الشرع وهو مذهب جمهور العلماء وهو ظاهر القرآن والحديث ، واتفقوا على أنه صلى الله عليه وسلم لا يقر عليه بل يعلمه الله تعالى به ، ثم قال الأكثرون شرطه تنبهه صلى الله عليه وسلم على الفور متصلاً بالحادثة ولا يقع فيه تأخير ، ومنعت طائفة من العلماء من العلماء السهو عليه صلى الله عليه وسلم في الأفعال البلاغية والعبادات كما اجمعوا على منعه واستحالته عليه صلى الله عليه وسلم في الأقوال البلاغية ، وأجابوا عن الظواهر الواردة في ذلك والصحيح الأول ، فإن السهو لا يناقض النبوة وإذا لم يقر عليه لم يحصل منه مفسدة ، بل تحصل فيه فائدة وهو بيان أحكام الناسي وتقرير الأحكام[3] .

قال القاضي : (واختلفوا في جواز السهو عليه صلى وسلم في الأمور التي لا تتعلق بالبلاغ وبيان أحكام الشرع في أفعاله وعاداته وأذكار قليه فجوزه الجمهور على امتناع تعمده ، وأما السهو في الأقوال الدنيوية وفيما ليس سبيله البلاغ من الكلام الذي لا

---

(1) الإمام الفقيه الحافظ المحدث العلامة المجتهد شيخ الإسلام تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري ولد سنة ٦٢٥ هـ ، صنف شرح العمدة والاقتراح في علوم الحديث مات سنة ٧٠٢ هـ ، انظر شذرات الذهب (٥/٦) وتذكرة الحفاظ ص : (٥١٦) والبدر الطالع للشوكاني (١٧٥/٢) ط : دار الكتب العلمية بيروت .

(2) فتح الباري (٦٠١/١) ط : دار التراث ـ، القاهرة ـ الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م تحقيق محب الدين الخطيب وترقيم محمد فؤاد عبدالباقي ومراجعة قصي محب الدين الخطيب .

(3) صحيح مسلم بشرح النووي (٥٣/٥) .

يتعلق بالأحكام ولا أخبار القيامة وما يتعلق بها ولا يضاف إلى وحي فجوزه قوم إذ لا مفسدة فيه) .

ويقول – رحمه الله – : (والحق الذي لاشك فيه ترجيح قول من منع ذلك علي الأنبياء في كل خبر من الأخبار كما لا يجوز عليهم خلف في خبر لا عمداً ولا سهواً لا في صحة ولا في مرض ولا رضاء ولا غضب وحسبك في ذلك أن سبره نبينا صلى الله عليه وسلم وكلامه وأفعاله ، مجموعة معتني بها على مر الزمان يتداولها الموافق والمخالف والمؤمن والمرتاب فلم يأت في شيء منها استدراك غلط في قول ولا اعتراف بوهم في كلمة ، ولو كان لنقل كما نقل سهوه في الصلاة ونومه عنها واستدراكه رأيه في تلقيح النخل وفي نزوله بأدنى مياه بدر وقوله صلى الله عليه وسلم : (لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً إلا فعلت الذي هو خير وكفرت عن يميني" وغير ذلك ، وأما جواز السهو في الاعتقادات في أمور الدنيا فغير ممتنع والله أعلم)[1] .

ومما تقدم فإن النسيان يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم فيما ليس طريقه إلى البلاغ من الأقوال والأفعال ، وأما بعد البلاغ وحفظ الصحابة عنه فيجوز عليه النسيان ، ويكون لنا في ذلك الحكمة من بيان أحكام التشريع التي تترتب على النسيان ن ومثال ذلك حكم من نسئ صلاة ، أو حكم من ترك الجلوس للتشهد الأول وقام إلى الركعة الثالثة ، أو حكم من زاد أو نقص في صلاته وغير ذلك من الأحكام الفقهية التي تترتب على النسيان .

ويقول تعالى : (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى

([1]) صحيح مسلم بشرح النووي (٥٣/٥) ، وروح المعاني للألوسي (١٨٣/٧) .

مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)[1] ففي هذه الآية أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالإعراض عن المشركين الذين يخوضون في آيات الله .

وقوله تعالى (..وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) اختلف المفسرون في تأويل هذه الآية على قولين.

قيل إن الخطاب في هذه الآية وإن ظاهرة للنبي صلى الله عليه وسلم فالمراد التعريض لأمته لتنزهه عن أن ينسيه الشيطان).

وقيل لا وجه لهذا فالنسيان جائز عليه كما نطقت بذلك الأحاديث الصحيحة (إنما أما بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني)[2] ، يقول أبو بكر بن العربي[3] : (قال قوم : هذا خطاب من الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم ، والمراد بذلك الأمة وكأن القائلين بذلك ذهبوا إلى تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن النسيان ، وهو كبار الرافضة ، قبحهم الله ، وإن عذرنا أصحابنا في قولهم : إن قوله تعالى : (لئن أشركت ليحبطن عملك ..) خطاب للأمة باسم النبي صلى الله عليه وسلم ، لاستحالة الإشراك عليه ، فلا عذر لهم في هذا لجواز النسيان على النبي صلى الله عليه وسلم)[4] .

فالنسيان في هذه الآية ليس نظرنا في جواز ذلك عليه صلى الله عليه وسلم وإنما نظرنا في إسناد ذلك إلى الشيطان كما ورد في آيات كثيرة فالرسول صلى الله عليه وسلم معصوم من الوسوسة فلا سلطة لعمل شيطاني عليه ولو كان ذلك من الأعراض الجائزة على مقام الرسالة ، فإنما يتعلق به من تلك الأعراض لا أثر للشيطان فيه ، وقد يدل

---

(1) سورة الأنعام الآية (٦٨) .

(2) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٤/٧) وانظر فتح القدير (١٤٨/٢) ، وانظر روح المعاني (١٨٢/٧ ـ ١٨٣)

(3) محمد بن عبدالله بن عبدالله ويكنى أبا بكر وكان من أهل التفنن في العلوم والاستبحار فيها ، درس الفقه والأصول ، وجلس للوعظ والتفسير توفي عام ٥٤٣ هـ ، انظر طبقات الحفاظ ص : (٤٦٨) .

(4) أحكام القرآن لابن العربي (٧٤٠/٢) .

لهذا ما وردفي حديث شق الصدر ، أن جبريل لما استخرج العقلة قال: (هذا حظ الشيطان منك)[1] ، يعنى مركز تصرفاته ، فيكون الشيطان لا يتوصل إلى شيء يقع في نفس النبي صلى الله عليه وسلم إلا بواسطة تدبير شيء يشغل النبي صلى الله عليه وسلم حتى ينسى .

ويقرب من هذا ما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأي ليلة القدر ، فخرج ليعلم الناس فتلاهى رجلان فرفعت ، فإن التلاهي من عمل الشيطان ، ولم يكن يستطيع رفع ليلة القدر بنفسه فوسوس بالتلاحي[2] .

يقول ابن عاشور في النسيان في هذه الآية : (فالمعنى : إن أنساك الشيطان الإعراض عنهم فإن تذكرت فلا تقعد معهم ، فهذا النسيان ينتقل به الرسول صلى الله عليه وسلم من عباده إلى عبادة ، ومن أسلوب في الدعوة إلى أسلوب آخر ، فليس إنساء الشيطان إياه إيقاعاً في معصية إذ لا مفسدة في ارتكاب ذلك ولا يحصل به غرض من كيد الشيطان في الضلال ، وقد رفع الله المؤاخذة بالنسيان ، ولذلك قال (فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) أي بعد أن تتذكر الأمر بالإعراض)[3] ونسيانه صلى الله عليه لأمر بانشغاله عنه بأمر آخر لا مفسدة في ذلك، وإنما يعني انتقاله من طاعة إلى طاعة إذ لا ريب أن حياته صلى الله عليه وسلم كلها طاعة لله تعالى.

وتحوط عناية الله تعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهديه إلى ما يدفع عنه النسيان في قوله تعالى: (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً*إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ

---

(1) رواه مسلم ـ كتاب الإيمان باب الإسراء حديث رقم (٢٦١) (١٤٧/١) .
(2) التحرير والتنوير (١٥٣/٦).
(3) التحرير والتنوير (١٥٣/٦) .

وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً) [1] .

يقول الطبري – رحمه الله – (وهذا تأديب من الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم عهد إليه أن لا يجزم على ما يحدث من الأمور أنه كائن لا محالة إلا أن يصله بمشيئة الله ، لأنه لا يكون شيء إلا بمشيئته الله[2] .

واختلف المفسرون في المراد بقوله تعالى (وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ) قال بعضهم : واستثن في يمينك إذا ذكرت أنك نسيت ذلك في حال اليمين ، وقيل استثن باسمه لئلا تنسى ، وقيل أذكره متى ما نسيته ، وقيل اذكره إذا نسيت غيره[3] ، ويقول الطبري أيضاً – رحمه الله – أولى الأقوال بالصواب قول من قال : (وأذكر ربك إذا تركت ذكره لأن أحد معاني النسيان في كلام العرب الترك[4] ، يقول أبو حبان في تفسيره (وتكلم المفسرون في هذه الآية في الاستثناء في اليمين ، وليست الآية في الإيمان ، والظاهر أمره تعالى بذكر الله إذا عرض له نسيان)[5].

ويقول ابن عطية – رحمه الله – (وهذه الآية مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم وهي بعد تعم جميع أمته لأنه حكم يتردد في الناس بكثرة وقوعه والله الموفق[6] .

ومما هو معلوم عند كل إنسان عن النسيان من أسبابه الشيطان ، فلذلك إذا ذكر الله ذهب الشيطان ، وإذا ذهب الشيطان ذهب النسيان ، فهذا علاج للنسيان .

---

(1) سورة الكهف الآيات (٢٣ ـ ٢٤) .
(2) تفسير الطبري (٢٠٨/٨) .
(3) انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٨٥/١٠ ـ ٣٨٧٦) ، و تفسير القرآن العظيم (١٠٨/٣ ـ ١٠٩) .
(4) تفسير الطبري (٢٠٩/٨) .
(5) البحر المحيط (١١١/٦)
(6) المحرر الوجيز (٢٨١/٩) .

ويقول ابن القيم – رحمه الله – والتذكر تفعل من الذكر ، وهو ضد النسيان ، وهو حضور صورة المذكور العلمية في القلب ، واختير له بناء التفعُّل ، لحصوله بعد مهلة وتدرج كالتبصرة والتفهم والتَّعلم ، وبهذا كانت آيات الله المتلوة والمشهورة ذكرى ، كما قال في المتلوة : (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ*هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ)[1] وقال في آياته المشهورة : (أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ*وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ*تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ)[2].

فذكر الله تعالى يكون باللسان بتلاوة ذكره وبالتفكر فيما هو مشاهد من خلق الله العظيم ، فيحصل بذلك للعبد التذكرة والتبصرة ، ولا يكون ذلك إلا لأهل الإنابة ، فبالإنابة يزول الإعراض ، وبالتبصرة يزول العمى ، وبالتذكرة تزول الغفلة ، إذاً فذكر الله سبب للذكر[3].

---

(1) سورة غافر الآيات (٥٣ ـ ٥٤) .

(2) سورة ق الآيات (٦ ـ ٨) .

(3) مدارج السالكين (٤٢٢/١ ـ ٤٢٣) تحقيق محمد حامد الفقى ومحمد عبدالرحمن الطيب ، المكتبة التوفيقية أمام الباب الأخضر ـ سيدنا الحسين د : ت .

المطلب الثاني : موسى عليه السلام :

كان من أمر موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام كما جاء في الصحيح عن ابن عباس عن أبي بن كعب أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم ؟ فقال أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فأوحى الله إليه : إن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك ، قال موسى يا رب فكيف لي به ؟ قال : تأخذ معك حوتاً فتجعله بمكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم..) [١].

فخرج موسى عليه السلام ومعه فتاه عازماً في الرحلة ليبلغ مجمع البحرين يقول تعالى (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً) [٢] .

يأتي السياق في هذه الآية حاكياً عن عزم موسى وتصميمه على المضي في هذه الرحلة حتى يبلغ مجمع البحرين (لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ) لا أزال سائراً حتى أصل المكان الذي فيه مجمع البحرين ولو سرت حقباً أي دهراً من الزمان ، مهما تكن المشقة ومهما يكن الزمن الذي ينفقه في الوصول ، والحُقب قيل عام ، وقيل ثمانون عاماً على أية حال فهو تعبير عن التصميم ، لا عن المدة على وجه التحديد[٣] .

ومجمع البحرين المراد به ملتقاهما ، وهو الموضع الذي وعده الله بلقاء الخضر فيه[٤] .

---

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير ، ح (٤٧٢٥) ، ومسلم في باب من فضل الخضر عليه السلام ، ح (٢٣٨٠) ١٨٤٧/٤) .

(٢) سورة الكهف الآية (٦٠) .

(٣) انظر في ظلال القرآن (٢٢٧٨/٤) ، وانظر التفسير الوسيط للدكتور وهبه الزحيلي (١٤٤٢/٢) ط : دار الماصر بيروت ـ الطبعة الأولى ٢٠٠٠م ـ ١٤٢١هـ

(٤) انظر اللباب في علوم الكتاب للإمام أبي حفص علي بن عادل الدمشقي الحلبي (٥٢٣/١٢) دار الكتب العلمية بيروت ـ الطبعة الأولى ١٩٩٨م تحقيق عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض .

وقد اختلفت في تحديده أقوال المفسرين : قيل بحر الأردن ، وبحر قلزم وقيل مجمع البحرين عند طنجة ، وقيل عند البحر المحيط : وقالت طائفة أن المراد بالبحرين موسى والخضر وهو قول ضعيف من الضعف بمكان ، وحكى عن ابن عباس ولا يصح ، وقيل غير ذلك[1] .

ويمضي موسى وفتاه في هذه الرحلة العازمة القاصدة حيث يقول تعالى (فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً)[2].

(فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا) أي موسى وفتاه مجمع البحرين مكان اللقاء بالعبد الصالح[3] نسيا حوتهما وكانا قد تزودوا حوتاً مملحاً مشقوق البطن في زنبيل يصيبان منه عند حاجتها إلى الطعام ، وقد جعل الله فقده أمارة لهما على واجدان المطلوب)[4] .

ويدل ظاهر الآية على حصول النسيان منهما جميعاً وقيل أن الناسي إنما هو الفتى وحده ، وبهذين القولين وردت أقوال المفسرين .

يقول الألوسي – رحمه الله – (والظاهر نسبه النسيان إليهما وإليه ذهب الجمهور ، والكلام على تقدير مضاف أي نسياً حال حوتهما ، إلا أن الحال الذي نسيه كل منهما مختلف ، فالحال الذي نسيه موسى عليه السلام كونه باقياً في المكتل أو مفقوداً ، والحال الذي نسيه يوشع عليه السلام ما رأي من حياته ووقوعه في البحر)[5] .

---

(1) انظر فتح البيان في مقاصد القرآن (٢٣٣/٤) وانظر زاد المسير (١٦٤/٥) ، وانظر الجامع لأحكام القرآن (٩/١١) .
(2) سورة الكهف الآية (٦١) .
(3) فتح البيان في مقاصد القرآن (٢٣٤/٤) .
(4) فتح البيان في مقاصد القرآن (٢٣٤/٤) انظر تفسير البغوي (١٧١/٣) ، وانظر في ظلال القرآن (٢٧٨/٤) .
(5) روح المعاني (٣١٤/١٥) .

وعلى ما ذكر الألوسي – رحمه الله – حصول النسيان منهما مع اختلاف حال نسيان كل منهما للحوت .

ويقول ابن عاشور – رحمه الله – (ومعنى نسيانهما أنهما نسيا أن يراقبا حاله أباق في مكتله حينئذ حتى إذا فقداه في مقامهما ذلك تحققا أن ذلك الموضع الذي فقداه فيه هو الموضع المؤقت لهما بتلك العلامة فلا يزيد تعباً في المشي ، فإسناد النسيان إليهما حقيقة ، لأن يوشع وإن كان هو الموكل بحفظ الحوت فكان عليه مراقبته إلا أن موسى هو القاصد لهذا العمل فكان يهمه تعهده ومراقبته)[1].

ويقول القرطبي – رحمه الله – (فنسب النسيان إليهما ، وذلك أن بدو حمل الحوت كان من موسى ، لأنه الذي أمر به ، فلما مضيا كان فتاه هو الحامل له حتى أويا إلى الصخرة نزلا .

(فَلَمَّا جَاوَزَا) يعني الحوت هنا منسياً أي متروكاً فلما سأل موسى الغداء نسب الفتى النسيان إلى نفسه عند المخاطبة ، وإنما ذكر الله نسيانهما عند بلوغ مجمع البحرين وهو الصخرة ، فقد كان موسى شريكاً في النسيان ، لأن النسيان التأخير ، من ذلك قولهم في الدعاء : أنسأ الله في أجلك ، فلما مضيا من الصخرة أخرّا حوتهما عن حمله فلم يحمله واحد منهما فجاز أن ينسب إليهما لأنهما مضيا وتركا الحوت)[2].

وعلى ما تقدم ذكره من كلامه – رحمه الله – جواز نسبة النسيان إليهما بمعنى التأخير والترك ، وهما معنيان من معاني النسيان كما تقدم سابقاً .

وقيل إنما كان النسيان من الفتى وحده ، والمعنى أنه نسى أن يخبر موسى بما رأى من حال الحوت ، فنسب النسيان إليهما للصحبة[3] .

---

(1) التحرير والتنوير (١٠٣/١٥)
(2) الجامع لأحكام القرآن (١٣/١١)
(3) الجامع لأحكام القرآن (١٢/١١)

ورؤية الفتى يوشع بن نون عليه السلام لحياة الحوت كما جاء في الصحيح (أن الله تعالى قال لموسى : خذ نوناً[1] ميتاً فهو حيث ينفخ فيه الروح ، فأخذ حوتاً فجعله في مكتل[2] فقال : لفتاه لا أكلفك إلا أن تخبرني بحيث يفارقك ، قال : ما كلفت كثيراً فبينا هو في ظل صخرة في مكان ثريان إذ تضرب الحوت ، وموسى نائم فقال فتاه لا أوقظه حتى إذا استيقظ نسى أن يخبره ..)[3] .

يقول ابن حجر – رحمه الله – في شرح هذا الحديث بعد ذكره للآية السابقة (نسيا حوتهما) : فقيل نسب النسيان إليهما تغليباً، والناسي هو الفتى ، نسى أن يخبر موسى كما في هذا الحديث ، وقيل بل المراد أن الفتى نسى أن يخبر موسى بقصة الحوت ، ونسى موسى أن يستخبره عن شأن الحوت بعد أن استيقظ لأنه حينئذ لم يكن معه وكان بصدد أن يسأله عن شأن الحوت بعد أن استيقظ لأنه حينئذ لم يكن معه وكان بصدد أن يسأله أين هو فنسي ذلك ، وقيل : بل المراد ، أخرا – والمعنى أنهما أخرا افتقاده لعدم الاحتياج إليه فلما احتاجا إليه ذكراه ، وهو بعيد بل صريح الآية يدل على صحة صريح الخبر ، وأن الفتى اطلع على ما جرى للحوت ونسى أن يخبر موسى بذلك)[4]؟

ويقول ابن عطية – رحمه الله – (إنما كان النسيان من الفتى وحده ، نسى أن يعلم موسى عليه السلام بما رأى من حيث كان زاداً لهما ، وكان بسبب منه ،فنسب فعل الواحد فيه إليهما ، هكذا كما يقال فعل بنو فلان الأمر، وإنما فعله منهم بعض[5] .

---

(1) النون : الحوت والجمع أنوان ونينات ، لسان العرب لابن منظور (٤٥٨٦/٦) ،د : ت .
(2) مكتل : بكسر الميم وهو ما يعمل من الخوص يحمل فيه الثمر وغيره والجمع مكاتل ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي للعلامة أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (٥٢٥/٢) المكتبة العلمية بيروت ، د : ت .
(3) البخاري في كتاب التفسير ح (٤٧٢٦) .
(4) فتح الباري (٢٦٨/٨) .
(5) المحرر الوجيز (٣٥٢/٩) وانظر تفسير البغوي (٧١/٣ -١٧٢).

ويقول الشنقيطي – رحمه الله – : (ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أن موسى وفتاه نسيا حوتهما لما بلغا مجمع البحرين ولكنه تعالى أوضح أن النسيان واقع من فتى موسى لأنه هو الذي كان تحت يده الحوت وهو الذي نسيه ، وإنما أسند النسيان إليهما لأن إطلاق المجموع مراداً بعضه – أسلوب عربي كثير في القرآن ، وفي كلام العرب)[1].

ومما تقدم من كلام المفسرين يترجح إنما كان النسيان من الفتى لأنه كان مكلفاً بحفظ الحوت ومراقبته ، والنسيان في شأن الفتى متحققاً وصريح أكثر مما ذكر في شأن موسى عليه السلام .

والدليل على أن النسيان إنما وقع من فتى موسى دون موسى قوله تعالى عنهما : (فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَباً*قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً)[2] .

(فَلَمَّا جَاوَزَا) أي مجمع البحرين ، وأنهما انطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان الغد وارتفع النهار أحس موسى عليه السلام بالجوع[3] ، وجاء في الحديث (.. ولم ينصب حتى جاوز المكان الذي أمر به ..)[4].

(قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءنَا) أي موسى لفتاه يعني به الحوت فهو يظن أن فتاه لم ينسه ، قاله غير واحد[5] .

---

(1) أضواء البيان (١٢٠/٤).
(2) سورة الكهف الآية (٦٢ ـ ٦٣) .
(3) انظر روح المعاني (٣١٦/١٥) .
(4) رواه مسلم ح (٢٣٨٠) باب فضائل الخضر عليه السلام (١٨٤٧/٤) .
(5) أضواء البيان (١٢٠/٤) .

ويأتي قول الفتى صريحاً بعد طلب موسى للغداء : (قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ ..) أي نسيت أن أذكر لك أمره ، وما شاهدت منه من الأمور العجيبة ، وأوقع النسيان على الحوت دون الغداء الذي تقدم ذكره لبيان أن ذلك الغداء المطلوب هو ذلك الحوت الذي جعلوه زاداً لهما وأمارة لوجدان مطلوبهما[1] .

وقوله : (نسيت الحوت) أي نسيت حفظه وافتقاده ، أي فانفلت في البحر وقوله (وما إنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) هذا نسيان آخر غير النسيان الأول هذا نسيان ذكر الإخبار عنه . والمعنى ما أنساني أن أذكر لك غلا الشيطان ، فالذكر هنا ذكر اللسان) .[2]

وحصر الفتى للنسيان وإسناده إلى الشيطان ، وجه ذلك أن ما حصل له من نسيان أن يخبر موسى بتلك الحادثة نسيان ليس ممن شانه أن يقع في زمن قريب ، مع شدة الاهتمام بالأمر المنسي وشدة عنايته به بإخبار نبيه به ، ومع كون المنسي أعجوبة شأنها أن لا تنسى يتعين أن الشيطان يسوءه التقاء هذين العبدين الصالحين، وماله من الأثر في بث العلوم الصالحة فهو يصرف عنها ولو بتأخير وقوعها طمعاً في حدوث العوائق[3] .

فكان بنسيان الحوت وافتقاده عند الصخرة في مجمع البحرين حصول المطلوب والمقصد من هذه الرحلة . يقول تعالى (قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً*فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً)[4]

---

(1) فتح البيان (٢٣٥/٤)
(2) التحرير والتنوير (١٠٤/١٥) ، وانظر زاد المسير (٢٨٧/٥) .
(3) انظر التحرير والتنوير (١٠٤/١٥)
(4) سورة الكهف الآية (٦٤ ـ ٦٥) .

قال موسى : هذا هو الذي نطلب ، لأنه علامة الفوز بما نقصد ، فرجعا على طريقهما يقصا من آثار مشيهما ، فوجدا عند الصخرة في مجمع البحرين عبداً صالحاً من عباد الله ، وهو الخضر في رأي الأكثرين وكان مسجي بثوب أبيض ، فسلم عليه موسى ، وكان قد علمه الله من لدنه علماً من غير وساطة معلم بشر[1].

فطلب موسى من الخضر أن يصحبه ويرافقه ليتعلم منه شيئاً يسترشد به في أمره من علم نافع وعمل صالح (قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً)[2] والرشد بضم الراء وسكون الشين هو الوقوف على الخير وإصابة الصواب أي علماً ذا رشد أرشد به[3] .

فأجابه الخضر في قوله تعالى : (قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً*وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً)[4] إنك لا تطيق أن تصبر على ما تراه من علمي ، لأن الظواهر التي هي علمك لا توافق ذلك ، ثم أكد ذلك مشيراً إلى علة عدم الاستفادة (وكيف نصبر على ما لم تحط به خيراً) أي كيف تصير على علم ظاهره منكر ، وأنت لا تعلم ، ومثلك مع كونك صاحب شرع لا يسوغ له السكوت على منكر والإقرار عليه[5] .

فقال موسى : (قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ صَابِراً وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْراً)[6] فوعده موسى بأنه سيجده صابراً طائعاً له ، ثم استثنى حين حكم على نفسه بأمر ، فقوى

---

(1) التفسير الوسيط (١٤٤٢/٢) .
(2) سورة الكهف الآية (٦٦) .
(3) التفسير الوسيط (١٤٤٢/٢ ـ ١٤٤٣) ، وانظر فتح البيان (٢٣٧/٤) .
(4) سورة الكهف الآيات (٦٧ ـ ٦٧) .
(5) فتح القدير (٣٣٧/٣) وانظر روح المعاني (٣٣٣/١٦) .
(6) سورة الكهف الآية (٦٩) .

الخضر وصاته مؤكداً ومبيناً شرط صحبته قبل بدء الرحلة ، وهو أن يصير فلا يسال ولا يستفسر عن شيء من تصرفاته حتى يكشف له عن سرها[1] .

وبعد أن أخذ الخضر هذا العهد القوى على موسى تبدأ مرحلة الاختبار الصعبة لموسى عليه السلام لمعرفة مدى صبره على ما قام به العبد الصالح الخضر ، وقد وقعت منه أحداث ثلاثة غريبة ، لا تنسجم مع أصول المعرفة والشريعة الموسوية.

الحدث الأول في بداية انطلاقهما في هذه الصحبة المشروطة كما يقول تعالى عنهما (فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً)[2] .

فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا شرح قول الخضر فحملوهم بغير (نول)[3] فلما ركبا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم ، فقال له موسى قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها[4] .

أنكر موسى عليه السلام على الخضر وشدد عليه في النكير (لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً) والإمر بكسر الهمزة هو العظيم والفظيع[5] والداهية وتقول ابن عطية) الإمر أخص من المنكر)[6] أي شيئاً عظيماً من المنكر[7] .

جاء قول موسى هنا قوياً في الإنكار لأن المقام دال على شيء ضار ومقام الأنبياء في تغيير المنكر مقام شدة وصراحة[1].

---

(1) انظر المحرر الوجيز (٣٥٩/٩ ـ ٣٦٠) وانظر في ظلال القرآن (٢٢٧٩/٤) .
(2) سورة الكهف الآية (٦٠) .
(3) النول : العطاء ، والجمع أنوال ، انظر لسان العرب (٤٥٨٣/٦) .
(4) تفسير القرآن العظيم (١٢٧/٢) ، وفتح البيان (٢٣٩/٤ ـ ٢٤٠)
(5) المحرر الوجيز (٣٦١/٩) و التحرير والتنوير (١١١/١٥) ..
(6) المحرر الوجيز (٣٦١/٩) .
(7) معاني القرآن لأبي جعفر النحاس ط : دار الحديث القاهرة ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م تحقيق د. يحي مراد

وبعد هذا النكير الشديد من موسى عليه السلام ذكره الخضر بما قاله له سابقاً (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً)[٢] .

اعتذر موسى بالنسيان وكان قد نسى التزامه بما غشي ذهنه من مشاهدة ما ينكره، (قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً)[٣] .

يقول ابن عاشور والنهي هنا مستعمل في التعطف والتماس عدم المؤاخذة لأنه قد يؤاخذه مؤاخذة من لا يصلح للمصاحبة)[٤] .

وقول موسى (لا تؤاخذني بما نسيت) في معنى نسيان موسى عليه السلام ثلاث أقوال :

أحدهما : أنه النسيان على حقيقته وأنه نسى ، كما جاء في الحديث عن أبي كعب عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كانت الأولى من موسى نسياناً)[٥].

والثاني : أنه لم ينس ولكنه من معاريض الكلام ، قاله أبي بن كعب عن أبن عباس.

والثالث : أنه بمعني الترك، لا تؤاخذني بما تركته مما عاهدتك عليه ، ذكره ابن الأنباري[٦] .

فعلى القول الأول أنه النسيان على حقيقته ، وأن ذلك كان من موسى عليه السلام نسياناً ، وأن ذلك قولاً صريحاً بدلالة هذا الحديث الصحيح (الذي ليس فيه ما يحتمل التأويل) وقد يكون هذا بما رأى موسى عليه السلام من هول وعظمة ما حدث من خرق

---

(١) التحرير والتنوير (١١١/١٥) .
(٢) سورة الكهف الآية (٧٢) .
(٣) سورة الكهف الآية (٧٣) .
(٤) التحرير والتنوير (١١١/١٥) .
(٥) رواه البخاري ح(٤٧٢٥) كتاب التفسير باب : (وإذ قال موسى لفتاه) .
(٦) زاد المسير (١٧١/٥) ، واللباب في علوم الكتاب (٥٣٦/١٢) ، والجامع لأحكام القرآن (٢٠/١١).

السفينة والخطر من ذلك . فبادر بالنكير الشديد على الخضر ولم يتذكر ما جرى بينهم من العهد .

ويقول سيد قطب – رحمه الله – (لقد نسى موسى ما قاله هو وما قاله صاحبه ، أمام هذا التصرف العجيب الذي لا مبرر له في نظر المنطق العقلي)[1] .

ويقول في هذا الإمام الفخر الرازي – رحمه الله – (إن موسى عليه السلام لما شاهد ذلك الأمر المنكر بحسب الظاهر نسى الشرط المتقدم فلهذا المعنى قال ما قال)[2] .

وأما على القول الثاني : فإنه تعريض بالنسيان ، ووجه ذلك كما بينه ابن عطية – رحمه الله – أن موسى عليه السلام إنما رأى العهد في أن يسأل ، ولم ير إنكار هذا الفعل الشنيع سؤالاً ، بل رآه واجباً ، فلما رأى الخضر قد أخذ العهد على أعم وجوهه ضمنه السؤال والمعارضة والإنكار وكل اعتراض أُخذ معه في باب المعاريض التي هي مندوحة عن الكذب فقال له (قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ) ولم يقل : (إني نسيت العهد) بل قال لفظاً يعطي للمتأول أنه نسى العهد ، لأن ، قوله تعالى (قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ) كلام جيد طلبه ، وليس فيه للعهد ذكر ، هل نسيه أم لا ، وفيه تعريض أنه نسى إلا أن الذي قال وهو أبي روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (كانت الأولى نسياناً)[3] .

ومما تقدم وبعد بيانه – رحمه الله – لوجه التعريض بالنسيان وأشار إلى أن الحديث المتقدم ، ومن رواته أبي بن كعب يخل بهذا القول أي القول بالتعريض ، ولعل في ذلك إشارة إلى أن النسيان هو النسيان على حقيقته.

---

(1) في ظلال القرآن (٢٢٧٩/٤) .
(2) التفسير الكبير (١٥٤/٢١)
(3) المحرر الوجيز (٣٦٢/٩ ـ ٣٦٣) وانظر تفسير الطبري (٢٥٨/٨) .

ومما يخل بهذا القول أيضاً ما ذكره بن حجر – رحمه الله – في شرحه للحديث – انه روي الفراء[1] من وجه آخر عن أبي بن كعب قال : (لم ينس موسى ، ولكنه من معاريض الكلام) وإسناده ضعيف ، والأول هو المتعمد ، ولو كان هذا ثابتاً لاعتذر موسى عن الثانية وعن الثالثة بنحو ذلك[2] .

فقوله – رحمه الله – بعد تضعيف هذا القول ، (والأول هو المعتمد) أن القول المعتمد أن الأولى نسيانٌ . أي نسيان على حقيقته ، ولو كان المعتمد تعريضاً بالنسيان لاعتذر به موسى عليه السلام عن ذلك على تقدير أنه لم ينس ما قاله ولكنه ترك العمل به[3] .

ويقول الطبري – رحمه الله – بعد ذكره للأقوال المتقدمة : (والصواب من القول في ذلك أن يقال أن موسى سأل صاحبه أ لا يؤاخذه بما نسى فيه عهده من سؤاله إياه على وجه ما فعل وسببه لا بما سأله عنه وهو العهد ذاكر للصحيح عن رسول الله صلى الله علية وسلم ،بأن ذلك معناه الخبر) [4]

ويقول أبو حيان[5] – رحمه الله – (والظاهر حمل النسيان على وضعه وقد قال صلى الله عليه وسلم كانت الأولى من موسى نسياناً ، والمعنى أنه نسى العهد الذي كان بينهما من عدم سؤاله حتى يكون هو المخبر له أولاُ) [6].

---

(1) هو يحي بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلمي المعروف بالفراء ، إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة بفنون الأدب ، كان يقال الفراء أمير المؤمنين في النحو ولد بالكوفة وانتقل إلى بغداد وكان مع تقدمه في اللغة فقيهاً متكلماً عالماً بأيام العرب وأخبارها ، الأعلام للزركلي (١٤٥/٨) .

(2) انظر فتح الباري (٢٧٢/٨) ، وانظر الجامع لأحكام القرآن (٢٠/١١) .

(3) فتح البيان (٢٤١/٤) وانظر تفسير الطبري (٢٥٨/٨) .

(4) تفسير الطبري (٢٥٨/٨) .

(5) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان الغرناطي الأندلسي من كبار علماء العربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات ولد في إحدى جهات غرناطة وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة وتوفي فيها من كتبه البحر المحيط وغير ذلك ، انظر الأعلام للزركلي (١٥٢/٧) .

(6) تفسير البحر المحيط (١٤٨/٦) .

ويترجح بما تقدم أن ذلك كان نسياناً من موسى لما شاهد هذا الفعل العظيم المنكر المحمول على حسب الظاهر فبادر إلى إنكاره ، وكما استدل بالحديث الصحيح أن ذلك كان من موسى نسياناً.

وذكر الإمام الرازي في تفسيره أنه احتج الطاعنون في عصمة الأنبياء عليهم السلام بهذه الآية من وجهين .

الأول : أنه ثبت بالدليل أن ذلك العالم كان من الأنبياء ثم قال موسى عليه السلام (أخرقتها لتغرق أهلها) فإن صدق موسى في هذا القول دل ذلك على صدور الذنب العظيم عن ذلك النبي ، وإن كذب دل على صدور الكذب عن موسى عليه السلام .

الثاني : أنه التزم أن لا يعترض على ذلك العالم وجرت العهود المؤكدة لذلك ، ثم إنه خالف تلك العهود وذلك ذنب .

الجواب عن الأول : أنه لما شاهد موسى عليه السلام منه الأمر الخارج عن العادة قال هذا الكلام ، لا لأجل أنه اعتقد فيه أنه فعل قبيحاً ، بل لأنه أحب أن يقف على وجهه وسببه ، وقد يقال في الشيء العجيب الذي لا يعرف سببه أنه إمر يقال أمر الأمر إذا عظم.

وعلى الثاني : أنه فعل بناءاً على النسيان ، ثم انه تعالى حكي عن ذلك العالم أنه لما خالف الشرط لم يزد على أن قال : (أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً) فعند هذا اعتذر موسى عليه السلام بقوله (قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ) أراد أنه نسى وصيته ولا مؤاخذة على الناسي بشيء[1] .

فإن حصول هذا النسيان بوجهه كما تقدم في حق موسى عليه السلام أن ذلك لا يخل بمقام النبوة ، وكذلك مما لا يخل بالتبليغ والأمانة.

([1]) التفسير الكبير (١٥٤/٢١) ، واللباب في علوم الكتاب (٥٣٦/١٢) .

ومما زعم من النسيان في حق موسى عليه السلام ما قاله السامري[1] ومن افتتن به من بني إسرائيل كما أخبر تعالى في قوله (فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ)[2] .

أخرج السامري لبني إسرائيل من حلي الذهب الملقي في النار جسد عجل لا روح ولا حياة فيه ، له خوار العجول ، بتصنيعه بطريقة فنية ، حيث عمل فيه خروقاً ، وألقي فيه رملاً من أثر جبريل الأمين ، فكان إذا دخلت الريح في جوفه خار، والخوار ، صوت البقر[3] .

(فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ) هذا قول السامري ومن وافقه من الذين افتتنوا به)[4]

(فنسي) وفي المشار إليه بالنسيان قولان .

احدهما : أنه موسى عليه السلام ، وفي المعنى ثلاثة أقوال :

أحدهما : فنسى موسى أن يخبركم أن هذه إلهه رواه عكرمة عن ابن عباس ،

والثاني :فنسى الطريق إلى ربه روي عن ابن عباس أيضاً،

والثالث : فنسى موسى إلهه عندكم وخالفه في طريق آخر، قاله قتادة .

والثاني : أنه السامري ، والمعنى على هذا فنسى السامري إيمانه وإسلامه ،وقيل فنسى أن لا يرجع إليهم قولاً ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً[5].

---

(1) السامري من قبيلة سامره ، أو من قوم يعبدون البقر ، والأكثرون قالوا إنه كان من عظماء بني إسرائل من قبيلة السامرة ، التفسير المثير (٢٦٠/١٦ ـ ٢٦١) .

(2) سورة طه الآية (٨٨)

(3) التفسير الوسيط (١٥٤٣/٢) .

(4) روح المعاني (٢٤٨/١٩) وانظر تفسير النسفي المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣٧٤/٢) ط : دار الكتاب العربي بيروت ، د : ت .

(5) زاد المسير (٣١٥/٥) ، وانظر تفسير الماوردي النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (٤١٩/٣) مراجعة وتعليق السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم ط : دار الكتب العلمية بيروت د : ت .

فالنسيان على القول الأول بمعنى الذهول .

وفي القول الثاني : بمعنى الترك[1] .

ويقول الطبري – رحمه الله (والذي هو أولى بتأويل ذلك القول الذي ذكرناه عن هؤلاء ، وهو أن ذلك خبر من الله تعالى ذكره عن السامري أنه وصف موسى بأنه نسي ربه ، وأن ربه الذي ذهب يريده هو العجل الذي أخرجه السامري لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه ، وأنه عقيب ذكر موسى وهو أن يكون خبراً من السامري عنه بذلك أشبه من غيره)[2].

ثم قال تعالى : (أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً)[3] والمعنى :أفلم يتبين هؤلاء الذين ضلوا أن هذا العجل إنما هو جماد لا يتكلم ولا يرجع قولاً ولا يضر ولا ينفع ؟ وهذه خلال لا يخفى معها الحدوث والعجز ، لأن هذه الخلال لو حصلت له أوجبت كونه إلهاً.

وفي ذلك إنكار وتقبيح من جهته تعالى الضالين والمضلين جميعاً وتسفيهٌ لهم فيما أقدموا عليه من المنكر الذي لا يشتبه بطلانه واستحالته على أحد وهو اتخاذ ذلك العجل ولعمري لو لم يكونوا في البلادة كالبقر لما عبدوه[4].

---

(1) انظر المحرر الوجيز (٧٨/١٠) ، وانظر التحرير والتنوير (١٦٧/١٦ ـ ١٦٨).
(2) تفسير الطبري (٤٤٨/٨) .
(3) سورة طه الآية (٨٩) .
(4) انظر المحرر الوجيز (٧٨/١٠) ، وانظر روح المعاني (٢٤٨/١٦) .

المطلب الثالث : آدم عليه السلام :

عهد الله تعالى إلى آدم عليه السلام وأوصاه وأمره فنسي كما قال تعالى : (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً)[1].

قوله تعالى (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ)

يقول ابن عطية .رحمه الله . : (والعهد هنا في معنى الوصية)[2] أي : أمرناه وأوصيناه ألا يقرب الشجرة ، وهذا العهد إلى آدم الذي أجمله تعالى هنا بينه في غير هذا الموضع كقوله سبحانه في سورة البقرة (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ)[3] وقوله تعالى في سورة الأعراف (وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ)[4]

(مِن قَبْلُ) أي من قبل هذا الزمان ، أو من قبل أكله من الشجرة ، وقيل من قبل وجود هؤلاء المخالفين[5]

والمعنى كما أورد الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ في تفسيره : إن يضيع يا محمد هؤلاء الذين نصرف لهم في هذا القرآن من الوعيد عهدي ، ويخالفوا أمري ويتركوا طاعتي ، ويتبعوا أمر عدوهم إبليس ، ويطيعوه في خلاف أمري فقديماً ما فعل ذلك أبوهم آدم عليه السلام[6] .

---

(1) سورة طه الآية (١١٥)
(2) انظر المحرر الوجيز (١٠٠/١٠) .
(3) سورة البقرة الآية (٣٥)
(4) سورة الأعراف الآية (١٩) .
(5) روح المعاني (٢٦٩/١٦) وفتح البيان (٣٧٥/٤) .
(6) تفسير الطبري (٤٦٥/٨) .

وعلى هذا فالمراد من الآية تسليةٌ للنبي صلى الله عليه وسلم أن طاعة بني آدم للشيطان أمرٌ قديم ، ِوأن هؤلاء المعاصرين له إن نقضوا العهد فقد نقض أبوهم آدم[1] واعترض ابن عطية على هذا التأويل بأنه ضعيف لما فيه من الغضاضة حيث جعلت قصته مثالاً للجاحدين ، وآدم إنما عصى بتأويل ، وذكر ـ رحمه الله ـ أن في ذلك تحذيراً للنبي صلى الله عليه وسلم عن العجلة وعدم التؤدة لئلا يقع فيما لا ينبغي كما وقع آدم عليه السلام ، واعترض على ابن عطية القنوجي ـ رحمه الله ـ بأن اعتراض ابن عطية قائلاً يكون آدم ممثالاً للكفار الجاحدين فليس بشئ[2]

(فنسي) وفي المراد بالنسيان هنا قولان مشهوران عند المفسرين :

أحدهما : الترك فلا ينافي كون الترك عمد ، والعرب تطلق النسيان وتريد به الترك ، فالمراد في هذه الآية الترك قصداً كقوله تعالي : (نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ)[3] .

وعلى هذا فمعنى قوله : (فنسي) أي ترك الوفاء بالعهد وخالف ما أمره الله به من ترك الأكل من تلك الشجرة لأن النهي عن الشئ يستلزم ضده ، وبه قال ابن عباس ، ومجاهد[4] وأكثر المفسرين[5] .

والثاني : أن المراد بالنسيان في الآية النسيان الذي هو ضد الذكر ، حكاه الماوردي[6] ، وأوضح ذلك الرازي في تفسيره قائلاً : (وإنما عوتب على ترك التحفظ والمبالغة في

---

(1) فتح البيان (٣٧٥/٤) .
(2) انظر المحرر الوجيز (١٠٠/١٠) .
(3) سورة التوبة الآية (٦٧) .
(4) مجاهد هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي الخزرجي : عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة كان أعلم بالتفسير مات سنة (١٠١هـ أو ١٠٢هـ وهو ساجد ، انظر طبقات الحفاظ ص : (٤٢) .
(5) أضواء البيان (١٠٣/٤) ، وزاد المسير (٣٢٨/٥) .
(6) هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (٣٦٤ ـ ٤٥٠هـ) ، كان ثقة من وجوه الفقهاء الشافعيين له تصانيف عدة في أصول الفقه وفروعه ، انظر طبقات المفسرين (٤٦٥/١).

الضبط حتى تولد منه النسيان)[1] كما أورد في ذلك الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : (إنما سمي الإنسان لأنه عهد إليه فنسي)[2] .

وأوضح الشنقيطي ـ رحمه الله ـ هذين القولين بتفصيل في الآتي :

أما على القول الأول فلا إشكال في قوله (... وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى)[3] .

وأما على القول الثاني : ففيه إشكال معروف ، لأن الناسي معذور فكيف يقال فيه (... وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) وأن أظهر أوجه الجواب عن ذلك أن آدم لم يكن معذوراً بالنسيان ، ومن الأدلة على أن العذر بالنسيان والخطأ والإكراه من خصائص هذه الأمة ، ما ثبت في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ : (...رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا...)[4] قال الله : (نعم ، قد فعلت)[5] فلو كان ذلك معفواً عن جميع الأمم لما كان لذكره على سبيل الامتنان وتعظيم المنة عظيم موقع ، ويستأنس لذلك بقوله : (...كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا...)[6] ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)[7] فقوله (تجاوز لي عن أمتي) يدل على الإختصاص بأمته ، وليس مفهوم لقب ، لأن مناط التجاوز عن ذلك هو ما خصه الله به من التفضيل علي غيره من الرسل ، والحديث وإن أعله بعض أهل الحديث فله شواهد ثابتة في الكتاب والسنة ، ولم يزل

---

(1) التفسير الكبير (١٢٤/٢٢).
(2) تفسير الطبري (٤٦٥/٨) .
(3) سورة طه الآية (١٢١) .
(4) سورة البقرة الآية (٢٨٧٦) .
(5) أخرجه مسلم عن أبي هريرة كتاب الإيمان باب أن الله لم يكلف إلا ما يطاق ح (١٢٥) (١١٥/١) .
(6) سورة البقرة الآية (٢٨٧٦) .
(7) ابن ماجة كتاب الطلاق باب المكره والناسي ح (٢٠٤٣) ، (٦٥٩/١) ، ط : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، د ، ت و صحيح سنن ابن ماجة ح : (١٦٦٢) ، (٣٤٧/١) .

علماء الأمة يتلقونه بالقبول ومن الأدلة على ذلك الحديث المشهور[1] في الذي دخل النار في ذباب قربه مع أنه مكره وصاحبه الذي امتنع من تقريب شئ للصنم ولو ذباباً قتلوه ، فدل ذلك على أن الذي قربه مكره ، لأنه لو لم يقرب لقتلوه كما قتلوا صاحبه ، ومع هذا دخل النار فلم يكن إكراهه عذراً ، ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى عن أصحاب الكهف : (إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً)[2] فقوله : (يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ) دليل على الإكراه وقوله : (وَلَن تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً) دليل على عدم العذر بذلك الإكراه [3].

(وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً) ولم نجد من الوجدان بمعنى العلم أو من الوجود ضد العدم [4].

ويقول ابن عاشور ـ رحمه الله ـ : (واستعمل نفي الوجدان عند آدم في معنى عدم وجود العزم من صفته فيما عهد إليه تمثيلاً لحال طلب حصوله عنده بحال الباحث على عزمه فلم يجده عنده بعد البحث) [5] .

والعزيمة في اللغة : عبارة عن الإرادة المؤكدة[6] .

ويقول الطبري ـ رحمه الله ـ : (وأصل العزم اعتقاد القلب على الشئ يقال منه : عزم فلان على كذا : إذا اعتقد عليه ونواه ، ومن اعتقاد القلب : حفظ الشئ ، ومنه الصبر على الشئ ، لأنه لا يجزع جازع إلا من خور قلبه وضعفه) [7] .

ويقول الألوسي ـ رحمه الله ـ : (وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً) تصميم رأي وثبات قدم في الأمور وهذا جارٍ على القولين في النسيان) [1] .

---

(1) عن طارق بن شهاب ، رواه أبو نعيم في الحلية (٢٠٣/١) ط : دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ د : ت

(2) سورة الكهف الآية (٢٠) .

(3) انظر أضواء البيان (٣٩٣/٤ ـ ٣٦٤).

(4) فتح البيان (٣٧٦/٤) ، وانظر تفسير البغوي (٢٣٣/٣) .

(5) التحرير والتنوير (١٩١/١٦) .

(6) كتاب التعريفات للشريف الجرجاني ص : (١٠٧) .

(7) تفسير الطبري (٤٦٦/٨) .

واختلف أهل التأويل في معنى العزم إلى أربعة أقوال :

الأول : لم نجد له حفظاً : أي لم يتحفظ مما نهي عنه حتى نسي .

الثاني : صبراً : لم نجد له صبراً عن الأكل من الشجرة ، والمواظبة على التزام الأمر .

الثالث : حزماً .

الرابع : عزماً ، وقد كان معتقده ألا يأكل من الشجرة لكنه لما وسوس إليه إبليس لم يعزم على معتقده ، ولانت عريكته وفتر عزمه وأدركه ضعف البشر ، وقيل لم نجد له عزماً على الذنب فإنه عليه السلام أخطأ ولم يتعمد ، وهو قول من قال إن النسيان على حقيقته[٢] .

ثم شرع سبحانه وتعالى في بيان كيفية ظهور نسيانه وفقدانه عزمه فقال تعالى : (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى* فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى*إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى*وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى)[٣] .

أن هذا هو المرة السادسة من قصة آدم عليه السلام في القرآن الكريم أولها في البقرة ثم الأعراف ثم الحجر ثم الإسراء ثم الكهف ثم هنا في سورة طه ، ولعل من أوجه تعلق هذه الآيات بما قبلها مما يناسب ما نحن بصدد الوقوف عنده ، أن طاعة بني آدم للشيطان وتركهم التحفظ من وسواسه أمر قديم ، فإنه قد عهد إلى آدم من قبل ثم إنه مع ذلك نسي وترك العهد[٤] .

---

(١) انظر روح المعاني (٢٦٩/١٦) .
(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (٢٥١/١١ ـ ٢٥٢) وروح المعاني (٢٦٩/٦ ـ ٢٧٠) والمحرر الوجيز (١٠٠/١٠ ـ ١٠١) وأضواء البيان (١٠٣/٤) .
(٣) سورة طه الآيات (١١٦ ـ ١١٩) .
(٤) التفسير الكبير (١٢٣/٢٢) .

أمر الله تعالى الملائكة بالسجود سجود انحناء وتحية لا سجود تعظيم وعبادة نكريماً وتشريفاً لآدم عليه السلام فسجد الملائكة كلهم جميعاً تلبية لأمر الله إلا إبليس أبى واستكبر ورفض السجود وقال أنا خير منه .

وعقب ذلك أخبر الله تعالى آدم رعاية وإرشاداً ونصحاً أن هذا الذي رأيت ما رأيت منه ـ عدوٌ لك ولزوجك ، ومن ثم لم يسجد لك وخالف أمري وعصاني فلا تطيعاه فيما يأمركما به فيكون سبباً في إخراجكما من الجنة وسبباً للشقاء ، أي التعب من عناء الزرع وغيره .

كما أخبره تعالى أن له في الجنة تمتعاً بأنواع المعاش ، وتنعماً بأصناف النعم من المآكل الشهية والملابس البهية ، فإن نفي الجوع والعري عنه أفاد ثبوت الشبع والإكتساء ، وإن في نفي الظمأ يستلزم حصول الري ، ووجود السكن يدفع مشقة أشعة الشمس أن يصيبه حرها ، ومما لا شك فيه أن أصول المتاعب في الدنيا التي تدور عليها كفاية الإنسان هي تحصيل الشبع والري والكسوة وما عدا هذه فضلات يمكن البقاء بدونها ، وأن في هذا إعلاماً من الله سبحانه لآدم إن أطاعه فله في الجنة هذا كله ، وإن ضيع وصيته ولم يحفظ عهده أخرجه من الجنة إلى الدنيا فيحل به التعب والنصب ، والمراد بالشقاء شقاء الدنيا لا شقاء الآخرة ، كما قاله كثير من المفسرين [1].

وبعد أن بين تعالى أنه شرف آدم وعرفه شدة عداوة إبليس له بين أنه قبل نصحه وأكل من الشجرة التي نهي عن الأكل منها فقال تعالى : (فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى* فَأَكَلَا مِنْهَا

(1) انظر فتح البيان (٣٨٦/٤ ـ ٣٨٧) والتفسير الوسيط (١٥٥٤/٢ ـ ١٥٥٥) والتحرير والتنوير (١٩٢/١٦ ـ ١٩٣) وتفسير المراغي (١٥٩/١٦) وزاد المسير (٣٢٨/٥) .

فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى)[1] .

(فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ) الوسوسة الصوت الخفي وحديث النفس ، ويقال وسوست إليه نفسه وسوسةً ووسواساً بكسر الواو ، أي أنهى إليه الوسوسة وأسر إليه[2] .

(قَالَ يَا آدَمُ) هذا بيان للوسوسة ، ناداه بإسمه ليكون أقبل عليه وأمكن للاستماع[3].

يقول ابن عاشور- رحمه الله - : (وهذا القول خاطرٌ ألقاه الشيطان في نفس آدم بطريق الوسوسة وهي الكلام الخفي ، إما بألفاظ نطق بها الشيطان سراً لآدم لئلا يطلع عليه الملائكة فيحذروا آدم من كيد الشيطان ، فيكون إطلاق القول عليه حقيقة ، وإما بمجرد توجه إرادة الشيطان كما يوسوس للناس في الدنيا ، فيكون إطلاق القول عليه مجازاً باعتبار المشابهة)[4].

وفي وسوسة الشيطان لآدم إشكالاً معروفاً وهو أن يقال : إبليس قد خرج من الجنة صاغراً مذموماً مدحوراً فكيف أمكنه الرجوع إلى الجنة حتى وسوس لآدم ؟

أجاب الشنقيطي - رحمه الله - بالآتي : أن ما يذكر المفسرون في ذلك قصة الحية وأنه دخل فيها فأدخلته أن ذلك من الإسرائيليات ، والواقع أنه لا إشكال في ذلك ، لإمكان أن يقف إبليس خارج الجنة قريباً من طرفها بحيث يسمع آدم كلامه وهو في الجنة ، وإمكان أن يدخله الله إياها لامتحان آدم وزوجته ، لا لكرامة إبليس ، فلا محال عقلاً في شئ من ذلك[5] .

---

(1) سورة طه الآيات (١٢٠ - ١٢١) .
(2) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٧٧/٧) .
(3) روح المعاني (٢٧٣/١٦) .
(4) التحرير والتنوير (١٩٥/١٦) ..
(5) أضواء البيان (٣٩٩/٤) ، و انظر الجامع لأحكام القرآن (١٧٧/٧)

فألقى الشيطان وسوسته الخفية لآدم : ألا أرشدك إلى شجرة الخلد وهي الشجرة التي من أكل منها لا يمت أصلاً وكان ملكاً مخلداً ، وألا أدلك على ملك دائم لا يزول ولا يفنى[1] .

وهي الشجرة التي نهاه الله تعالى عن الأكل منها دون جميع شجر الجنة وهذا إغراء من الشيطان وهو المبين في قوله تعالى من سورة الأعراف بقوله تعالى : (...وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ*وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ)[2].

أورد القرطبي ـ رحمه الله ـ عن ابن عباس قال : غرهما باليمين ، وكان آدم يظن أنه لا يحلف أحدٌ بالله كاذباً فغرهما بوسوسته وقسمه لهما ، وأورد رحمه الله عن قتادة : حلف بالله لهما حتى خدعهما ، وقد يخدع المؤمن بالله ، كان بعض العلماء يقول : من خادعنا بالله خدعنا [3].

لقد لمس الشيطان في نفس آدم الموضع الحساس ، فالعمر البشري محدود ، والقوة البشرية محدودة ، من هنا يتطلع إلى الحياة الطويلة وإلى الملك الطويل ، ومن هاتين النافذتين دخل عليه الشيطان ، وآدم عليه السلام مخلوق بفطرة البشر وضعف البشر ، لأمر مقدور وحكمة مخبوءة [4].

كما يبين هذا عن استقرار محبة الحياة في جبلة البشر ، وأن من كان في عيشة راضية تمنى أن تكون باقية ، فجاء إبليس من ناحية هذه الأمنية وقال هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ، وفي هذا ما يشير إلى أن الإنسان يؤتى من ناحية ما يتمنى ،

---

(1) التفسير الوسيط (١٥٥٥/٢) .
(2) سورة الأعراف الآيات (٢٠ ـ ٢١) .
(3) الجامع لأحكام القرآن (٨٠/٧) .
(4) انظر في ظلال القرآن (٢٣٥٤/٤) .

وإبليس وذريته يأتون من ناحية أمانيه ، ويشير إلى أن الإرادة القوية هي العزم الصادق وهي التي تبقى أو تقاوم وسوسة الشيطان [1].

فعمل آدم بوسوسة الشيطان فأكل من الشجرة وأكلت حواء معه : (فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) [2].

(فَأَكَلَا) أي هو وزوجه ، فانكشفت عورتهما وكانت مستورة عن أعينهما فشرعا يلزقان ورق التين عليهما ليغطيا جسمهما[3] .

يقول الطبري ـ رحمه الله ـ في تفسيرها : (أقبلا يشدان عليهما من ورق الجنة) [4].

وفي قوله تعالى : (فَغَوَى) قولان :

الأول : ضل طريق الخلود حيث أراده من قبل المعصية .

الثاني : فسد عليه عيشه لأن معنى الغيِّ : الفساد ، ليس بمعنى أنه أكثر مما أكل من الشجرة .

وقوله : (فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ) يدل على أنهما لم يكثرا ولم تتأخر عنهما العقوبة حتى يصلا إلى الإكثار[5] .

ويقول الألوسي ـ رحمه الله ـ في تفسيرها : (ضل عن مطلوبه الذي هو الخلود أو عن المطلوب منه وهو ترك الأكل من الشجرة أو عن الرشد حيث اغتر بقول العدو) [6] .

---

(1) انظر التحرير والتنوير (١٩٦/١٦) وانظر زهرة التفاسير لمحمد أبو زهرة (٤٨٠٠/٩ ـ ٤٨٠١) ط : دار الفكر العربي بدون تاريخ .
(2) سورة طه الآية (١٢١) .
(3) تفسير المراغي (١٦٠/١٦) ، وانظر تفسير القرآن العظيم (٢٢٦/٣)
(4) تفسير الطبري (٤٦٨/٨) .
(5) زاد المسير (٣٢٩/٥) وانظر الجامع لأحكام القرآن (٢٥٧/١١) .
(6) روح المعاني (٢٧٤/١٦) .

وما تقدم يشير إلى معصية آدم وما ترتب عليها من الجزاء من الله تعالى من نزع لباسهما وفساد عيشه بنزوله إلى الدنيا كما قال تعالى : (قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى)[1].

يقول المراغي ـ رحمه الله ـ في تفسيرها : (ثم اصطفى الله تعالى آدم عليه السلام بعد معصيته إياه فرزقه الرجوع إلى ما يرضى به عنه والعمل بطاعته وذلك هو توبته التي تابها عليه وهداه إليها : (ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى)[2].

يقول ابن عطية ـ رحمه الله ـ : (رجع به من حال المعصية إلى حال الندم وهداه لصالح الأقوال والأعمال وأمضى عقوبته عز وجل في إهباطه من الجنة[3] .

وأورد ابن عاشور ـ رحمه الله ـ : إن الاجتباء والتوبة عليه كانا بعد أن عوقب آدم وزوجه بالخروج كما في سورة البقرة ، وهو المناسب لترتيب الإخراج من الجنة على المعصية دون أن يترتب على التوبة[4] .

ويقتضى ما أورده ـ رحمه الله ـ أن آدم وحواء عوقبا بالهبوط من الجنة جزاء المعصية ثم تاب الله عليهما وهداهما لطاعته .

وما ورد في سورة البقرة على نحو ما تقدم من كلامه ـ رحمه الله ـ قوله تعالى : (فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ *فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)[5] .

---

(1) سورة طه الآية (١٢٣) .
(2) سورة طه الآية (١٢٢) .
(3) المحرر الوجيز (١٠/١٠٥) .
(4) التحرير والتنوير (١٦/١٩٧) .
(5) سورة البقرة الآيات (٣٦ ـ ٣٧) .

ويعد إنزال الله سبحانه آدم وحواء من الجنة إلى عالم الدنيا إنذارٌ لذريتهم فإن يأتكم مني هدى بوساطة الأنبياء والرسل وإنزال الكتب المنذرة والمبشرة فمن اتبع هدى ربه وآمن به فإنه لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة[1] .

أورد الطبري ـ رحمه الله ـ عن ابن عباس قال : (من قرأ القرآن واتبع ما فيه عصمه الله من الضلالة ووقاه) ثم قال ـ رحمه الله ـ أظنه أنه قال : (من هول القيامة)[2] .

وأن المعرض عن ذكر الله وهو الكافر ، وإن كان متسع الحال والمال فمعه من ألوان الحرص والقلق والهموم والتعذيب النفسي في أمور الدنيا أو في البرزخ ، ما يصيِّر معيشته ضنكاً وشدةً ، فتكون العبرة بسعادة النفس وراحة البال والاطمئنان[3] .

ومما لا شك فيه أن مخالفة الأمر الواجب من الله معصية ، وأن الجزاء حق وعدل على المعصية لكن معصية آدم من نوع خاص بترتيب وتدبير من الله عز وجل .

وكما جاء في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (حاج آدم موسى فقال له أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم ؟ قال آدم : يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ، أتلومني على أمر كتبه الله علي قبل أن يخلقني ، أو قدره علي قبل أن يخلقني ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى)[4] .

يقول ابن حجر ـ رحمه الله ـ في الفتح : (ومعنى حجّه غلبه بالحجة ، يقال حاججت فلاناً فحججته مثل خاصمته فخصمته)[5] .

---

(1) انظر التفسير الوسيط (١٥٥٧/٢) .
(2) تفسير الطبري (٤٦٩/٨) .
(3) انظر التفسير الوسيط المرجع السابق نفس الصفحة ، وانظر فتح القدير (٤٤١/٣) .
(4) البخاري (٤٧٣٨) كتاب التفسير باب (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) .
(5) فتح الباري (٥١٧/١١) .

وأورد القرطبي ـ رحمه الله ـ في تفسيره بعد إيراده لهذا الحديث الصحيح عن الليث بن سعد[1] أنه قال : (إنما صحت الحجة في هذه القصة لآدم على موسى عليهما السلام من أجل أن الله تعالى غفر لآدم خطيئته وتاب عليه فلم يكن لموسى أن يعيره بخطيئة قد غفرها الله تعالى له)[2] .

ومما يجمل أن أختم به هذا الموضوع ، وهو عن آدم عليه السلام النبي ، وأبو الأنبياء عليهم من الله الصلاة والسلام جميعاً ، وأبو البشرية جميعاً ، أن أذكر الأدب الذي أشار إليه بعض المفسرين أثناء تناولهم لقصة آدم عليه السلام :

يقول القاضي أبو بكر بن العربي : (لا يجوز لأحد منا اليوم أن يخبر بذلك عن آدم إلا إذا ذكرناه في أثناء قوله تعالى عنه ، أو قول نبيه ، فأما أن يبتدئ ذلك من نفسه فليس بجائز لنا في ءابائنا الأدنيين إلينا ، المماثلين لنا ، فكيف في أبينا الأقدم الأعظم الأكرم النبي المقدم الذي عذره الله سبحانه وتعالى وتاب عليه وغفر له)[3] .

وأورد الألوسي ـ رحمه الله ـ كلام القاضي أبي بكر بن العربي المتقدم ثم قال : (إنما وقع كان في الحقيقة بمحض قضاء الله تعالى وقدره ، وأنه لا ينفع عقل ولا يغني شئ في جنب تقدير الله تعالى وقضائه)[4] .

وأورد الشوكاني ـ رحمه الله ـ في تفسيره كذلك رأي القاضي ابن العربي ثم قال : (لا مانع من هذا بعد أن أخبرنا الله في كتابه بأنه عصاه ، وكما يقال حسنات الأبرار سيئات المقربين ، وقال في هذا المعنى :

---

(1) الليث بن سعد بن عبدالرحمن الفهمي ، أبو الحارث الإمام المصري مولى قريش وقيل أن أصله من أصبهان وقيل غير ذلك ، أنظر تهذيب التهذيب للإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (٥٨٣/٤ ـ٥٨٤) دار المعرفة بيروت الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م ، تحقيق الشيخ خليل مامون شيحة ، والشيخ عمر السلامي والشيخ علي بن مسعود .

(2) الجامع لأحكام القرآن (٢٥٦/١١ ـ ٢٥٧) .

(3) أحكام القرآن لابن عربي (١٢٦١/٣) .

(4) روح المعاني (٢٧٥/١٦) .

وعصى أبو العالم وهو الذي *** من طينة صوره الله

وأسجد الأملاك من أجله *** وصير الجنة مأواه

أغواه إبليس فمن ذا أنا *** المسكين إن إبليس أغواه[1]

إن معصية آدم وغوايته ، وبعده عن الرشد لم تكن بتصميم عزم ، وإنما صدرت منه في حال النسيان للأمر الإلهي ليترتب على ذلك الإخراج من الجنة ، وتوالد البشرية وعمارة الكون ، وإنما كان ذلك بقضاء الله وقدره[2] .

([1]) فتح القدير (٤٣٩/٣) .

([2]) انظر التفسير الوسيط (١٥٥٦/٢) .

المطلب الرابع : يوسف عليه السلام :

تأتي قصة يوسف عليه السلام ضمن الأحداث الجسام التي يتعرض لها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ولا يكاد يوجد لها نظير في التاريخ البشري ، فهم أشد الناس ابتلاءً في طريق الدعوة إلى الله تعالى وإبلاغها للناس فكان من ابتلاء يوسف عليه السلام أن زج في السجن وهو العفيف البري عن كل تهمة ، شأنه نقاء الأنبياء المصطفين الأخيار ، على الرغم من كل المغريات الزاخرة بكل ما يدعو إلى إشعال الشهوات والأهواء في أكمل هيئة وتهيئة بدعوة امرأة العزيز إلى نفسها ، فيرد ذلك مستعيذاً بالله وملتجأً إليه ضارباً بذلك المثل الرائع في كمال العفة والشرف والوفاء لسيده الذي أحسن منزله ومقامه .

ولم تهدأ محاولات امرأة العزيز وبعد محاولة تبرير حبها له أمام نسائها اللاتي انبهرن بجماله توعدته عليه السلام إن لم يفعل ما تأمره به بالسجن والإذلال والقهر .

فيلوذ يوسف بربه مستسلماً وراغباً ومتوكلاً عليه أن السجن أحبَّ إليه مما يدعونه من الفاحشة وارتكاب المعصية .

لم يكن السجن حائلاً بين يوسف ودعوته إلى التوحيد ، فيزداد المسجونين ثقة بما عليه من الصلاح والتقوى فكان من بين السجناء معه فتيان مملوكان للملك فرأيا رؤيا في منامهما فطلبا منه تعبيرها لهم لما رأيا عليه من سمت الصلاح والإحسان[1]

ثم قال لهم قولاً يدل على إنه نبي صادق : (قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ*وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِي إِبْرَاهِيمَ

(1) انظر التفسير الوسيط (١١٠٥/٢) ، وانظر في ظلال القرآن (١٩٨٧/٤ ـ١٩٨٨) .

وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ)[1] .

ثم دعاهما إلى التوحيد مقرراً منهج الأنبياء عامة بعدم الإشراك بالله فقال تعالى : (يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ*مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ)[2] ثم بين لهما تأويل رؤياهما كما قال تعالى : (يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ)[3]

فكان من تعبير الرؤيا أن يعود صاحب الشراب إلى عمله ويقوم بسقاية الملك ، وأما الآخر وهو الخباز صاحب الطعام فيصلب فتأكل الطير من رأسه ، وكان ذلك أمراً مقضياً بأمر الله تعالى (قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) أي فرغ من الأمر الذي تسألان ، ووجب حكم الله عليكما الذي أخبرتكما به[4]

وأحب يوسف البرئ الذى أمر الملك بسجنه دون تحرٍ ودون بحث ، إلا ما نقله له بعض حاشيته من وشاية لعلهم صوروا له فيها حادث امراة العزيز وحادث النسوة تصويراً مقلوباً ، كما يقع عادةً في مثل هذه الأوساط ، أحب يوسف أن يبلغ أمره إلى الملك ليفحص عن الأمر[5] .فقال لهما عليه السلام : (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ

(١) سورة يوسف الآيات (٣٧ ـ ٣٨) .
(٢) سورة يوسف الآيات (٣٩ ـ ٤٠) .
(٣) سورة يوسف الآية (٤٠) .
(٤) انظر تفسير البغوي (٤٢٧/٢) .
(٥) في ظلال القرآن (١٩٩٢/٤) .

مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ)[1].

(وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا) الظن هنا بمعنى اليقين وهو قول أكثر المفسرين ، ونحو ذلك قوله تعالى (الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)[2][3]ورد في تفسيرها عن قتادة على الظن الذي هو خلاف اليقين ، قال : (إنما ظن يوسف نجاته لأن العابر يظن ظناً وربك يخلق ما يشاء) وما سبق هو الأصح وأشبه بحال الأنبياء ، وأن ما قاله للفتيين في تعبير الرؤيا كان وحي ، وإنما يكون ظناً في حكم الناس ، وأما في حق الأنبياء فإن حكمهما حق كيف ما وقع[4]. وقوله عليه السلام (اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ) أي اذكرني عند صاحبك وهو الملك وقل له في السجن غلاماً حبس ظلماً[5].

يقول ابن عطية في تفسيرها : (فيحتمل أن يريد أن يذكره بعلمه ومكانته ، ويحتمل أن يذكره بمظلمته ، وما امتحن به بغير حق أو يذكره بهما)[6] .

(فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ) وفيمن أنساه الشيطان قولان مشهوران عند المفسرين :

القول الأول : أنسى الشيطان الساقي ذكر يوسف لسيده . واستدل لهذا القول بقوله تعالى : (وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ)[7]وعلى هذا إن الشيطان أنساه ذكر يوسف لسيده ولم يتذكر حال يوسف وما شاهده منه من العلم بتعبير الرؤيا إلا بعد

---

(١) سورة يوسف الآية (٤٢) .
(٢) سورة البقرة الآية (٤٦) .
(٣) انظر روح المعاني (٢٤٧/١٢) ، وانظر المحرر الوجيز (٥١٥/٧) .
(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٩٤/٩) . وانظر تفسير الطبري (٢٢٠/٧) .
(٥) زاد المسير (٢٢٧/٤) .
(٦) المحرر الوجيز (٥١٦/٧) .
(٧) سورة يوسف الآية (٤٥) .

مدة طويلة وحين بعيد ، وسمي الحين من الزمان أمة لأنه جماعة أيام ، والأمة الجماعة الكثيرة من الناس ، فالنسيان من مكائد الشيطان لئلا يخرج نبي الله يوسف من السجن فيدعو إلى توحيد الله ومقاومة الشرك ومطاردة وسواس الشيطان .

القول الثاني : أنسى الشيطان يوسف عليه السلام ذكر الله عز وجل وذلك بقوله للذي ظن أنه ناج منهما يذكره عند سيده ليكون ذلك سبباً لانتباهه على ما أوقعه من الظلم البين بالسجن بعد أن رأى من الآيات على براءته ، وذلك غفلة عرضت عليه السلام ، فإن الاستعانة بالمخلوق في دفع الضرر وإن كانت جائزة إلا إنه لما كان مقام يوسف عليه السلام أعلى المقامات ورتبته أعلى الرتب ، وهي منصب الرسالة والنبوة صار مؤاخذاً بهذا القدر . واستدل لهذا القول بقوله تعالى : (فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ) أنه في ذلك الوقت نسئ عليه السلام أن يشكو إلى الله ويستغيث به وجنح إلى الاعتصام بمخلوق فعوقب باللبث في السجن[1].

ومعنى البضع اختلفت الأقوال في تحديده قال الطبري : (والصواب في البضع من الثلاث إلى التسع إلى العشر ولا يكون دون الثلاث)[2] .

ويقول الطبري في تفسير هذه الآية : (وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن غفلة عرضت ليوسف عليه السلام من قبل الشيطان ، نسئ لها ذكر ربه الذي لو به استعان لأسرع بما هو فيه خلاصه ، ولكنه زلَّ بها فأطال من أجلها في السجن حبسه وأوجع لها عقوبته)[3] .

---

(١) انظر فتح البيان (٤٢٢/٣) وانظر زاد المسير (٢٢٧/٤) .
(٢) تفسير الطبري (٢٢٣/٧) وانظر التفسير المثير (٢٧١/١٢) وانظر زاد المسير (٢٢٧/٤).
(٣) تفسير الطبري (٢٢٠/٧ - ٢٢١) .

وذهب كثير من المفسرين إلى القول الأول : أن الذي أنساه الشيطان ذكر ربه هو الذي نجا من الغلامين وهو الساقي ، ولو أن الشيطان أنسى يوسف عليه السلام ذكر الله لما استحق العقاب باللبث في السجن إذ الناسي غير مؤاخذ .

وقد يجاب عن ذلك بأن النسيان قد يكون بمعنى الترك ، فلما ترك ذكر الله ، ودعاه الشيطان لذلك عوقب .

وأجيب عن هذا بقوله تعالى : (وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) فدلَّ على أن الناسي هو الساقي لا يوسف عليه السلام ، وأن الشيطان لا سبيل له على الأنبياء كما في قوله تعالى : (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ)[1] فكيف يصح أن يضاف نسيانه إلى الشيطان وليس له على الأنبياء سلطان ، وأجيب عن هذا بأن النسيان وقع من يوسف ، ونسبته إلى الشيطان على طريق المجاز ، والأنبياء غير معصومين عن النسيان إلا فيما يخبرون به عن الله سبحانه وتعالى ، فإنهم معصومون فيه ، وإذا وقع منهم النسيان حيث يجوز وقوعه فإنه ينسب إلى الشيطان إطلاقاً ، وذلك إنما يكون فيما أخبر الله عنهم ولا يجوز لنا نحن ذلك فيهم[2] .

وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (نسي آدم فنسيت ذريته وخطئ آدم فخطئت ذريته)[3] وقوله صلى الله عليه وسلم : (إنما أنا بشر أنسى كما تنسون) .

ومما تقدم من تناول المفسرين للنسيان في هذه الآية في سورة يوسف يتبين الآتي :

---

(١) سورة الحجر الآية (٤٢) .
(٢) انظر اللبان في علوم الكتاب (١١٠/١١) وانظر الجامع لأحكام القرآن (١٩٦/٩ ـ ١٩٧) وانظر فتح القدير (٣٤/٣) .
(٣) صحيح الجامع الصغير (٤٨/٥) ط : المكتب الإسلامي .

أن نسيان الذكر أثنين :

الأول : نسيان يوسف لذكر ربه ، وهو بمعنى نسيان الغفلة والذهول ، وقد فسر بالترك .

الثاني : نسيان الساقي ذكر أمر يوسف عند الملك ولم يتذكر إلا بعد مدة طويلة ، وهو بمعنى نسيان الغفلة أو الذهول ، الذي هو ضد الذكر .

يرجع اختلاف المفسرين إلى هذين القولين في عود الضمير في قوله تعالى : (فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ) والصواب أن الشيطان أنسى الذى نجا منهما ذكر ربه ، فإنه مطابق لقوله (اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ) قال تعالى : (فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ) والضمير يعود للقريب ، إذا لم يكن هناك دليل على خلاف ذلك ، لأن يوسف لم ينس ذكر ربه ، بل كان ذاكراً لربه .

وقد دعاهما قبل تعبير الرؤيا إلى الإيمان بربه وقال لهما :(يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ*مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ)[1].وقال لهما في العلم بالتأويل (ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ*وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ)[2] فبدأ بذكر ربه عز وجل ، فإن هذا مما علمه ربه ، لأنه ترك ملة قوم مشركين لا يؤمنون بالله ، واتبع ملة أبائه أئمة المؤمنين .

---

(١) سورة يوسف الآيات (٣٩ ـ ٤٠)

(٢) سورة يوسف الآيات (٣٧ ـ ٣٨) .

ثم عبر الرؤيا ولما قضى تأويل الرؤيا : (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ) فكيف يكون قد أنسى الشيطان يوسف ذكر ربه وإنما أنسى الشيطان الناجي ذكر ربه ، أي الذكر المضاف إلى ربه المنسوب إليه وهو أن يذكر عنده يوسف عليه السلام وقول من قال : كان الأولى أن يتوكل على الله ، ولا يقول اذكرني عند ربك ، فلما نسى أن يتوكل على ربه جوزي بلبثه في السجن.

ليس في قوله :(اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ) ما يناقض التوكل ، بل قال يوسف : (إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ) كما إن قول أبيه : (لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ) لم يكن مناقضاً لتوكله بل قال : (وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ)[1] .

أيضاً فيوسف قد شهد الله له أنه من عباده المخلصين ، والمخلص لا يكون مخلصاً مع توكله على غير الله ، فإن ذلك شرك ، ويوسف لم يكن مشركاً في عبادته ولا توكله ، بل قد توكل على ربه في فعل نفسه بقوله : (وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ)[2][3]

---

(١) سورة يوسف الآية (٦٧) .

(٢) سورة يوسف الآية (٣٣) .

(٣) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٢/١٥ ـ ١٤) جمع عبدالرحمن بن محمد بن القاسم ط : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ١٤١٦هـ /١٩٩٥م ، وانظر البحر المحيط (٣١٠/٥) .

المبحث الثاني

نسيان ما أتوا به

إن أعظم النعم من الله تعالى على بني الإنسانية نعمتان جليلتان وهما إرسال الرسل ، وإنزال الكتب الإلهية لإنقاذ الناس من ضلالاتهم ، والأخذ بأيديهم وتوجيههم نحو طريق السعادة والنجاة والطمأنينة في الدنيا والآخرة .

فجاءت رسل الله عز وجل بالهدى والرحمة للأمم على فترات من الزمان يتبع بعضهم بعضاً يبصرون الناس بنور الوحي يأمرون بعبادة الله وحده وينهون عن عبادة كل من سواه : (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)[1] ، يقيمون على الناس الحجة بما أيدهم الله به من المعجزات والآيات والبراهين ، كما يقول تعالى : (رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً)[2] ، يبلغون عن الله ما يأمر به من أوامر وشرائع وما ينهى عنه من نواهي ، مبشرين من آمن بالله وأطاع بالجنة ، وإنذار من كفر وعصى بالنار ، يرشدون إلى طريق الحق والإيمان والاستقامة ، ويقطع الله بهم احتجاج الناس ، فهو تعالى عزيز لا يغلبه شئ ، ولا حجة لأحد عليه فهو العزيز الحكيم .

فكان إرسال الرسل وإنزال الكتب مصدرها واحد ومهمتها واحدة ومقاصدها واحدة ، وهي إثبات وجود الله تعالى ووحدانيته والارشاد لعبادته الصحيحة المخلصة ، والدعوة

---

(١) سورة النحل الآية (٣٦) .
(٢) سورة النساء الآية (١٦٥) .

إلى أصول الأخلاق الكريمة والفضائل القويمة وتصحيح المعاملات وتنمية العلاقات الاجتماعية وجعلها سامية كريمة[1]

فبهذه المهام والمقاصد العظيمة جاءت رسل الله وأنبيائه إلى أممهم ، فقوبلوا بالتكذيب والإعراض والأذى فصبروا حتى أتاهم نصر الله : (فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ وَلَقَدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ)[2] .

ويبين الله تعالى أحوال الأمم مع الرسل : (ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاء أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضاً وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْداً لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ)[3]تأتي هذه الآية بعد إجمال يلخص تاريخ الدعوة ، ويقرر سنة الله الجارية في الأمد الطويل بين نوح وهود في أول السلسلة وموسى وعيسى في آخرها ، كلما جاء أمة رسولها كذبوه ، كلما كذب المكذبون أخذتهم سنة الله ، وتبقى العبرة لمن يعتبر تتناقلها القرون[4].

فالكفر والتكذيب شأن الأمم العصاة مع رسلهم مع أن كل رسول يأتي من الآيات ما يؤمن على مثله البشر ، ويدل على الحق الذي جاء به[5].

وعلى هذا جاء قصص القرآن الكريم يبين إعراض الأمم وتركها لما جاءت به الرسل من الكتب السماوية ، والتي فيها من العهود والمواثيق الدينية ما أكده اله تعالى بالوعد والوعيد .

---

(١) انظر التفسير الوسيط(٤١٣/١) .
(٢) سورة الأنعام الآية (٣٤) .
(٣) سورة المؤمنون الآية (٤٤) .
(٤) انظر في ظلال القرآن (٢٤٦٨/٤) ، وانظر اللباب في علوم الكتاب (٢٢٠/١٤) .
(٥) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص : (٥٠١)

وإن من أعظم ما بينه الله تعالى في هذا ما جاء مبيناً في شأن أهل الكتاب من اليهود والنصارى ونقضهم العهود والمواثيق وإهمالهم وتحريفهم وتبديلهم لما جاءهم من التوراة والإنجيل ، فأضاعوها فضاعت هويتهم الدينية .

ومما أخذه الله عليهم من العهد والميثاق بقوله تعالى (وَلَقَدْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَقَالَ اللّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ)[1] .يخبر الله تعالى بما أخذه من العهود والمواثيق على بني إسرائيل بواسطة نبيهم موسى عليه السلام ليعملن بالتوراة ، وأمره أن يختار أثني عشر نقيباً ، أي رئيساً على من تحته ليكون ناظراً عليهم حاثاً لهم على القيام بما أمروا به مطالباً يدعوهم ، ويبحث عن شؤنهم[2].

وقال الله : (إِنِّي مَعَكُمْ) أي ذلك لبنى إسرائيل وقيل للنقباء وهو الأولى ، والمعنى أني معكم بالنصر والعون ما دمتم محافظين على الميثاق ، وهو راءٍ لأفعالهم سميع لأقوالهم عليم بضمائرهم ، وقادر على مجازاتهم ، وهذا وعد بالجزاء على الوفاء بالميثاق[3] .

ومضمون الميثاق أو العهد الإلهي الشامل الذي هو شرط في حصول وعد الله تعالى .

---

(١) سورة المائدة الآية (١٢) .
(٢) انظر تفسير المراغي (٧٣/٦) ، وانظر التفسير الوسيط (٤٤٠/١) .
(٣) فتح البيان (٢٣١/٢) ، وانظر تفسير المراغي (٧٣/٦) .

(لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ) وإقامة الصلاة لا مجرد أداء الصلاة ، إقامتها على أصولها التي تجعل منها صلة حقيقية بين العبد والرب ، وعنصراً تهذيبياً وتربوياً وفق المنهج الرباني القويم ، وناهياً عن الفحشاء والمنكر حياءً من الوقوف بين يدي الله. (وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ) اعترافاً بنعمة الله في الرزق ، وملكيته ، وطاعة له بالتصرف في هذا المال ، تحقيقاً للتكافل الاجتماعي الذي على أساسه تقوم حياة المجتمع المؤمن ، وإقامة لأسس الحياة الاقتصادية على المنهج الذي يكفل الا يكون المال دولة بين الأغنياء[1].

(وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ) نصرتموهم ووقرتموهم وعظمتموهم[2] وفي تأخير الإيمان عن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة مع كونها من الفروع المترتبة عليه لما أنهم كما قال غير واحد من المفسرين ، كانوا معترفين بوجوبهما حسبما يراد منهم مع ارتكابهم تكذيب بعض الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وأنه لا بد من الإيمان بجميع الرسل حتى يحصل المقصود ، وإلا لم يكن لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة تأثير في حصول النجاة بدون الإيمان بجميع الرسل[3]

(وَأَقْرَضْتُمُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً) يعني بذلك الصدقات طيبة بها نفوسهم تبتغون بها وجه الله[4].

وهذه هي خمسة شروط تضمنها هذا العهد الشامل .

فأما الجزاء ، فهو تكفير السيئات وجنات تجري من تحتها الأنهار فجمع لهم بين حصول المحبوب بالجنة وما فيها من النعيم ، واندفاع المكروه بتكفير السيئات ، ورفع ما يترتب عليها من عقوبات[1] .

---

(١) في ظلال القرآن (٨٥٧/٢ ـ ٨٥٨)
(٢) تفسير البغوي (٢١/٢) ، والمحرر الوجيز (٣٨٥/٤) .
(٣) انظر روح المعاني (٨٧/٦ ـ ٨٨) ، وانظر اللباب في علوم الكتاب (٢٥٠/٧) وانظر فتح البيان (٢٣١/٢) .
(٤) الجامع لأحكام القرآن (١١٤/٦) ، وانظر البحر المحيط (٤٦٠/٣) .

وبعد هذا يأتي شرطاً جزائياً في الميثاق : (فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ) .

يقول ابن كثير في تفسيرها فمن خالف هذا الميثاق بعد عقده وتوكيده وشدِّه ، وجحده وعامله معاملة من لم يعرفه فقد أخطأ طريق الحق ، وعدل عن الهدى إلى الضلال[٢].

ذلك كان ميثاق الله مع نقباء بني إسرائيل عمن وراءهم ، وقد ارتضوه جميعاً ، وصار ميثاقاً مع كل فرد فيهم ، وميثاقاً مع الأمة المؤلفة منهم فماذا كان من بني إسرائيل .

يبين الله تعالى بأنهم لم يوفوا بهذا العهد فجازاهم على سوء صنيعهم فقال : (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)[٣]

يبين الله تعالى أنهم ضلوا ونقضوا هذا العهد والميثاق فطردوا من طريق الرحمة ومنهاج الاستقامة .

(فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً) فبسبب نقضهم الميثاق الذي أخذ عليهم لعناهم أي أبعدناهم عن الحق وطردناهم عن الهدى ، وجعلنا قلوبهم قاسية فلا يتعظون بموعظة لغلظها وقساوتها[٤] .

---

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن ص : (١٨٧)
(٢) تفسير القرآن العظيم (٤٧/٢) .
(٣) سورة المائدة الآية (١٣) .
(٤) تفسير القرآن العظيم (٤٧/٢) .

حلت عليهم لعنة الله ، ونزل فيهم داء قسوة القلب ، إن من يطرد من رحمة الله تنزع من قلبه الرحمة ، فيكون قاسي القلب غليظه ، لا يلين بعاطفة نبيلة ولا يتأثر بدعوةحق ورشد أو خير وفضيلة[1] .

وكان من جراء فعلهم لقساوة قلوبهم (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ) هذا بيان لمرتبة قساوة قلوبهم فإنه لا مرتبة أعظم مما يصحح الاجتراء على تغير كلام الله عز وجل ، والافتراء عليه ، وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار[2] .

كانت هذه الجرأة منهم على كلام الله تعالى ثمرة لقسوة القلوب والطرد بالضلال وذلك لأنهم لما ضلوا فسدت قلوبهم واختلط فيها الزيف بالجوهر حتى غلب الزيف وماتت ضمائرهم ، وصاروا كذابين يكذبون على الله تعالى وعلى الناس ، فيغيرون معاني التنزيل ، ويزيدون فيه وينقصون على حسب هواهم وشهواتهم وارتكبوا بهتاناً عظيماً[3].

فصار الطابع الأصيل فيهم تحريف الكلم عن مواضعه بتحريف كتابهم أولاً عن صورته التي أنزلها الله على موسى عليه السلام إما بإضافة الكثير إليه مما يتضمن أهدافهم الملتوية ويبررها بنصوص من الكتاب مزورة ، وإما بتفسير النصوص الأصلية الباقية وفق الهوى والمصلحة والهدف الخبيث[4].

فكان تحريفهم لكلام الله تعالى بالآتي :

١/ التأويلات الباطلة والتفسيرات الفاسدة ، وذلك بحسب أهوائهم وشهواتهم وإرضاءً لقادتهم ورؤسائهم وكبرائهم .

---

(١) انظر مكائد اليهود عبر التاريخ ص : (٤١٥) عبدالرحمن حبنكة الميداني ، ط : دار القلم - دمشق ، الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م .
(٢) انظر تفسير أبي السعود (١٨/٢) ، وانظر روح المعاني (٨٩/٦) .
(٣) انظر زهرة التفاسير (٢٠٧٩/٤) .
(٤) انظر في ظلال القرآن (٨٥٩/٢) .

٢/ تبديل ألفاظ بألفاظ أخرى لتعطى معاني توافق ما يريدون ، على خلاف المعنى المراد منها .

٣/ الزيادة على النص المنزل ، ليعطي دلالة توافق ما يريدون .

٤/ النقص من النص المنزل ليعطي دلالة توافق ما يريدون[١] .

(وَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ) يقول ابن عطية في تفسير هذه الآية نص على سوء فعلهم بأنفسهم أي : قد كان لهم حظ عظيم فيما ذكروا به فنسوه وتركوه)[٢] .

ويقول ابن عاشور : (والنسيان المراد به الإهمال المفضي إلى النسيان غالباً ، وعبر عنه بالفعل الماضي لأن النسيان لا يتجدد ، فإذا حصل مضى حتى يذكّره مذكّر ، وهو ما إذا كان مراداً به الإهمال فإن في صوغه بصيغة الماضي ترشيحاً للاستعارة أو الكناية لتهاونهم بالذكرى)[٣].

ومما تقدم نجد أن نسيانهم بمعنى الترك أو الغفلة ، وهذا نتاج قسوة قلوبهم ، وسوء فعلهم الذي شوهوا به التوراة حتى أنحذف ذكره عن قلوبهم .

فإنهم قد ذكروا بالتوراة ، وبما أنزل على موسى ، فنسوا حظاً منه ، وهذا شامل لنسيان علمه وأنهم نسوه ، وضاع عنهم ، ولم يوجد كثيراً مما أنساهم الله إياه عقوبة منه لهم .

وشامل لنسيان العمل ، الذي هو الترك فلم يوفقوا للقيام بما أمروا به ويستدل بهذا على أهل الكتاب ، بإنكارهم لبعض الذي ذكر في كتابهم ، أو وقع في زمانهم أنه مما نسوه[٤].

---

(١) انظر مكائد يهودية ص : (٤١٦) .
(٢) المحرر الوجيز (٣٨٨/٤) .
(٣) التحرير والتنوير (٦٢/٥) .
(٤) تيسير الكريم الرحمن ص : (١٨٨)

فكان نسيانهم على نحو ما تقدم شاملاً لترك العلم والعمل بما جاءهم من العهد والميثاق ، أي : تركوا العمل بأصول دينهم رغبة عنه .

وأورد الطبري عن الحسن في قوله تعالى : (وَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ) قال : (تركوا عرى دينهم ، ووظائف الله جل ثناؤه التي لا تقبل الأعمال إلا بها)[1].

ومما لا يقبل الله تعالى الأعمال إلا به الإيمان فقد تركوا عهد الله الذي أخذه الأنبياء عليهم من الإيمان بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد جاءهم نعته وصفته ، أي تركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الإيمان به صلى الله عليه وسلم[2].

فبتركهم هذه العهود والمواثيق نسوا كتابهم ، وتركوا العمل به فصاروا إلى أحوال ردئية فلا قلوب سليمة ، ولا فطر مستقيمة ولا أعمال قويمة[3] .

(وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) .

هذا خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم يصور حال اليهود في المدينة فهم لا يكفون عن محاولة خيانة الرسول صلى الله عليه وسلم ، بل كان هذا حالهم في الجزيرة العربية ، وما يزال هذا حالهم في المجتمع الإسلامي على مدار التاريخ ، فهم يتوارثون هذه الصفات عن أسلافهم ويرى فيهم طائفة منهم وإن تباعدت الأزمان ، وإذا تخالفت الشخوص لا تتخالف الصفات[4].

وقد جمعت هذه الآية من الدلائل على قلة إكتراثهم بالدين ورقة إتباعهم ثلاثة أصول من ذلك :

---

(١) تفسير الطبري (٤٩٧/٤) .
(٢) انظر تفسير البغوي (٢١/٢) .
(٣) انظر التفسير المنير (١٢٨/٦) .
(٤) انظر في ظلال القرآن (٨٥٩/٢) وانظر زهرة التفاسير (٢٠٨١/٤) .

١/ وهي التعمد إلى نقض ما عاهدوا عليه من الامتثال .

٢/ الغرور بسوء التأويل .

٣/ والنسيان الناشئ عن قلة تعهد الدين وقلة الاهتمام به[١] .

هذا وغيره مما جاء به القرآن الكريم في مواضع كثيرة يبين ترك اليهود العهود والمواثيق ، وما ذكروا به من الحق ، فشأنهم الخيانة في جرأة شنيعة على الله تعالى والتآمر على أنبيائه ورسله وسائر دعاة الحق ، فمن نقض عهد الله وميثاقه فكيف يرجى منه وفاء ؟ وكيف يطمع منه في أمانة ؟

وأما النصارى فقد أخذ الله ميثاقهم في قوله تعالى : (وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ)[٢] أخبر تعالى أنه أخذ من النصارى ميثاقهم كما أخذ من اليهود .

وقوله تعالى : (وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ) أي : أخذنا ميثاقهم في التوحيد والإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به .

وقوله (وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى) ولم يقل من النصارى للإخبار بأنهم كاذبون في دعواهم النصرانية وأنهم أنصار الله ، ولأنهم الذين ابتدعوا هذا الاسم وسموا به أنفسهم لا أن الله سماهم به[٣] .

وقولهم إنا نصارى يقتضي نصر دين الله ، سموا به أنفسهم دون استحقاق ولا مشابه بين قولهم وفعلهم فجاءت هذه العبارة إنا نصارى موبخة لهم . مزحزحة عن طريق نصر دين الله وانبيائه[١]

---

(١) التحرير والتنوير (٦٢/٥) .
(٢) سورة المائدة الآية (١٤) .
(٣) فتح البيان (٢٣٣/٢) .

(فَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ) وذلك الحظ هو الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وتنكير الحظ يدل على أن المراد به حظ واحد وهو الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما خص بالذكر مع أنهم تركوا كثيراً مما أمرهم به لأن هذا هو المهم الأعظم[٢] .

ويقول السيوطي . رحمه الله . : في تفسيرها : (نسوا كتاب الله بين أظهرهم ، وعهد الله الذي عهد إليهم ، وأمر الله الذي أمرهم به ، وضيعوا فرائضه)[٣] .

فهذا كان ميثاق الله وعهده إليهم فنقضوه فكان الجزاء من الله (فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) عاقبهم الله بإلقاء العداوة والبغضاء لبعضهم بعضاً ، لا يزالون كذلك إلى قيام الساعة .

وطوائف النصارى على اختلاف أجناسهم لا يزالون متباغضين متعادين يكفر بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً فكل فرقة تحرم الأخرى ولا تدعها تدخل معبدها ، وكل طائفة تكفر الأخرى[٤] .

فيما تقدم من إخبار الله تعالى لنا أمة النبي صلى الله عليه وسلم ما حدث من اليهود والنصارى من تركهم لكتبهم وما أمروا به عبرة لنا ألا نحذوا حذوهم ، وأن نعلم أن نقض ميثاق الله من أية أمة يسبب لها مثل ذلك في سنة الله ، فسنة الله في عباده واحد ونأخذ من هذا أن ترك الدين وعدم الأخذ بالأوامر والنواهي سبب للعداوة والبغضاء ، كما أن الأخذ بالدين والعمل بتطبيق الأوامر والنواهي تجتمع به القلوب والأجساد وتطيب به الحياة في الدنيا والآخرة .

---

(١) المحرر الوجيز (٣٨٩/٤ ـ ٣٩٠) .
(٢) اللباب في علوم الكتاب (٢٥٧/٧) وانظر فتح البيان (٢٣٣/٢) .
(٣) الدرر المنثور (٢٣٥/٥) .
(٤) تفسير القرآن العظيم (٤٧/٢ ـ ٤٨) .

دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	النسيان في ضوء القرآن الكريم : دراسة موضوعية
المؤلف الرئيسي:	أحمد، أحمد الحاج حسن
مؤلفين آخرين:	عبد القادر، الطاهر أحمد(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2006
موقع:	أم درمان
الصفحات:	1 - 203
رقم MD:	561514
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة أم درمان الاسلامية
الكلية:	كلية أصول الدين
الدولة:	السودان
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	علوم القرآن، السور والآيات، النسيان في القرآن
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/561514

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الفصل الخامس : النسيان والتكليف

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : تعريف التكليف

المبحث الثاني : النسيان المرفوع

المبحث الثالث : نسيان التكليف

الفصل : الخامس
النسيان والتكليف

المبحث الأول
تعريف التكليف

التكليف لغة : هو الأمر بما يشق عليك ، والمتكلَّف العَّريض لما لا يعنيه ، وحملته تكْلِفَةً إذ لم تطقه إلا تكّلُفاً[١] .

وفي الاصطلاح : إلزام تكلفة على المخاطب[٢].

والتكليف شرعاً : هو الخطاب بأمر أو نهي[٣] .

فيتناول الأحكام الخمسة : الواجب والندب الحاصلين عن الأمر والحظر والكراهة الحاصلين عن النهي والإباحة الحاصلة عن التخيير إذا قلنا أنها من خطاب الشرع[٤].

والمكلف هو : العاقل المخاطب ، فلا تكليف على صبي ولا مجنون .

ومن شروط المكلف العقل وفهم الخطاب ، أي يكون عاقلاً يفهم ولا بد منهما جميعاً ، إذ لا يلزم العقل فهم الخطاب ، لجواز أن يكون عاقلاً لا يفهم الخطاب كالصبي والناسي والسكران والمغمى عليه فإن عدم الفهم في هؤلاء مختلف فالصبي والمجنون لا يدركان معنى كلام الشرع فالصبي لأن عقله الذي يفهم به لم يكتمل بحيث يقوى على الإدراك ، وأما المجنون فبعارض قهري وكذلك السكران ، إن الناسي يخالف هؤلاء كلهم في السبب والمسبب ، لأن عدم سبب فهمه عارض ضروري خفيف أخف من جميع الأسباب لأنه يذكر بكلمة فيتذكر ، أما في المسبب وهو عدم الفهم ، والمراد به انقطاع اتصال ذكره للتكليف فقط بحيث لو سها عن الصلاة فقيل له صل ، أو أقم الصلاة ونحو ذلك سمع وفهم[٥] .

---

(١) انظر القاموس المحيط للفيروز آبادي (٢٧٨/٣) ، ط : دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الأولى ١٩٩١م /١٤١٢هـ .

(٢) التعريفات للجرجاني ص : (٤٨) .

(٣) روضة الناظرين لابن قدامة المقدسي ص : (٤٨) ط : دار الكتاب العربي الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ /١٩٩٢م

(٤) شرح الكوكب المنير للعلامة محمد بن أحمد بن عبدالعزيز المعروف بابن النجار (٤٨٣/١) نشر مكتبة العبيكان ١٤١٨هـ /١٩٩٧م تحقيق د. محمد الزحيلي و د. نزيه حماد .

(٥) انظر مختصر الروضة لنجم الدين أبي الربيع سليمان بن عبدالقوي بن عبدالكريم بن سعيد الكوفي (١٨٠/١ ـ ١٨٩) ، تحقيق د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، توزيع الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية الطبعة الثانية ١٤١٩هـ /١٩٨٨م .

فالناسي غير مكلف حال النسيان لأن الإتيان بالفعل على وجه الامتثال يتوقف على العلم بالفعل المأمور به ، ولأن الامتثال عبارة عن إيقاع المأمور على وجه الطاعة ويلزم من ذلك علم المأمور به بتوجه الأمر نحوه ، فهو مستحيل عقلاً لعدم الفهم وهذا متحقق في الناسي فكان كافياً في إسقاط التكليف عن الناسي .

وأما ما يثبت له من أحكام الغرامات عن الجنايات التي أرتكبها حال النسيان هذا ليس من باب التكليف ، بل من باب ربط الحكم بالسبب كوجوب الضمان ببعض أفعال البهائم[1] .

(١) انظر شرح الكوكب المنير (٥١١/١) .

المبحث الثاني
النسيان المرفوع

إن من لطف الله تعالى بعباده ورحمته ورأفته بهم أنه تعالى لم يكلفهم من التكليف ما ليس في وسعهم وطاقتهم كما بقول تعالى : (لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا)[1].

قوله تعالى (لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا) تتضمن أن جميع ما كلفهم به أمراً ونهياً فهم مطيعون له قادرون عليه ، وأنه لم يكلفهم ما لا يطيقون[2] .

يقول ابن عطية في تفسيرها : (خبر حزم نص على أنه لا يكلف العباد من وقت نزول هذه الآية عبادة من أعمال القلب أو الجوارح إلا وهي في وسع المكلف ، ومقتضى إدراكه وبنيته)[3] .

(لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) .

يقول ابن عاشور في تفسيرها : (حال من نفساً لبيان كيفيته الوسع الذي كلفت به النفس ، وهو أنه إن جاءت بخير كان نفعه لها ، وإن جاءت بشر كان ضره لها)[4] ، وفيما تقدم لعدم بيان أن ثمرة هذا التكليف عائده عليهم ، وفيه أيضاً أن نفساً لا تعذب باكتساب غيرها ، ولا تثاب به ، وفي ذلك قوله تعالى : (وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى)[5] ، (وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)[6][7].

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٨٩)
(٢) انظر دقائق التفسير لابن تيمية (٢٦٦/١) .
(٣) المحرر الوجيز (٥٣٩/٢) .
(٤) التحرير والتنوير (٥٩٩/٢) .
(٥) سورة النجم الآية (٣٩) .
(٦) سورة الأنعام الآية (١٦٤) .
(٧) دقائق التفسير (٢٦٦/١) .

ويتجلى لطف الله بعباده في أنه لم يجعل عليهم في التكليف ضيقاً ولا حرجاً ولا مشقة ، وفي هذا المعنى من الآية يجري قوله تعالى : (يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ)[1]وقوله تعالى : (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ)[2] وقوله تعالى : (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ)[3].

وما كلف الله به العباد عهود ووصايا ، وأوامر تجب مراعاتها والمحافظة عليها ، وأن لا يخل بشئ منها ، ولكن غلبت الطباع البشرية تأبى إلا النسيان والخطأ والضعف والتقصير فأرشدهم الله تعالى إلى أن يسألوه العفو والمسامحة في ذلك كله بقولهم : (رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا...)[4] .

ويأتي هذا الدعاء بعد أن قرر الله تعالى لعباده المؤمنين أنه لايكلف نفساً إلا وسعها ولقنهم هذه المناجاة بدعوات هي من آثار انتفاء التكليف بما ليس في الوسع[5] .

وقد استجاب الله تعالى دعاء المؤمنين بهذه الدعوات التي أنزلها إليهم ولقنهم إياها كما جاء في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (قال الله نعم)[6] ، أورد ابن عطية في تفسيره عن السدي أنه قال : (لما نزلت هذه الآية فقالوها قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم : (قد فعل الله لهم ذلك يا محمد)[7]، يقول الطبري . رحمه الله . في تفسير هذا الدعاء : (قولوا ربنا لا تؤاخذنا أن نسينا أو أخطأنا شيئاً فرضت علينا عمله فلم نعمله ، أو أخطأنا في فعل شئ نهيتنا عن فعله ففعلناه على غير قصدٍ منا إلى معصيتك ، ولكن على جهالة منا وخطأ)[8]

---

(١) سورة البقرة الآية (١٨٥)
(٢) سورة الحج الآية (٧٨)
(٣) سورة التغابن الآية (١٦) .
(٤) انظر دقائق التفسير (٦٧/١) .
(٥) انظر التحرير والتنوير (٦٠١/٢) .
(٦) رواه مسلم كتاب الإيمان باب بيان تجاوز الله تعلى عن حديث النفس والخواطر بالقلب ، ح (١٢٥)
(٧) المحرر الوجيز (٥٤٥/٢) .
(٨) تفسير الطبري (١٥٥/٣) .

أي لا تؤاخذنا بإثم ما يصدر منا في هذين الأمرين[1] .

وفي النسيان وجهان :

الأول : أن المراد بالنسيان الترك : وهو الذي يكون من العبد على وجه التضييع والتفريط فهو ترك لما أمر بفعله ، فذلك الذي يرغب العبد إلى الله عز ووجل في تركه مؤاخذته به ، وهو النسيان الذي عاقب الله عز وجل به آدم صلوات الله وسلامه عليه ، وهو النسيان الذي قال الله جل ثناؤه : ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَاء يَوْمِهِمْ هَـذَا﴾[2] .

وهذا النسيان لا يكون العبد به معذوراً لتركه التحفظ وإعراضه عن أسباب التذكر ، فهذا الذي يصح طلب غفرانه بالدعاء ، ومثل ذلك من تغافل عن الدرس والتكرار حتى نسي القرآن يكون ملوماً كمن رأى في ثوبه دماً فأخر إزالته حتى نسيه فصلى وهو على ثوبه كان مقصراً إذ كان يلزمه المبادرة إلى إزالته .

الثاني : أن المراد النسيان الذي هو ضد الذكر : وهو الذي يكون على وجه عجز الناسي عن حفظ ما استحفظ ووكل به وضعف عقله عن احتماله ومراعاته ، فإن ذلك من العبد غير معصية وهو به غير آثم فذلك الذي لا وجه لمسألة العبد ربه أن يغفره له ، لأنه مسألة منه أن يغفر له ما ليس له بذنب ، وذلك مثل الأمر يغلب عليه وهو حريص على تذكره ، كالرجل يحرص على حفظ القرآن بجد منه فيقرأه ثم ينساه بغير تشاغل منه بغيره عنه ، ولكنه يعجز ببنيته عن حفظه وقلة احتمال عقله ما أودع قلبه منه ، وما أشبه ذلك من النسيان فإن ذلك مما لا تجوز مسألة الرب مغفرته لأنه لا ذنب للعبد فيه فيغفر له باكتسابه[3] .

---

(١) فتح البيان (١٦٤/٢) .
(٢) سورة الأعراف الآية (٥١) .
(٣) تفسير الطبري (١٥٥/٣- ١٥٦) ، وانظر اللباب في علوم الكتاب (٥٣٦/٤ ـ ٥٣٧) وانظر البحر المحيط (٣٨٢/٢ ـ ٣٨٣) ..

ويتبين مما تقدم أن النسيان المرفوع به الإثم وغير مؤاخذاً به العبد هو النسيان الغالب على الإنسان من ضعفه البشري مع حرصه وبذل جهده على الحفظ والتحفظ والتذكر بجد وعدم تشاغل ، ويحصل منه خارجاً عن إرادته وطاقته لا من تضييع وتفريط أو تقصير ، وما كان على نحو ذلك من النسيان فهو موضوع عن العبد وليس مأمور في الدعاء ألا يؤاخذ به .

ويقول ابن عطية في تفسيره مرجحاً ذلك ، وذهب كثير من العلماء أن الدعاء في هذه الآية إنما هو في النسيان الغالب والخطأ الغير مقصود وهذا الصحيح عندي[1].

فالدعاء في هذه الآية دل على رفع الإثم حال النسيان والخطأ .

يقول القرطبي في ذلك : (وهذا لم يختلف فيه أن الإثم مرفوع ، وإنما يختلف فيما يتعلق على ذلك من الأحكام ، هل ذلك مرفوع لا يلزم من شئ أو يلزم أحكام ذلك كله ؟ اختلف فيه ، والصحيح أن ذلك يختلف بحسب الوقائع ، فقسم لا يسقط باتفاق كالغرامات والديات والصلوات المفروضات ، وقسم يسقط باتفاق كالقصاص والنطق بكلمة الكفر ، وقسم ثالث يختلف فيه كمن أكل ناسياً في رمضان أو حنث[2] ساهياً ، وما كان مثله مما يقع خطأ ونسياناً ويعرف ذلك في الفروع)[3] .

ويؤخذ من كلامه . رحمه الله . أن رفع الإثم بالنسيان والخطأ لا ينافي أن يترتب على ذلك أحكام وحقوق ثابتة تلزم الناسي وتختلف بحسبها ، كما يؤخذ على ضوء ما تقدم ضوابط للنسيان المرفوع :

١/ لا يعتبر النسيان عذراً في حقوق العباد لأنها مبنية على المشاحة والمقاضاة فيترتب على ذلك الغرامات والديات والضمانات .

٢/ حقوق الله سبحانه وتعالى مبنية على العفو والمسامحة وهي تتمثل في جانب العبادات والقربات ، فإذا وقع النسيان فيها سواءً كان بترك مأمور أم بترك محظور فإن

---

(١) المحرر الوجيز (٥٤٥/٢)

(٢) حنث : الحنث في اليمين نقضها والنكث فيها ، انظر لسان العرب لبن منظور (١٠١٨/٢)

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٤٣٢/٣) .

الإثم مرفوع ، وكذلك ما يترتب عليه من عقاب أخروي لأنه مبني على القصد والنية ، والناسي لا قصد له فلا إثم عليه .

٣/ يكون النسيان مرفوعاً في حقوق الله إذا كان هذا الحق غير قابل للتدارك ، وأما إذا كان قابل للتدارك فلا يسقط بالنسيان ، لأن مقصود الشارع مصلحته ، فمثال ما يمكن تداركه قوله صلى الله عليه وسلم : (من نام عن صلاة أو نسي فليصلها متى ذكرها لا كفارة لها إلا بذلك)[١]وقوله صلى الله عليه وسلم : (من أكل أو شرب ناسياً فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه)[٢] ، مثال ما لا يمكن تداركه صلاة الجمعة والجهاد .

٤/ أن لا يكون جانب التقصير ظاهر من المكلف ، يقول الرازي . رحمه الله في تفسيره : (إن الإنسان ، إذا تغافل عن الدرس والتكرار حتى نسي القرآن يكون ملوماً ، وإذا واظب على القراءة ولكنه بعد ذلك نسي فهاهنا يكون معذوراً)[٣][٤].

وقد استشكل هذا الدعاء جماعة من المفسرين وغيرهم قائلين إن الخطأ والنسيان مغفوران غير مؤاخذ بهما فما معنى الدعاء بذلك فإنه من تحصيل الحاصل .

وأجيب عن ذلك بأن المراد طلب عدم المؤاخذة بما صدر عنهم من الأسباب المؤدية إلى النسيان والخطأ من التفريط وعدم المبالاة لا من نفس النسيان والخطأ فإنه لا مؤاخذة بهما كما يفيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان ...) وقيل يجوز للإنسان أن يدعو بحصول ما هو حاصل له قبل الدعاء لقصد استدامته .

وقيل أنه وإن ثبت شرعاً أنه لا مؤاخذة بهما فلا امتناع في المؤاخذة بهما عقلاً.

وقيل لأنهم كانوا على جانب عظيم من التقوى بحيث لا يصدر عنهم الذنب تعمداً وإنما يصدر عنهم خطأ أو نسياناً فكأنه وصفهم بالدعاء بذلك إذاناً بنزاهة ساحتهم

---

(١) رواه البخاري كتاب مواقيت الصلاة باب من نسي صلاة فليصل إذا ذكر ، ح (٥٩٧) .
(٢) رواه البخاري كتاب الصوم باب الصائم إذا أكل أو شرب ناسياً ح (١٩٣٣) .
(٣) التفسير الكبير (١٤٤/٧)
(٤) مجلة التوحيد العدد الثامن السنة الثانية والثلاثون شعبان ١٤٢٤هـ

عما يؤاخذون به ، كأنه قيل إن كان النسيان والخطأ مما يؤاخذون به فما منهم سبب المؤاخذة إلا الخطأ والنسيان .

وقيل أن المقصود من الدعاء إظهار التضرع إلى الله تعالى لا طلب الفعل ، لذلك فإن الداعي كثيراً ما يدعوا بما يقطع بأن الله تعالى يفعله سواءً دعا أو لم يدع قال تعالى : (قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ)[1] وقوله تعالى : (رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[2] وقالت الملائكة في دعائهم (فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ)[3] فكذا في هذه الآية العلم بأن النسيان مغفور لا يمنع من حسن طلبه في الدعاء .

وقيل أن مؤاخذة الناسي غير ممتنعة عقلاً ، وذلك لأن الإنسان إذا علم أنه بعد النسيان يكون مؤاخذاً فإنه بخوف المؤاخذة يستديم الذكر ، فحينئذ لا يصدر عنه ، إلا أن استدامة الذكر فعل شاق على النفس فلما كان ذلك جائز في العقول ، لا جرم حسن طلب المغفرة منه بالدعاء[4]

---

(١). سورة الأنبياء الآية (١١٢) .
(٢) سورة آل عمران الآية (١٩٤) .
(٣) سورة غافر الآية (٧) .
(٤) فتح البيان (١٦٤/٢ ـ ١٦٥) ، والتفسير الكبير (١٤٤/٧ ـ ١٤٥) ، اللباب في علوم الكتاب (٥٣٧/٤) والبحر المحيط (٣٨٣/٢) وفتح القدير (٣٤١/١) .

المبحث الثالث
نسيان التكليف

المطلب الأول : دخوله تحت النهي

النهى في اللغة : ضد الأمر و(أنهاه) عن كذا ينهاه (نهياً) و(انتهى) عنه و(تناهى) أي كف و(تناهوا) عن المنكر أي نهى بعضهم بعضا ويقال انه لأمور بالمعروف (نهوٌ) عن المنكر على فعول و(النُّهية) بالضم واحدة (النُّهى) وهى العقول تنهى عن القبيح[١]

وفي الاصطلاح : ضد الأمر ، وهو قول القائل لمن دونه لا تفعل[٢] .

وعند الأصوليين هو: القول الإنشائي الدال على طلب كف عن فعل على جهة الاستعلاء فخرج الأمر لأنه طلب فعل غير كف و خرج الالتماس والدعاء لأنه لا استعلاء فيهما

وذهب الجمهور أن معنى النهي الحقيقي هو التحريم ، ويرد فيما عداه مجازا كما في قوله صلى الله عليه وسلم : (لا تصلوا في مبارك الإبل)[٣] ، فإنه للكراهة وكما في قوله تعالى : (رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا...)[٤] فإنه للدعاء وكما في قوله تعالى : (لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء...)[٥] فإنه للإرشاد وكما في قوله تعالى : (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ)[٦] فإنه للتحقير ، وكما في قوله تعالى : (وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً)[٧] ، فإنه لبيان العاقبة وكما في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ

---

(١) مختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر عبدالقادر الرازي ص : (٣٢٠ ـ ٣٢١) ، ط : المكتبة العصرية بيروت الطبعة الثانية ١٤١٧هـ /١٩٩٦م .

(٢) التعريفات للجرجاني ص : (١٧٠) .

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة باب النهي عن الصلاة في مبارك الإبل ح (٤٩٣) من حديث البراء بن عازب ص : (٨١) ، ط : دار السلام ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م ، وصحيح سنن أبي داود ح (٤٦٤) (٩٧/١) .

(٤) سورة آل عمران الآية (٨) .

(٥) سورة المائدة الآية (١٠١) .

(٦) سورة طه الآية (١٣١) .

(٧) سورة إبراهيم الآية (٤٢) .

مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)[1] فإنه للتأييس وكما في قول السيد لعبده الذي لم يتمثل لأمره : لا تتمثل أمري فإنه للتهديد وكما في قولك لمن يساويك: لا تفعل فإنه للالتماس[2]

ومما ورد النهى عنه في القران الكريم النسيان كما في قوله تعالى : (وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلاَّ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)[3] هذه الآية في الرجل يتزوج المرأة وقد سمى لها صداقا ثم يطلقها قبل أن يمسها (والمس الجماع) فلها نصف صداقها ليس لها أكثر من ذلك إلا إن يتركن ويصفحن أو يعفو وليها[4]

وقوله (وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) في ذلك إشارة إلى وجوب التسامح والتعاطف في وقت ذلك الافتراق ، وإلى أنه تجب الرحمة وقت الانفصال ، ولذلك صرح سبحانه بأن العفو : أي الترك لبعض الحقوق في ذلك الوقت ، أقرب لتقوى الله تعالى وأدنى إلى رضاه ، لكي يكون الافتراق بمفرده ، ولا تكون مشاحة تدفع إلى المشادة ثم إلى الخصومات التي تورث العداوة وتستمر الأحقاد بين الأسرتين وتكون الفتن والمحن[5] .

وكان عفو بعضهم عن بعض أقرب إلى حصول التقوى .

كما بين الإمام الرازي لوجهين :

الأول : أن من سمح بترك حقه فهو محسن ، ومن كان محسناً فقد استحق الثواب ، ومن استحق الثواب نفى بهذا الثواب ما هو دونه من العقاب وأزاله .

---

(١) سورة التحريم الآية (٧)

(٢) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني (٢٧٨/١ ـ ٢٧٩) ، ط : دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الثانية ١٤٢١هـ /٢٠٠٠م

(٣) سورة البقرة الآية (٢٣٧) .

(٤) انظر التفسير الصحيح موسوعة الصحيح الميسور في التفسير بالمأثور (٣٥٧/١ ـ ٣٥٨) .

(٥) انظر المحرر الوجيز (٣٢٧/٢) .

الثاني : أن هذا الصنيع يدعو إلى ترك الظلم الذي هو التقوى في الحقيقة ، لأن من سمح بحقه وهو له معرض تقرباً إلى الله تعالى أبعد من أن يظلم غيره بأخذ ما ليس له بحق[1] .

ولما كان وقت الطلاق بين الزوجين غالباً ما يسود فيه الغضب الذي يستولى على مشاعر النفوس فيجعلها لا تتذكر العطف على بعضهم بعضاً يذكرهم الله سبحانه وتعالى بالعطف والفضل بينهم بقوله تعالى : (وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ) خطاب للزوجين فيه حض لكل واحد منهما .

والنهي ليس المراد منه النهي عن النسيان أي : (عدم الذكر) لأن ذلك ليس في الوسع بل المراد الترك لا تتركوه ترك المنسي فالتعبير بالنسيان آكد في النهي ، أي لا يذهب بكم الغضب والمكايدة إلى درجة لا تتذكرون فيها ما يكون عندكم من إرادة للتفضل والعطاء[2] .

يقول الطبري . رحمه الله . في تفسيره مبيناً ما نهاهم الله تعالى من نسيان فضل بعض الزوجين على بعض : (ولا تغفلوا أيها الناس عن الأخذ بالفضل بعضكم على بعض فتتركوه ، ولكن ليتفضل الرجل المطلق زوجته قبل مسيسها ، فيكمل لها تمام صداقها إن كان لم يعطها جميعه ، وإن كان قد ساق إليها جميع ما كان فرض لها فليتفضل بالعفو عما يجب له ، ويجوز له الرجوع به عليها ، وذلك نصفه ، فإن شح الرجل بذلك وأبى إلا الرجوع بنصفه عليها ، فلتتفضل المرأة المطلقة عليه برد جميعه عليه إن كانت قد قبضته منه ، وإن لم تكن قبضته فلتعفو عن جميعه ، فإن لم يفعلان ذلك وشحا وتركا ما ندبهما الله إليه من أخذ أحدهما على صاحبه بالفضل ، فلها نصف ما كان لها في عقد النكاح وله نصفه)[3]

---

(١) التفسير الكبير (١٤٤/٦ ـ ١٤٥) .

(٢) انظر تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي (٢٨١/٢) ط : دار الفكر بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ترقيم وتصحيح وتخريج محمد فؤاد عبدالباقي ، وانظر تفسير أبي السعود (٢٧٤/١) ، وانظر زهرة التفاسير (٨٣٣/٢ ـ ٨٣٤) .

(٣) تفسير الطبري (٥٦٨/٢) .

فالله سبحانه وتعالى حين يذكر الزوجين بالفضل الذي أنساهم إياه الغضب صرفهم إلى الاتجاه إلى الكمال والتعالي عن سفاسف المشاحنات والمنازعات ليكونوا هم الأعلين دائماً[1].

فعلى الزوج ألا ينسى مودة أهل البيت الذين تزوج منهم ثم طلق ، وألا يهجرهم أو يسبهم أو يلعنهم ويحقد عليهم كما هو حال الناس اليوم مع الأسف بعد حدوث الطلاق بين الزوجين تصير رابطة المصاهرة بعد انفصالها مرتعاً للمخاصمات والمنازعات والمهاترات والمكائد وكل هذا مناقضٌ لكتاب الله تعالى[2].

وفي النهي عن نسيان الفضل زيادة ترغيب في العفو بما فيه من التفضل الدنيوي ، والطباع السليمة فيها حب الفضل فأمروا أن يتعاهدوه ولا ينسوه لأن نسيانه يباعد بينهم ، كما في تعاهده عون كبير على الإلف والتحابب ، وذلك سبيل واضح إلى الإتحاد والمؤاخاة .

فالنسيان هنا مستعار للإهمال وقلة الاعتناء ، وهذا كثير في القرآن الكريم كما في قوله تعالى : (فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ)[3][4] .

ومما ورد في النهي عن النسيان ما جاء في قصة قارون حين طغى وتكبر وبطر وتبختر فأوصاه قومه من بني إسرائيل واعظين له في قوله تعالى (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)[5] .

قوله (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ) .

---

(١) زهرة التفاسير (٨٣٤/٢) .
(٢) التفسير المنبر (٣٩٠/١ ـ ٣٩١) ، وانظر تفسير المراغي (١٩٨/٢).
(٣) سورة السجدة الآية (١٤) .
(٤) انظر التحرير والتنوير (٤٤٣/٢) .
(٥) سورة القصص الآية (٧٧) .

يقول ابن كثير . رحمه الله . في تفسيره : (أي استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة في طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات ، التي يحصل لك بها الثواب في الدنيا والآخرة)[1] .

(وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا)

يقول ابن عاشور . رحمه الله . : (والنهي في ولا تنس مستعمل في الإباحة ، والنسيان كناية عن الترك)[2] .

فالنسيان هنا بمعنى الترك ، أي لا تترك نصيبك من الدنيا .

وفي تأويل النصيب من الدنيا اختلفت أقوال المفسرين إلى ثلاث أقوال كما أورد الماوردي . رحمه الله . في تفسيره :

أحدهما : لا تنس حظك من الدنيا أن تعمل فيها لآخرتك ، قاله ابن عباس .

الثاني : لا تنس استغناءك بما أحل الله عما حرمه عليك ، قاله قتادة .

الثالث : لا تنس ما أنعم الله عليك أن تشكره عليه بالطاعة ، ويكون معناه لا تنس شكر نصيبك[3] .

وعلى هذه الأقوال التي أوردها . رحمه الله . أن يعمل في دنياه لآخرته ، ونصيب الإنسان عمره وعمله الصالح وألا يترك حظه من الدنيا من طلبه الحلال وتمتعه به من اللذات التي أباحها الله من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والزواج ، فإن لربك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً ولزورك (زوّارك) عليك حقاً فأعطي كل ذي حق حقه وهذه وسطية الإسلام في الحياة[4] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٥٢٩/٣) .
(٢) التحرير والتنوير (١٠٨/٢٠) .
(٣) النكت والعيون ـ تفسير الماوردي (٢٦٧/٤) .
(٤) انظر فتح البيان (١٥٠/١٠) ، وانظر التفسير المنير (١٦١/٢٠) ، وانظر التبيان في تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (١٧٧/٨ ـ ١٧٨) ط : إحياء التراث العربي بيروت د ، ت .

وأنه لا ينسى نصيبه في الدنيا والاستمتاع بما فيها من متع مادية ، دون أن يسرف في الاستمتاع ، فالله لا يحب المسرفين ، وأنه ليس معنى أن يبتغ في المال الدار الآخرة أن يزهد في المال ويجتنب الاستمتاع ، وإنما معناه عدم الطغيان فقط[1] .

ويؤخذ من ذلك أن وسطية الإسلام تقوم على العمل الصالح ابتغاء ثواب الآخرة ، وعمارة الدنيا بإتقان دون أن تستولي على مشاعر الإنسان والإحسان إلى الناس إحساناً مادياً ومعنوياً أو خلقياً ، وقمع الفساد والخراب[2] .

كما يؤخذ أن ما ورد في النهي عن النسيان هو النسيان بمعنى الترك ، وليس النسيان الحقيقي وعدم التذكر فهو ليس في وسع الإنسان ومقدوره حتى ينهى عنه ، بل هو مما جبل وطبع عليه .

---

(١) انظر التفسير الموضوعي للقرآن الكريم للدكتور محمد البهي ، سورة القصص ص : (٣٩) ، مكتبة وهبة القاهرة ، د : ت .

(٢) التفسير المنير (١٦٣/٢٠) .

المطلب الثاني : ترتيب العقاب عليه :

سبق أن النسيان على وجهين :

أحدهما : الذي هو ضد الذكر وهو مما جبل عليه الإنسان ويقع منه على غير قصد فإن ذلك من العبد غير معصية وهو به غير آثم .

والآخر : هو الترك وهو الذي يكون من العبد عن عمد وقصد أو على وجه التضييع والتفريط بتركه أوامر ربه ونواهيه وتعديه حدوده وتخليه عن تقوى مولاه عز وجل ومراقبته ، فهذا من العبد عصيان وخروج عن هدى الله المستقيم وهو به آثم يستحق العقاب الأليم وعنه جاء النهي والتحذير في القرآن الكريم ، والوعيد ، وبه أخذ الله الأمم السابقة .

يقول تعالى : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1] .

في هذه الآية نهي وتحذير عن أعظم نسيان وهو نسيان الله تعالى ، لا يكن حالكم كحال قوم تركوا العمل بحقوق الله وتركوا أمره وطاعته وما قدروا الله حق قدره ، أو لم يخافوه ، تحذيراً عن الإعراض عن الدين والتغافل عن التقوى .

فجاء العقاب من الله من جنس ذنبهم ﴿فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ سمى عقوبتهم باسم ذنبهم فكسبوا هم نسيان الله تعالى فعاقبهم الله بأن جعلهم ناسين لأنفسهم فلم يشتغلوا بالأعمال الصالحة التي تنجيهم من عذاب الله ولم يكفوا عن المعاصي[2] .

فترى العاصي مهملاً لمصالح نفسه مضيعاً لها ، وقد أغفل قلبه عن ذكر الله ، واتبع هواه وكان أمره فرطاً ، قد انفرطت عليه مصالح دنياه وآخرته وقد فرط في سعادته الأبدية .

---

(١) سورة الحشر الآية (١٩) .

(٢) انظر تفسير البغوي (٥٩/٤) ، وانظر فتح البيان (٨٦/٤ ـ ٨٧) .

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ : (وأعظم العقوبات نسيان العبد لنفسه ، وإهماله لها ، وإضاعته حظها ونصيبها من الله ، وبيعه ذلك بالغبن والهوان وأبخس الثمن فضيع من لا غنى له عنه ، ولا عوض ، واستبدل به عنه كل الغنى أو منه كل العوض)[1] .

فالإعراض عن هدى الله وتركه تفريط في السعادة الأبدية ، وشقاء في الدنيا والآخرة ، يقول تعالى : (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى*قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً*قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى)[2] .

قوله (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي).

يقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره : (أي خالف أمري وما أنزلته على رسولي أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه)[3] .

فالإعراض عن الذكر هو ترك دين اله تعالى وتلاوة كتابه والعمل بما فيه ، وعدم إتباع الهدى[4] .

جعل الله تعالى عقوبة هذا الإعراض (فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) أي عيشاً ضيقاً في هذه الحياة الدنيا ، يقال منزل ضنك وعيش ضنك أي ضيق[5] .

والحياة الضنك هي الحياة المقطوعة الصلة بالله ورحمته الواسعة فهي ضنك مهما يكن فيها من سعة ومتاع ، إنه ضنك الانقطاع عن الاتصال بالله والاطمئنان إلى حماه ،

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء لابن القيم الجوزية ص : (٦٩ ـ ٧٠) . ط : دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٨هـ /١٩٩٧م .
(٢) سورة طه الآيات (١٢٤ ـ ١٢٦) .
(٣) تفسير القرآن العظيم (٢٢٧/٣)
(٤) انظر تيسير الكريم الرحمن ص : (٤٦٤) ، وانظر فتح القدير (٤٤٠/٣).
(٥) فتح البيان (٣٨٠/٤).

ضنك الحيرة والقلق والشك ، ضنك الحرص على ما في اليد والحذر من الفوت ، ضنك الجري وراء بارق المطامع والحسرة على كل ما يفوت[١] .

ووجه ضيق معيشة الكافر المعرض في الدنيا أنه شديد الحرص على الدنيا متهالك على ازديادها خائف من انتقاصها غالب عليه الشح بها حيث لا غرض له سواها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة[٢] .

وقد فسر بعض المفسرين المعيشة الضنك بعذاب القبر وأنه يضيق عليه ويحصر فيه جزاءً لإعراضه عن ذكر ربه[٣] .

والمعنى أن المعرض عن ذكر الله ، وإن كان متسع الحال والمال فمعه من ألوان الحرص والقلق والهموم والتعذيب النفسي في أمور الدنيا أو في القبر ما يصير معيشته ضنكاً ، فتكون العبرة بسعادة النفس وراحة البال والاطمئنان ، ولا يشعر القلب بذلك الأمان والاطمئنان إلا بالاستقرار في رحاب الله ، وما يحس راحة الثقة إلا وهو مستمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها ، فطمأنينة الإيمان تضاعف الحياة طولاً وعرضاً وعمقاً وسعة ، والحرمان منه شقوة لا تعدلها شقوة الفقر والحرمان[٤].

وكما ذكر الله تعالى العقوبة الدنيوية للنسيان أعقبها بالعقوبة الأخروية في قوله تعالى : (وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) .

يقول ابن عاشور ـ رحمه الله ـ في تفسيرها : (وجعل الله عقابه يوم الحشر أن يكون أعمى تمثيلاً لحالته الحسية يومئذ بحالته المعنوية في الدنيا ، وهي حالة عدم النظر في وسائل الهدى والنجاة ، وذلك عنوان على غضب الله عليه وإقصائه من رحمته)[٥] .

وفسر العمى بأنه لا يرى إلا جهنم ، وفسر كذلك بأنه أعمى لا حجة له[٦] .

---

(١) في ظلال القرآن (٢٣٥٥/٤).
(٢) روح المعاني (٢٧٨/١٦).
(٣)زاد المسير (٢٣١/٥) ، وانظر تفسير القرآن العظيم (٢٢٨/٣) ، وانظر الدر المنثور (٢٥٥/١٠)
(٤) انظر التفسير الوسيط (١٥٥٧/٢) ، وانظر في ظلال القرآن (٢٣٥٥/٤) .
(٥) التحرير والتنوير (٢٠٠/١٦ ـ ٢٠١) .
(٦) انظر تفسير الطبري (٤٧٣/٨)، وانظر فتح القدير (٤٤١/٣) .

فالإعراض عن ذكر الله ونسيانه خروج من النور والهدى إلى الظلمات والضلال ، فكانت العاقبة ظلام البصر والبصيرة وسوء العذاب .

فيقول الناسي أو المعرض على وجه الذل والمراجعة والتألم والضجر من هذه الحالة : (رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى) أي في الدنيا فما الذي صيرني إلى هذه الحالة البشعة[1] .

(قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى) .

يقول ابن كثير . رحمه الله . في تفسيره : (أي لما أعرضت عن آيات الله وعاملتها معاملة من لم يذكرها بعد بلاغها إليك ، تناسيتها وأعرضت عنها وأغفلتها ، كذلك اليوم نعاملك معاملة من ينساك)[2] .

أي مثل ذلك النسيان الذي فعلته في الدنيا (تنسى) أي تترك في العمى أو النار، وقيل نسوا من الخير والبركة والرحمة ولم ينسوا من العذاب في النار[3] .

والجزاء من جنس العمل فلما نسوا آيات الله والتفكر والتدبر فيها والعمل بمقتضاها عوقبوا بالترك في العذاب .

ونحو ذلك قوله تعالى : (فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَاء يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ)[4] وقوله تعالى : (فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)[5] .

الإعراض والتكذيب عادة الأمم مع رسلهم فيأخذهم الله بالشدائد لعلهم يرجعون عن غيهم ويرجعون إلى رشدهم .

---

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن ص : (٤٦٤ ـ ٤٦٥)
(٢) تفسير القرآن العظيم (٢٨٨/٣) .
(٣) انظر فتح البيان (٣٨١/٤) .
(٤) سورة الأعراف الآية (٥١) .
(٥) سورة السجدة الآية (١٤) .

يقول تعالى : (وَلَقَدْ أَرْسَلنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ*فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ*فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ)[1] .

يخبر تعالى أنه أرسل الرسل إلى أممهم فكذبوهم فأخذهم لعلاج عصيانهم على الهدى الاستقامة بأمرين :

الأول : أخذهم بالبأساء ، وهي البؤس الشديد وهو الفقر وضيق العيش حتى يكونُ ضنكاً ، وذلك يكون للأمم بالأزمات التي تجتاحها بجفاف النباتات والآفات المبيدة وغيرها مما يصاب به اقتصاد الأمم .

الثاني : الضراء بالمرض تصاب به الأجسام والأوبئة تصيب الجماعات[2] .

(لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ) عساهم يخضعون ويبتعد الغرور عن نفوسهم ، فالشدائد تربي النفوس وتهذب الأخلاق فترجع المغرورين عن غرورهم وتكف الفجار عن فجورهم[3] .

(فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ) أي فهلا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن لم يتضرعوا ، وهذا عتاب على ترك التضرع حتى نزل العذاب بهم لشدة تمردهم وغلوهم في الكفر ، وكان ينبغي أن يكون البأس الشديد مؤدياً إلى ضراعتهم لأنه يشعر بضعفهم أمام قدرة الله الغالب القاهر فوق كل شئ ، ولكن الإحساس بالضعف الذي دل عليه

---

(١) سورة الأنعام الآيات (٤٢ ـ ٤٤) .

(٢) زهرة التفاسير(٢٤٩٧/٥) ، المقتطف من عيون التفاسير (١٣٣/٣) للعلامة مصطفى الخيري المنصوري ، تحقيق وتخريج محمد علي الصابوني ، ط : دار القلم الطبعة الثانية ١٤١٧هـ /١٩٩٦م .

(٣) انظر تفسير المراغي(١٢٤/٧) .

نـزول البـأس علـيهم وجـد مانعـان يمنعـان أثـره (وَلَـكِن قَسَـتْ قُلُـوبُهُمْ وَزَيَّـنَ لَهُـمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) .

أحدهما : قسوة القلوب (وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ) وذلك إشارة إلى أن الضراعة والقسوة لا يجتمعان ولو نزلت الشدائد ، وإن ضرعوا فإلى أمد محدود ثم تعود أحوالهم .

الثاني : تزيين الشيطان القساوة في قلوبهم والاستمرار فيها ، وإن هذا التزيين لا يجعل الآثم يحس بإثم ما ارتكب[1] .

فلما لم ينزجروا بما ذكروا به من البأساء والضراء استدرجهم الله بتيسير مطالبهم الدنيوية وعبر عن ذلك بقوله : (فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ) أي نقلناهم من البأساء والضراء إلى الراحة والرخاء وأنواع الآلاء والنعماء .

والمعنى أن الله عالجهم بتسليط المكاره والشدائد فلم ينتفعوا فنقلهم من تلك الحال إلى ضده وهو فتح أبواب الخيرات عليهم فلم ينتفعوا أيضاً[2] .

(حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ) .

يقول ابن عاشور ـ رحمه الله ـ في تفسيرها : (معنى الفرح هنا الازدهاء والبطر بالنعمة ونسيان المنعم ومراد الله من هذا الإهمال لهم لعلهم يتذكرون ويوحدونه فتطهر نفوسهم ، فابتلاهم الله بالضر والخير ليستقصي لهم سببي التذكر والخوف ، لأن من النفوس نفوساً تقودها الشدة ونفوساً يقودها اللين)[3] .

فكان منهم العجب والبطر وظنوا أنهم أعطوا ذلك لكون كفرهم الذي هم عليه حقاً صواباً ولم يدروا أنه استدراج من الله تعالى ، وفي الحديث عن عقبة ابن عامر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إذا رأيت الله يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على

---

(١) وهرة التفاسير (٢٤٩٨/٥) .
(٢) المحرر الوجيز (١٩٩/٥ ـ ٢٠٠) ، وانظر التفسير الكبير (٢٢٥/١٢ ـ ٢٢٦) .
(٣) التحرير والتنوير (١٠٠/٦) .

معصيته فإنما ذلك استدراج) ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ)[1].

لم تزدهم النعماء والسعة بعد البأساء والضراء إلا غروراً وإصراراً على كفرهم فأخذهم العذاب على حين غفلة وهم في حيرة يائسون[2] .

عندما يكون الإعراض والتعدي على حدود الله يأتي دور المصلحين يذكرون بالله تعالى يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر إقامة للحجة وإعذاراً لأنفسهم عند الله تعالى ، وحصول العصيان بعد النصح والتذكير ، يكون هلاك الظالمين الفاسقين ونجاة الصالحين الذين نهوا عن السوء والمنكر وفي هذا المعنى يقول تعالى مخاطباً النبي صلى الله عليه وسلم أن يسأل بني إسرائيل : (وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ*وَإِذَ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ*فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ)[3] .

هذه الآيات عن أسلاف أهل الكتاب من بني إسرائيل في اعتدائهم في يوم السبت ومجاوزتهم لحكم الله بالصيد فيه وقد نهوا عنه .

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٢٨/٤) ح : (٤٥٤٠) ط : دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م ، وانظر السلسلة الصحيحة للألباني ح : (٤١٣) .

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (٤٢٦/٦) .

(٣) سورة الأعراف الآيات (١٦٣ ـ ١٦٥) .

ابتلاهم الله بظهور الأسماك على وجه الماء يوم السبت الذي يعظمونه بترك العمل والتفرغ للعبادة ، وفي غير يوم السبت لا تظهر ، فلما رأوا ظهورها وكثرتها في يوم السبت أغراهم ذلك بالاحتيال على صيدها فيه .

(كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) أن من أطاع الله خفف الله عنه أحوال الدنيا والآخرة ، ومن عصاه ابتلاه بأنواع البلاء والمحن وهذا يعني أن المعاصي سبب النغمة[1] .

وعندما وعظ الواعظون المعتدين قال جماعة ممن يأسوا من قبولهم للموعظة : (لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً) قال الواعظون (مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) نعظهم لتبرى أنفسنا من السكوت عن المنكر وتعتذر إلى ربكم بأننا أدينا واجبنا في الإنكار عليهم ، ونحن لا نيأس من صلاحهم وعودتهم إلى الحق ، ولعلهم بهذا الإنكار يتقون ما هم فيه ويتركونه ويرجعون تائبين [2].

(فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ)

تركوا ما ذكرهم به صلحاؤهم ترك الناسي للشئ وأعرضوا عنه إعراضاً كلياً ، وسمى الترك نسياناً إذ أقوى منازل الترك أن ينسى المتروك[3] .

وانجي الله الناهين عن السوء وهم فريق الواعظين ، وهذه سنة الله في عباده أن العقوبة إذا نزلت نجا منها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر[4] .

(وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ) أي الذين فعلوا النهي ولم يتركوه ، وهم العصاة المعتدون بعذاب شديد موجع[1]

---

(١) انظر تفسير المراغي (٩٣/٩ ـ ٩٤) ..
(٢) انظر التفسير المنير (٤٣/٩) .
(٣) انظر روح المعاني (٩٢/٩) وانظر المحرر الوجيز (١١٨/٦) .
(٤) انظر تيسير الكريم الرحمن ص : (٢٧٠)

والخلاصة كما يقول المراغي . رحمه الله . في تفسيره : (إنه لما ذكر المذكرون ولم يتذكر المعتدون أنجينا الأولين وأخذنا الآخرين)[٢] .

(١) انظر فتح البيان (٣٧٢/٢) .
(٢) تفسير المراغي (٩٥/٩)

المبحث الرابع
علاج النسيان

كثيراً ما يعزى فشل الإنسان في أداء مهام حياته الدينية والدنيوية إلى آفة النسيان ، فكلما ضعفت ذاكرة الإنسان اضطرب سير حياته وضعف أداؤه العام .

فكثير ما يخرج الإنسان متحفزاً جامعاً أمره وعزمه لأداء أعمال مهمة وكثيرة ولكنه ما أن يرجع قادماً إلى داره حتى يتذكر أنه غفل ونسي كثيراً مما كان يريد إنجازه .

كما تبدو حالة النسيان أوضح وأفجع عند طلاب العلم ، حيث يذاكر الطالب دروساً كثيرة سهر في تحصيلها وحصادها ليالي عدداً ولكنها أسرع ما تذهب عن ذاكرته وتستعصى عن استدعائها واستذكارها عند وقت الحاجة وهو في العادة أحرج الأوقات ، وقت الاختبار .

فحالات النسيان السابقة محرجة وسيئة بالتأكيد ، ولكن النسيان ليس سيئاً في جميع الحالات ، وأنه قد يكون أحياناً رحمة من الله بالإنسان ، إذ أن النسيان يعين الإنسان على تجاوز أحزانه ومشقات حياته ، وهي نوع من أنواع الاحساسات التي قد تهلك الإنسان إذا داوم على ذكرها والإغراق في ذلك[1]

ومهما تعددت أسباب النسيان ، أو أن ذلك من طبيعته البشرية الضعيفة أو جانب من جوانب الضعف لا محالة أن تنفك عنه ، لا يعني ذلك أن نستسلم للنسيان بل ينبغي للإنسان أن يجتهد في علاج هذه الآفة فبكثير من الاجتهاد والصبر والمثابرة يستطيع الإنسان مقاومة النسيان .

فأول ما يلجأ إليه العبد في علاج النسيان أن يستنجد بالله تعالى خالقه وبارئه يستمد منه العون والقوة على هذا الضعف البشري الفطري ، فمع قيام العبد بطاعة الله

---

(١) مجلة الرابطة إصدار رابطة العالم الإسلامي العدد (٤٧٣) ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .

تعالى وأداء عبادته فهو فقير إلى عون الله وتوفيقه وتسديده كما يقول تعالى : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)[1]

فالعبد محتاج في جميع عباداته وأموره للاستعانة بالله تعالى ، فإنه إن لم يعنه الله لم يحصل له ما يريده من فعل الأوامر واجتناب النواهي[2] .

فالإنسان لا حول له ولا قوة له إلا بالله تعالى فمنه يستمد العون والقوة التحول من حال إلى حال ، فاستعانته بالله عز وجل استعانة مطلقة في أمور دينه ودنياه وفي جميع شأنه[3] ، وأن يلتزم تقواه تعالى والتي هي في مجملها فعل الأوامر واجتناب النواهي فإن ترك الأوامر والنواهي والغفلة عن ذكر الله إنما ذلك بسبب ضعف التقوى .

أمر الله تعالى بها كثيراً في كتابه العزيز ورتب عليها النجاح والتوفيق والتسديد والإصلاح كما في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً*يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً)[4].

فإن مما يترتب على التقوى كذلك أن يوفق الله الإنسان للعمل الصالح ويحفظه عما يفسده ، كما أن الإخلال بالتقوى سبب لفساد الأعمال وعدم قبولها[5] فالغفلة والإعراض بهما يكون فساد الأعمال فذهابهما إنما يكون بتقوى الله والتزامها .

فالتقوى كذلك من أعظم أسباب تحصيل العلم النافع وبضعفها يضيع العلم ويفقد بهاؤه ورونقه .

---

(١) سورة الفاتحة الآية (٥) .
(٢) انظر تيسير الكريم الرحمان ص : (٢٢) .
(٣) انظر أحكام من القرآن الكريم ، محمد بن صالح العثيمين ص : (٢٢ ـ ٢٣) ، طبعة دار طويق للنشر الرياض ، ط : الأولى ١٤١٥هـ .
(٤) سورة الأحزاب الآيات ٧٠ ـ ٧١ .
(٥) تيسير الكريم الرحمن ص : (٦٢٠) .

يقول تعالى : (.....وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)[1]

ففي هذه الآية بيان أن التقوى سبب في إفاضة العلوم والتوفيق فيها والوعد لمن اتق الله أن يعلمه الله عز وجل ، وأن من اتق الله علم الخير وألهمه[2] .

آفة العلم النسيان فمن وفق في تعلم العلم النافع والظفر به يعني ذلك أن الله حفظ عليه هذه النعمة من أن تذهب عنه أو أن ينساها .

فتقوى الله تورث في القلب نوراً وهي تتضمن ترك الذنوب والمعاصي التي لها أثرها على القلوب ، وقد تكاثرت النقول عن السلف رحمه الله في التحذير من المعاصي وبيان أثرها على العلم ، سأل رجل مالكاً . رحمه الله . : يا أبا عبدالله هل يصلح لهذا الحفظ شئ ؟ قال : إن كان يصلح له شئ فترك المعاصي[3] .

وإن مما يعالج النسيان ذكر الله تعالى وشكره ، فذكر الله هو حياة القلوب وروح العبادات يذهب الغفلة ويورث اليغطة وهو جلاء القلوب ودواؤها إذا غشيتها العلل.

يقول تعالى (...وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ .....)[4] .

يقول العلامة السعدي في تفسير هذه الآية : (الأمر بذكر الله عند النسيان ، فإنه يزيله ، ويذكر العبد ما سهى عنه ، وكذلك يؤمر الساهي الناسي لذكر الله أن يذكر ربه ولا يكونن من الغافلين ، ولما كان العبد مفتقراً إلى الله في توفيقه للإصابة وعدم الخطأ في أقواله وأفعاله أمره الله أن يقول : عسي أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا ، فأرشده أن يدعوه ويرجوه ويثق به أن يهديه لأقرب الطرق)[5] .

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٨٣) .
(٢) التحرير والتنوير (٥٨٢/٢) ، وفتح القدير (٣٣٥/١) ، المحرر الوجيز (٥٢٠/٢) .
(٣) الجامع لآداب الراوي والسامع للخطيب البغدادي (٣١٢/٢) .
(٤) سورة الكهف الآية (٢٤) .
(٥) تيسير الكريم الرحمن ص : (٢٢٤) .

ومن هذه الآية أن من عرض له نسيان فليذكر الله تعالى ليذكره ما نسى ، وفيها أمر بدعاء الله سبحانه وتعالى الهداية والرشد والخير والمنفعة[١] ، وكون الذكر يذهب النسيان ويزيله لأن النسيان منشؤه الشيطان فإذا ذكر الله ذهب الشيطان فإذا ذهب الشيطان ذهب النسيان فذكر الله سبحانه وتعالى سبب للذكر[٢] .

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ : (وبالذكر يصرع العبد الشيطان كما يصرع الشيطان أهل الغفلة والنسيان)[٣].

فالذكر يطرد الشيطان وينجي منه فهو بمثابة الحصن الحصين والحرز المكين الذي لا يحرز العبد نفسه من هذا العدو اللدود إلا به وهذه بلا ريب فضيلة عظيمة من فضائل الذكر[٤].

والله تعالى ذاكر من ذكره كما يقول سبحانه : (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ)[٥].

أورد ابن عطية ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية عن سعيد بن جبير أنه قال : (اذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب والمغفرة ، أي اذكروني عند كل أموركم فيحملكم خوفي على الطاعة فاذكركم حينئذ بالثواب)[٦].

---

(١) انظر روح المعاني (١٥/٢٥٠ ـ ٢٥١) .
(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/١٠٨ ـ ١٠٩) .
(٣) مدارج السالكين لابن القيم الجوزية ، تحقيق محمد حامد الفقي ومحمد عبدالرحمن الطيب المكتبة التوفيقية القاهرة د :ت (٢/٣٩٧).
(٤) فقه الأدعية والأذكار ص : (١٥) للشيخ عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر ط : دار ابن عفان الرياض ط : الأولى ١٤١٩هـ ت ١٩٩٩م .
(٥) سورة البقرة الآية (١٥٢) .
(٦) المحرر الوجيز (٢/٢٨) .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى : (من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملا خير منه)[1]

فذكر الله تعالى يكون باللسان بتلاوة ذكره وبالتفكر فيما هو مشاهد من خلق الله العظيم فيحصل بذلك للعبد التذكرة والتبصرة ، ولا يكون ذلك إلا لأهل الإنابة فبالإنابة يزول الإعراض ، وبالتبصرة يزول العمى ، وبالتذكر تزول الغفلة إذن فذكر الله سبب للذكر[2] .

وشكر الله سبب لحفظ النعم الموجودة من الزوال وجلب النعم المفقودة فإذا شكر العبد نعم الله عليه ، وقام بذلك بقلبه ولسانه وجوارحه فلا شك أن الله يزيده ويعطيه ، وكما أن العقوبة تكون من جنس المعصية ، فالجزاء من جنس العمل كما يقول تعالى : (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ)[3].

ومع ما تقدم من علاج للنسيان فيحتاج الإنسان لإعمال الفكر والعقل وذلك بكثرة الاجتهاد بالتعاهد وكثرة التكرار وتركيز الفهم واتخاذ الطرق المنهجية السليمة قبل الحفظ أو التعلم وبعده كالتسميع للغير والسماع منهم وغير ذلك من طرق الاجتهاد والمثابرة .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) .
(٢) مدارج السالكين (٤٢٢/١ ـ ٤٢٣) .
(٣) سورة إبراهيم الآية (٧) .

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله الأمين .

وبعد : النسيان يطلق على الغلة عن الشئ وعدم التذكر ، وعلى الشئ الساقط الذي لا يلتفت له ، ويستعمل التأخير .

الغفلة اسم عام يدخل تحته النسيان والسهو ، ويجوز إطلاقها عليهما وتعريفهما به.

ورد النسيان في القرآن الكريم بمعاني متعددة ، عدم التذكر ، والشئ الساقط الذي لا يلتفت إليه ، والتأخير ، والترك ، والضلال ، كما ورد في السنة أيضاً .

الله تعالى منزه عن النسيان وما ورد في حقه من النسيان فهو من باب العقوبة .

النسيان طبع راسخ في الإنسان ، يظهر حين يمسه الضر يتجه إلى الله وبدعوه ، وعند الرخاء ينسى ذلك .

الشيطان ينسئ الإنسان بالوسوسة ينسيه صالح الأعمال ويقطعه عنها ويلبسها عليه ، ويدفعه إلى المعاصي ويعينه عليها .

الناس مصدر نسيان بفتنة بعضهم بعضاً .

محبة الإنسان للدنيا وانشغاله بها ينسيه ما خلق لأجله .

لا يجوز لنا أن نقول بالنسيان في حق الرسل إلا بما أخبرنا الله تعالى به .

إن معصية آدم عليه السلام لم تكن عزم وإنما صدرت منه في حال النسيان .

ذكر الله تعالى سبب للذكر فهو علاج للنسيان .

الناسي غير مكلف حال النسيان .

التجاوز عن النسيان من خصائص هذه الأمة .

النسيان الذي ليس عليه إثم هو الغالب على الإنسان مع حرصه .

النهي عن النسيان المراد به الترك .

أعظم العقوبات أن يُنسِي الله العبد نفسه .

الباحث

summary of Research

For gotten is term use for – absent–mind , failing to remember and for thing is putout of one's mind .

Absent – mind is wide name it can say for forget , missd .

In Quran forgetten is come in various meaning as : the thing is fail , not remembering , the thing is late and in Hadith also .

Allah is not as his creatures . what come form him means punshment .

Forgetten is natural thing in mankind and it appear when be lack of things .

The dvil in an enemy to people he make then forget .

The people is the source of forgetting by dis putes between themselves .

Loving of life it makes aman forget what is the purpose of create .

Is not permit for us to label messenger as : forgetful .

The cure of forgetting is to say Allah .

The mankind is not be asking what they forgetten .

Forgiveness of forgetten is one of the pillar of Islam .

Most of what man kind for got is not evil .

Forgetten is for bidden its means not to do .

Most of punishment is that Allah make people forget themselves .

The researcher

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
سورة البقرة		
وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ	(٣٥)	١١١
فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا	(٣٦)	١٢٠
فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ	(٣٧)	١٢٠
وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ	(٤٠)	١٥
وَآمِنُواْ بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ	(٤١)	١٥
أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ	(٤٤)	١٠
الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُوا رَبِّهِمْ	(٤٦)	١٢٥
مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا	(١٠٦)	٩ ، ٨١ ، ٨٣
فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي	(١٥٢)	١٣ ، ٧٤
يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ	(١٨٥)	١٤٤
زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا	(٢١٢)	٥٢
وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ	(٢٣٧)	١٥٠
وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ	(٢٣٧)	١١ ، ١٥٠
الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء	(٢٦٨)	٢٢
وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ	(٢٨٢)	١١
...رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا...	(٢٨٦)	١١٣ ، ١٤٣ ، ١٤٤
لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ	(٢٨٩)	١٤٣
آل عمران		
رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا...	(٨)	١٤٩

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ	(١٤)	٥٧
فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ	(١٧٠)	٤١
رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا	(١٩٤)	١٤٨
سورة النساء		
يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ	(٢٨)	٢٦
لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ	(١٢٣)	١٣ ، ٧٤
رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ	(١٦٥)	١٣٠
سورة المائدة		
وَلَقَدْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ	(١٢)	١٣١
فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ	(١٣)	١٣٤
وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ	(١٤)	١٣٧
سورة الأنعام		
فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ	(٣٤)	١٣١
وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ	(٤١)	١١
وَلَقَدْ أَرْسَلنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ	(٤٢)	١٥٨
فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ	(٤٣)	١٥٨
فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ	(٤٤)	١٥٩ ، ١٦٠
وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ	(٥٢)	٤٧ ، ٤٨
وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولواْ	(٥٣)	٤٨
وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ	(٥٩)	٧٢
وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ	(٦٨)	٩ ، ٩٤

وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى	(١٦٤)	١٤٣
سورة الأعراف		
قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ	(١٦)	١٩
ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ	(١٧)	١٩
وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ	(١٩)	١١١
...وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا	(٢٠)	١١٨
وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ	(٢١)	١١٨
أَهَؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لاَ يَنَالُهُمُ اللّهُ بِرَحْمَةٍ	(٤٩)	٥٥
الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً	(٥١)	٧٥
فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَاء يَوْمِهِمْ هَذَا	(٥١)	٧٥ ، ٧٦ ، ١٤٥ ، ١٥٨
واَسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ	(١٦٣)	١٦١
وَإِذَ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً	(١٦٤)	١٦١
فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ	(١٦٥)	١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢
سورة الأنفال		
وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ	(٢٨)	٥٩
سورة التوبة		
وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا	(٣٤)	٦١
يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا	(٣٥)	٦١
فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ	(٥٥)	٦٥
وَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ	(٥٦)	٧٨
الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ	(٦٧)	١٠ ، ٧٨

...نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ	(٦٧)	١٠ ، ١٥ ، ٧٨
وَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ	(٨٥)	٦٥
سورة يونس		
وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً	(١٢)	٢٨
وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ	(٦١)	٧٢
سورة هود		
وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ	(٩)	٣٦
وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاء بَعْدَ ضَرَّاء مَسَّتْهُ	(١٠)	٣٦ ، ٣٨ ، ٣٩
إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ	(١١)	٣٧ ، ٤٥
وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ	(٢٩)	٤٧
..خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ	(١٠٨)	٨٩
سورة يوسف		
وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ	(٣٣)	١٢٩
ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ	(٣٧)	١٢٣ ، ١٢٨
وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ	(٣٨)	١٢٣ ، ١٢٨
يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ	(٣٩)	١٢٤ ، ١٢٨
مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا	(٤٠)	١٢٤ ، ١٢٨
وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ	(٦٧)	١٢٩
سورة إبراهيم		
وَآتَاكُم مِّن كُلّ مَا سَأَلْتُمُوهُ	(٣٤)	٢٧
وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً	(٤٢)	١٤٩
الحجر		

إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ	(٤٢)	١٢٧
سورة النحل		
وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ	(٣٦)	١٣٠
فَلاَ تَضْرِبُواْ لِلّهِ الأَمْثَالَ...	(٧٤)	٤٢
سورة الإسراء		
وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ	(٦٧)	٢٧
قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي	(١٠٠)	٢٧
سورة الكهف		
إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ	(٢٠)	١١٤
وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً	(٢٣)	٩٦
إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ	(٢٤)	٩٦
وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ	(٢٨)	٤٧ ، ٤٨
وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ	(٤٢)	٦٣
وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ	(٤٣)	٦٣
هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً	(٤٤)	٦٣
الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا	(٤٦)	٥٨
وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ	(٥٤)	٢٧
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ	(٥٧)	١٠
وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ	(٦٠)	٩٨
فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا	(٦٠)	١٠٤
فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا	(٦١)	٩ ، ٩٩
فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءنَا لَقَدْ لَقِينَا	(٦٢)	١٠٢

قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ	(٦٣)	٩ ، ١٠٢
وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ	(٦٣)	٩ ، ٢٣ ، ١٠٢
قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَن	(٦٦)	١٠٣
قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً	(٦٧)	١٠٤
وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً	(٦٨)	١٠٤
قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ صَابِراً وَلَا أَعْصِي	(٦٩)	١٠٤
قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً	(٧٢)	١٠٥
قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي	(٧٣)	١٠٥
وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا	(٨٠)	٦٤
وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ	(١١٥)	١٠ ، ٢٦ ، ١١١
... وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا..	(١٢٨)	٦
سورة مريم		
قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً	(٢٣)	٩
وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا	(٦٤).	٦٩
رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ	(٦٥)	٧١
وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ	(٦٦)	٧١
أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ	(٨٣)	٢٥
سورة طه		
قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى	(٥١)	٧١
قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي	(٥٢)	٧١ ، ٧٦
فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ	(٨٨)	١٠٩
أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ	(٨٩)	١١٠

وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ	(١١٥)	١٠ ، ٢٦ ، ١١١
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا	(١١٦)	١١٥
فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا	(١١٧)	١١٥
إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى	(١١٨)	١١٥
وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى	(١١٩)	١١٥
فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ	(١٢٠)	١١٦
فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا	(١٢١)	١١٦ ، ١١٩
قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ	(١٢٣)	١١٩
وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً	(١٢٤)	١٥٦
قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً	(١٢٥)	١٥٦
قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ	(١٢٦)	١٥٦ ، ١٥٨
وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ	(١٣١)	١٤٩
الأنبياء		
قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ	(١١٢)	١٤٨
الحج		
وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ	(٧٨)	١٤٤
سورة المؤمنون		
ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاء أُمَّةً رَّسُولُهَا	(٤٤)	١٣١
إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا	(١٠٩)	٥٣
فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيّاً حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي	(١١٠)	٥٣
إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ	(١١١)	٥٣ ، ٥٥

سورة الفرقان		
وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ	(٥)	٥١
وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ	(١٧)	٦٥
قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ	(١٨)	٦٥
...وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ	(٢٠)	٤٦
وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا	(٧٤)	٦٦
سورة القصص		
وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ	(٧٧)	٦٢ ، ١٥٢
قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ	(٧٨)	٣٦
فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ	(٨١)	٦٢
سورة الروم		
وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ	(٣٣)	٣٣
لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ	(٣٤)	٣٣
وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ	(٣٦)	٣٨
سورة السجدة		
وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ	(١٢)	٧٧
وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ	(١٣)	٧٧
فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا	(١٤)	٧٧ ، ١٥٢ ، ١٥٨
سورة سبأ		
فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ	(١١٤)	٢
سورة يس		
وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي	(٧٨)	٤٢

قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ	(٧٩)	٤٤
سورة الزمر		
وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ	(٨)	٣٠
فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ	(٤٩)	٣٤
قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُم	(٥٠)	٣٤ ، ٣٦
سورة غافر		
فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ	(٧)	١٤٨
وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ	(٥٣)	٩٧
هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ	(٥٤)	٩٧
سورة فصلت		
إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ	(٤٧)	٧٣
لَا يَسْئَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ	(٤٩)	٣٨
وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ	(٥٠)	٤٢
سورة الشورى		
... وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا	(٤٨)	٤٠
سورة الزخرف		
وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءاً إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ	(١٥)	٢٧
وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ	(٣١)	٤٦
سورة الجاثية		
إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ	(٢٩)	٨٢
وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ	(٣٢)	٧٦
وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا	(٣٣)	٧٧

وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ	(٣٤)	٧٧
سورة الأحقاف		
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْراً	(١١)	٥٠
سورة ق		
أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا	(٦)	٩٧
وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا	(٧)	٩٧
تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ	(٨)	٩٧
أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ	(١٥)	٤٣
سورة النجم		
وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ	(٣١)	١٣ ، ٧٤
وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى	(٣٩)	١٤٣
سورة القمر		
أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ	(٢٥)	٤٩
سورة الرحمن		
هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ	(٦٠)	٧٤
سورة المجادلة		
لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ	(١٧)	٦٥
سورة الحشر		
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا	(١٨)	١٣
وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ	(١٩)	١٣ ، ١٧ ، ١٥٥
سورة الجمعة		
وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا	(١١)	٦١
سورة المنافقون		

إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ	(١)	٧٩
اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ	(٢)	٧٩
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ	(٩)	٥٨ ، ٦١
سورة التغابن		
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ	(١٤)	٦٣
إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ	(١٥)	٦٠ ، ٦٣
فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ	(١٦)	١٤٤
سورة الطلاق		
وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلّ شَيْءٍ عِلْماً	(١٢)	٤٥
سورة الملك		
أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ	(١٤)	٦٩
سورة القيامة		
أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ	(٣)	٣١ ، ٤٢
سورة المطففين		
إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ	(٢٩)	٥٥
وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ	(٣٠)	٥٥
وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِينَ	(٣١)	٥٥
سورة الأعلى		
سَنُقْرِؤُكَ فَلَا تَنسَى	(٦)	٨٨
إِلَّا مَا شَاء اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى	(٧)	٨٨
سورة العاديات		
إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُود	(٦)	٢٧ ، ٣١

وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ	(٧)	٢٧
سورة العلق		
كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى	(٦)	٢٧
سورة العصر		
إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ	(٢)	٢٧
سورة الناس		
مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ	(٤)	٢٤
الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ	(٥)	٢٤

فهرس الأحاديث النبوية

م	الحديث	الصفحة
١	أحدث في الصلاة شيء؟ قال : " وما ذاك ؟	٩٢
٢	أحفظ الله تجده تجاهك	١٣
٣	إذا رأيت الله يعطي العبد ما يحب	١٦٠
٤	إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط	٢٢
٥	ألم أكرمك ، وأسودك وأزوجك ، واسخر لك الخيل	٧٧
٦	إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه	٢١
٧	إن أحدكم إذا قام يصلي جاء الشيطان فلبس عليه	٢٣
٨	إن الدنيا والدرهم أهلكا من كان قبلكم	٦٥
٩	إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه	٢٠
١٠	إن الشيطان ليلطف بالرجل في صلاته	٢٣
١١	إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان	١١٣ ، ١٤٧
١٢	أن الله تعالى قال لموسى : خذ نوناً ميتاً	١٠٠
١٣	**أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقرأ من الليل**	٩٠
١٤	إن للشيطان لمَّة بابن آدم ، وللملك لمَّة	٢٢
١٥	إنما أنا بشر أنسى كما تنسون	٩٢ ، ١٢٧
١٦	أنه كان يخطب فجاءه الحسن والحسين	٦٣
١٧	حاج آدم موسى فقال له أنت الذي أخرجت	١٢١
١٨	صلى صلاة فقرأ فيها ، فليس عليه	٩١
١٩	فمن فعل ذلك كان حقاً على الله أن يدخله الجنة	٢١
٢٠	قال الله نعم	١٤٤

م	الحديث	الصفحة
٢١	قد فعل الله لهم ذلك يا محمد	١٤٤
٢٢	كان رسول الله صلى عليه وسلم معتكفاً	٢٢
٢٣	كانت الأولى من موسى نسياناً	١٠٦ ، ١٠٨
٢٤	الكبر بطر الحق وغمط الناس	٥١
٢٥	لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً إلا فعلت	٩٣
٢٦	لا تصلوا في مبارك الإبل	١٤٩
٢٤	لا تقولن ذلك فإن فيهم قرة عين وأجراً إذا قبضوا	٦٧
٢٨	اللهم ارزقه مالاً وولداً ، وبارك له فيه	٦٧
٢٩	اللهم من أمن بي وصدقني	٦٥
٣٠	ما ذئبان جائعان أرسلا في حظيرة غنم	٦٦
٣١	ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن	٢١
٣٢	من احتسب ثلاثة من صلبه دخل الجنة	٦٧
٣٣	من أكل أو شرب ناسياً فليتم صومه فإنما أطعمه الله	١٤٧
٣٤	من نام عن صلاة أو نسي فليصلها متى ذكرها	١٤٧
٣٥	من نسي صلاة فليصليها إذا ذكرها	١١
٣٦	موسى قام خطيباً في بني إسرائيل فسئل	٩٨
٣٧	نسي آدم فنسيت ذريته وخطئ آدم فخطئت ذريته	١٢٧
٣٨	نظرت إلى هذين الصبيين فلم أصبر	٦٣
٣٩	نعم ، قد فعلت	١٣٣
٤٠	نعم المال الصالح للمرء الصالح	٦٦
٤١	هذا حظ الشيطان منك	٩٥
٤٢	هل لك من ولد ؟ قلت غلام	٦٧

م	الحديث	الصفحة
٤٣	الولد محزنة مجبنة مجهلة مبخلة	٦٦
٤٤	ولم ينصب حتى جاوز المكان الذي أمر به	١٠٢
٤٥	يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ؟	٧٠
٤٦	يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا	٢٣
٤٧	يقرأ في الصلاة فترك شيئاً لم يقرأ ، فقال له رجل	٩١
٤٨	يقول الله تعالى أنا عند حسن ظن عبدي بي	٧٤

فهرس الأعلام المترجم لهم

م	العلم	الصفحة
١.	إبراهيم بن محمد بن السدي الزجاج البغدادي	٦٤
٢.	أحمد بن عبد الحليم تقي الدين أبو العباس ابن تيمية	١٧
٣.	أحمد بن علي بن أبو بكر الرازي	٨٣
٤.	أحمد بن علي بن محمد المعروف بابن حجر العسقلاني	٩٢
٥.	أحمد بن مصطفى المراغي	٣٧
٦.	إسماعيل بن عبدالرحمن السدي	٣٢
٧.	إسماعيل عمر بن كثير البصروي أبو الفداء	٨
٨.	أنس بن مالك بن النضر	٦٧
٩.	الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحي بن مهران العسكري	٥
١٠.	سبرة بن الفاكه	٢٠
١١.	سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي	١٧
١٢.	سيد قطب إبراهيم حسين شاذلي	١٦
١٣.	عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي	١٦
١٤.	عبد الرحمن بن ابي بكر بن سابق جلال الدين السيوطي	٣٩
١٥.	عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن علي البغدادي أبو الفرج	٤١
١٦.	عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري ابن الانباري	٤١
١٧.	عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي	٤٣
١٨.	عبد العزيز بن أحمد بن محمد علاء الدين البخاري	٤
١٩.	عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ	٦٠
٢٠.	عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هشام بن عبد مناف	٢٤
٢١.	علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري	١١٢
٢٢.	علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري أبو الحسن	١١٢
م	العلم	الصفحة

٢٣.	علي بن محمد بن علي المعروف بالشريف الجرجاني	١١٢
٢٤.	عمرو بن مالك الشنفرى	٢
٢٥.	عياض أبو الفضل	٢٢
٢٦.	قتادة بن دعامة الدوسي البصري	٥٠
٢٧.	الليث بن سعد بن عبدالرحمن الفهمي ، أبو الحارث	١٢١
٢٨.	مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي الخزرجي	١١٢
٢٩.	محمد الأمين بن المختار الجكني الشنقيطي	٥٤
٣٠.	محمد الطاهر بن عاشور	١٤
٣١.	محمد بن أبي بكر بن أبو بكر بن سعد بن جريز الزرعي	٢٤
٣٢.	محمد بن أحمد بن بكر بن فرج ، القرطبي	٢٩
٣٣.	محمد بن عبدالله بن عبدالله ويكنى أبا بكر	٩٥
٣٤.	محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري	٩٢
٣٥.	محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن الإمام علي فخر الرازي	٣٣
٣٦.	محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان الغرناطي الأندلسي	١٠٨
٣٧.	محمود عبد الله الألوسي البغدادي	١٤
٣٨.	يحي بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلمي المعروف بالفراء	١٠٧

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء .	
كلمة الشكر	**أ**
المقدمة	**ت**
أهمية الموضوع .	**ث**
أسباب اختيار الموضوع .	**ث**
الدراسات السابقة .	**ج**
صعوبات البحث .	**ج**
منهج البحث .	**ح**
خطة البحث .	**د**
الفصل الأول : تعريف النسيان ودلالات القرآن الكريم على معانيه	١
المبحث الأول : تعريف النسيان لغة واصطلاحاً .	**٢**
المبحث الثاني : دلالات القرآن الكريم على معاني النسيان .	**٨**
الفصل الثاني : مصادر النسيان .	١٢
المبحث الأول : الله تعالى .	**١٣**
المبحث الثاني : الشيطان .	**١٩**
المبحث الثالث : نفس الإنسان .	**٢٦**
المبحث الرابع : الناس .	**٤٦**
المبحث الخامس : متاع الدنيا .	**٥٧**
الفصل الثالث : النسيان في حق الله تعالى .	٦٨
المبحث الأول : تنزه الله تعالى عن النسيان .	**٦٩**
المبحث الثاني : نسيان المقابلة .	**٧٤**
المبحث الثالث : النسخ .	**٨١**
الفصل الرابع : الرسل والنسيان .	٨٧

المبحث الأول : النسيان في حقهم .	**٨٨**
المطلب الأول : النبي صلى الله عليه وسلم .	**٨٨**
المطلب الثاني : موسى عليه السلام .	**٩٨**
المطلب الثالث : آدم عليه السلام .	**١١١**
المطلب الرابع : يوسف عليه السلام .	**١٢٣**
المبحث الثاني نسيان ما آتوا به .	**١٣٠**
الفصل الخامس : النسيان والتكليف .	١٤٠
المبحث الأول : تعريف التكليف .	**١٤١**
المبحث الثاني : النسيان المرفوع .	**١٤٣**
المبحث الثالث : نسيان التكليف .	**١٤٩**
المطلب الأول : دخوله تحت النهي .	**١٤٩**
المطلب الثاني : ترتيب العقاب على النسيان .	**١٥٥**
المبحث الرابع : علاج النسيان	**١٦٣**
الخاتمة .	**١٦٩**
ملخص البحث	**١٧٢**
الفهارس .	**١٧٤**
فهرس الآيات القرآنية	**١٧٥**
فهرس الأحاديث النبوية	**١٨٧**
فهرس الأعلام المترجم لهم	**١٩٠**
فهرس المصادر والمراجع	**١٩٢**
فهرس الموضوعات	**٢٠٢**

النتائج والتوصيات

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على النبي المؤيد بالآيات والمعجزات والحمد لله الذي أعانني للوصول لختام هذا البحث الذي وقفت فيه على نتائج علمية وتوصيات مهمة أستخلصها للقارئ عسى الله أن ينفع بها الجميع .

أولاً النتائج :

١/ يطلق النسيان على الغفلة عن الشئ وعدم التذكر ، وعلى الشئ الساقط الذي لا ينتبه له وقد يستعمل بمعنى التأخير وغير ذلك .

٢/ الإنسان ينسى ما كان ذاكراً له ، ويسهى عن ذكر وعن غير ذكر لأن السهو خفاء للمعنى بما يمتنع إدراكه .

٣/ الغفلة اسم عام يندرج تحته النسيان والسهو ، فيجوز إطلاقها عليهما وتعريفهما بها .

٤/ ورد النسيان في القرآن الكريم بمعاني متعددة ، عدم التذكر ، والشئ الساقط الذي لا يلتفت إليه ، والتأخير ، والترك ، والضلال ، كما ورد في السنة أيضاً .

٥/ الله سبحانه وتعالى منزه عن النسيان وما ورد في حقه من نسيان فهو من باب عقوبة النسيان بالنسيان جزاءً من جنس العمل .

٦/ كيد الشيطان للإنسان بالوسوسة ينسيه صالح الأعمال ويثبطه ويقطعه عنها ويلبسها عليه ويغريه بالمعاصي ويعينه عليها ويمنيه .

٧/ النسيان طبع راسخ في الإنسان ، يظهر ذلك حين يمسه الضر يتجه إلى ربه ويضرع إليه ، وعند الرخاء ينسى ربه .

٨/ الناس مصدر نسيان بفتنة بعضهم بعضاً .

٩/ محبة الإنسان للدنيا وانشغاله بها ينسيه ما خلق لأجله .

١٠/ النسيان يدخل ضمن النسخ سواءً كان بترك التلاوة أو بالرفع من الصدور .

١١/ النسيان يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم فيما ليس طريقه إلى البلاغ من الأقوال والأفعال ، وأما بعد البلاغ والحفظ فيجوز عليه ، ويكون لنا في ذلك الحكمة ببيان الأحكام المترتبة على النسيان .

١٢/ لا يجوز لنا أن نقول بالنسيان في حق الأنبياء إلا بما أخبرنا الله تعالى به عنهم .
١٣/ إن معصية آدم عليه السلام وغوايته وبعده عن الرشد لم تكن بتصميم عزم وإنما صدرت منه في حال النسيان للأمر الإلهي ليترتب على ذلك الإخراج من الجنة وعمارة الكون ، وإنما كان ذلك بقضاء الله وقدره .
١٤/ نسيان الأمم لما أتت به الرسل يكون بالتهاون في الأوامر والنواهي ، وذلك بمخالفتها وعصيانها ، ونبذ العهود والمواثيق وتحريف الكتب السماوية .
١٥/ ذكر الله تعالى سبب للذكر فهو علاج للنسيان .
١٦/ الناسي غير مكلف حال النسيان ، لأن الإتيان بالفعل يتوقف على العلم والطاعة ، وهذا غير متحقق في الناسي فكان كافياً في إسقاط التكليف عنه .
١٧/ ما يثبت للناسي من أحكام حال النسيان ، ليس من باب التكليف بل من باب ربط الحكم بالسبب .
١٨/ التجاوز عن النسيان ورفع الإثم فيه من خصائص هذه الأمة .
١٩/ النسيان المرفوع به الإثم هو النسيان الغالب على الإنسان من ضعفه البشري مع حرصه ، ويحصل منه خارجاً عن إرادته .
٢٠/ لا يعتبر النسيان عذراً في حقوق العباد لأنها مبنية على المشاحة والمقاضاة .
٢١/ يكون النسيان مرفوعاً في حقوق الله إذا كان هذا الحق غير قابل للتدارك مثل صلاة الجمعة والجهاد ، أما إذا كان قابل للتدارك فلا يسقط كالصلاة .
٢٢/ النهي عن النسيان ليس في الوسع ، بل المراد به الترك .
٢٣/ أعظم العقوبات أن يُنسِي الله العبد نفسه .
٢٤/ عاقبة الإعراض عن ذكر الله ونسيانه ظلام البصر والبصيرة وسوء العذاب .

ثانياً : التوصيات :

١/ الاهتمام بالقرآن الكريم وعلومه .

٢/ المزيد من البحوث التي تتناول مشكلات الإنسان وقضاياه في ضوء القرآن الكريم.

٣/ البحث في علاج النسيان في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية وتجارب العلم الحديث .

٤/ إبراز أثر النسيان على الأحكام الشرعية وما يترتب من ذلك .

وختاماً أسأل الله العليم القدير أن ينفعنا بما علّمنا وأن يوفقنا إلى العمل لما يحبه ويرضاه ، وصلى الله وسلم على صفوة خلقه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .